أخبار اليوم
قطاع الثقافة



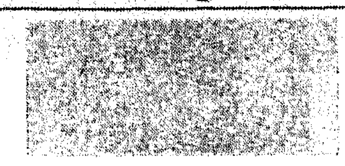
البنات والصيف

إحسان عبد القدوس

مطبوعات

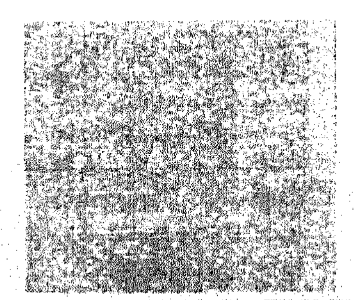


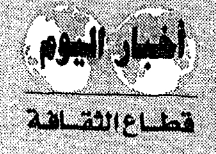
قطاع الثقافة



رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعده





قطاع الثقافة

دار أخبار اليوم
قطاع الثقافة
جمهورية مصر العربية
٦ ش الصحافة القاهرة
تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٢٠

إحسان عبد القدوس

البنات والصيف



الغلاف بريشة الفنان :

عمرو فهمى



عندنا ، لا نقول : الربيع !!

إننا نقول : الصّيف !!

إحسان

البنات والصيف



البنت الأولى

١

كانت تسير وحدها على شاطىء سيدى بشر ساعة الغروب،مرتدية بنطلونا من قماش « لاستكس » فى لون الليل ، و « بلوز » فى لون قشر البرتقال ، وفى قدميها « صندل » بلا كعب .. والبنطلون ضيق .. ضيق .. كأنها ترتديه تحت جلديها.. و « البلوز » تنسدل فوق صدرها فى إهمال كأنها ارتدتها بلا قصد .. ارتدتها لأنها نسيت ألا ترتديها .. وخطواتها سريعة قصيرة يهتز معها جسدها .. كل قطعة من جسدها تهتز كأنها تلهث فى اللحاق بها ..

وكان يبدو عليها الملل .. شفتاها المكتنزتان منفرجتان نصف انفراجة كأنها تتنهد فى ضيق .. وعيناها المشروطتان مفتوحتان نصف فتحة كأنها لا تجد حولها ما يستحق أن تنظر إليه بكل عينيها .. وشعرها الأسود كخيوط الأبنوس يهتز فى رفق مع خطواتها القصيرة السريعة ، كأنه يتثاءب فوق رأسها ..

إنها ملولة .. يكاد يختنقها الملل ..

وهى تعلم أنها جميلة .. إنها أجمل فتاة على شاطىء ميامى ..

إنها فتاة عام ١٩٥٨ .. ولكنها تشعر بالملل من جمالها ..

والملل من عام ١٩٥٨ .. والملل من كل سنوات عمرها العشرين.
وهى تعلم أن العيون تلاحقها فى سيرها ، والرقاب تكاد تنخلع وهى تلتفت إليها .. ولكنها ملت هذه العيون ، وملت هذه الرقاب .. إن مظاهر الإعجاب بها أصبحت كوجبة طعام من لون واحد تقدم لها طوال اليوم .. إنها تفطر بمظاهر الإعجاب ، وتتغدى بها ، وتتعشى بها .. وكلها مظاهر واحدة لها طعم واحد .. وقد ملت طعمها .. إنها تريد شيئا جديدا في حياتها .. شىء ينبعث منها هى لا من الناس .. شىء يملأ صدرها ويملأ عقلها ، ويملأ يومها ..

واستوقفتها فى سيرها صديقة لها :

– هاى ماسى !

ووقفت مايسة مرة واحدة كأنها ضغطت على فرملة فى ساقها ، ثم مالت بخصرها إلى ناحية ، وارتكزت بأحد قدميها على أطراف أصابعها .. وقالت فى صوت كسول :

– ازيك يا ديدى .. مش رايحه الحفلة !

وقالت ديدى كأنها على وشك البكاء :

– لا .. مامى ما ريضيتشى !

وابتسمت مايسة ابتسامة ضيقة ، كأنها تسخر من أم ديدى ، وقالت وابتسامتها لا تزال تشق شفتيها :

– ياخسارة .. تحبى اسلم لك على حسين !!

ونظرت ديدى إلى مايسة نظرة شك وتردد ، ثم قالت :

– أنا لسه مسلمة عليه دلوقت .. وكان مش عايز يروح الحفلة علشان خاطرى .. إنما أنا اللى اتحايلت عليه يروح ..

وقالت مايسة وقد اتسعت ابتسامتها :

– والنبى أنتى عبيطه .. وحاتفضلى طول عمرك عبيطه .. باى باى بأه !

ولم تنتظر أن تسمع إجابة صديقتـها ، واعتدلت مرة واحدة في وقفتها وأطلقت ساقيها في خطواتها السريعة القصيرة ..

واختفت ابتـسامتهـا من بين شفتيهـا ، وعادت خطوط الملل ترتسم فوق شفتيها وبين جفنيها ..

واعترضـها خمسـة شبان ، وقفوا في مـواجهتهـا كالحائط متعمدين أن يقطعوا عليها الطريق ..

ولم تبطيء في خطواتها .. ولم تتردد .. ولكنها نظرت إليهم في قـرف وتحد ، وتنهـدت في ضيق كـأن صوتا في داخلهـا يصيح :

« يارب خلصنى من المصايب دى » .. ثم أقـبلت عليهم دون أن تنحرف عن خط سيرها .. وقـبل أن تصطدم بهم ، أفسحوا لها الطريق كأنها شهاب شق صفهم .. واستداروا كلهم وراءها يطلقون صفيرا حادا ، كأنه أزيز نار تنطلق من صدورهم .

ووصلت إلى صخور « دير مسعود » ..

وأبطأت في خطواتـها قـليلا .. ثـم قفـزت فـوق الحـاجـز الحجرى الـذى يفصل بين صـخور الشـاطيء وصف الكبائن .. وأخـذت تنظر إلى الموج وهو يـرتطم بالصـخـر .. نظرت إليـه طويلا .. وأحست أن الموج في داخلها ، والصخر في داخلها ..

ثم جلست عـلى صـخـرة ، وهى لا تزال تحـدق في الموج المرتطم بالصخر .. وتمنت ألا تذهب إلى الحفلة .. إن كل البنات يحسـدنها لأن أمـها تسمـح لها بالذهاب وحدها إلـى مثل هذه الحـفلات .. ولكـنها اليـوم تتـمنى لو كـان لها أم تمنـعهـا من الذهاب .. تتمنى لو امتدت يد الموج واختطفتها وغاصت بها في البحـر .. تتمنى أى شيء .. أى شـيء جديد لم يحدث لـها من قبل ..

إنهـا تعلم بالضـبط كل مـا سـيحـدث في هذه الحفلة .

سترقص الروك اندرول مع مدحت وسمير ونبيل .. وسيختار ماجد أن يراقصها التانجو والفوكس .. وسيضمها إلى صدره أثناء الرقص ، ويخطو بها خطوات بطيئة جدا .. يكاد لا يتحرك من مكانه .. وستشب على أصابع قدميها وهى تراقصه حتى تلحق بقامته الطويلة .. وستتركه يضع خده على خدها ، وينفث أنفاسه فى أذنيها .. وسيخيل إليه أنها استسلمت ، ولكنها لن تحس به .. لقد حاولت من قبل أن تحس به ، ولكنها فشلت .. إن خده لن يترك أثرا على خدها ، وأنفاسه لا تحرك أعصابها ، وصدرها عندما يلامس صدره كأنه لامس لوحا من الخشب .. ولكنها تحب أن تتركه فى خياله ، وأن تسعده بوهمه .. إنه ولد طيب يستحق منها أن تمنحه الأوهام .

وسيغنى فكرى أغانى أمريكية مقلدا الفيس بريسلى وفرانك سيناترا .. وستأكل - كعادتها - قطعتين من السندويتش وتشرب كأسين من عصير الليمون .. إنها تعرف كل التفاصيل .. كلها تفاصيل مرت بها فى كل حفلة حضرتها .. نفس الوجوه .. ونفس الحركات .. ونفس الكلام .. لا شىء جديد .. لا شىء جديد !

وسقطت الشمس فى البحر ، كأنها ضاقت بالدنيا فقررت الانتحار .. واحتقنت السماء بلون الدم .. وقامت مايسة من جلستها فى يأس .. لا شىء جديد يمكن أن يحدث لها .. ليس أمامها إلا أن تذهب إلى الحفلة .. وعادت تقفز فوق الحاجز الحجرى ، ووقفت برهة تشد بنطلونها الضيق فوق ساقيها .. ثم عدلت قامتها وأخذت تسير فى خطواتها السريعة الضيقة ، كأنها أدارت فى قدميها زنبركا يسير بها .

●●●

كانت الحفلة فى إحدى الكبائن المقامة على صخور بير مسعود .

بنات وأولاد بين سن الثامنة عشرة والخامسة والعشرين .. أغلب البنات يرتدين البنطلونات ، واثنتان ترتديان ثوبين واسعين ، تحت كل ثوب ثلاثة « جيبونات » وقد شدت كل منهما حزاما حول وسطها يكاد يقصمها إلى نصفين .. وثلاث بنات يرتدين الشوال ، وقد برزت مفاتنهن حتى اختلط بعضها بالبعض ، فلا تدرى إن كانت نهودهن فى أعلى صدورهن ، أم فى أسفل ظهورهن .. والأولاد فتحوا القمصان ليكشفوا عن جلد فى لون البن المحروق ، وعلق كل منهم فى رقبته سلسلة ذهبية تتدلى منها حلية مكتوب عليها « ماشاء الله » ! وترك خصلة من شعره تتدلى فوق جبينه كأنها الراية السوداء التى ترتفع على الشاطىء عندما يهيج البحر .. وجرامفون يتوسط الكابين .. وكثير من زجاجات البيرة .. والكوكاكولا .. والليمنجو .. وقطع السندويتش ..

وجاءت مايسة تشق الغروب ، وقد انعكس لون الشفق فوق بشرتها السمراء ، فبدت كملاك من البرونز جاء يبشر بالليل .

وصاح البنات والأولاد :

– هاى ماسى .. هاللو ..

وأشارت مايسة اليهم بيدها وحركت أصابعها فى الهواء .. ثم قفزت داخل الكابين ، وألقت نفسها بجانب ماجد ، وجلست وقد ابتعدت ما بين ساقيها وارتكزت بذراعيها فوق فخذيها .. وصاح مدحت :

– واحد روك اندرل علشان خاطر مايسة !

وصاح نبيل وهو يقرب كأس البيرة من وجهها :

- فى صحة التقل ..

وقالت مايسة وهى تضحك :

- بس يا عيال .. اتلموا !!

وقال ماجد وهو يصطنع صوتا غليظا كصوت يول بريئر ممثل السينما :

- اتأخرتى ليه ؟!

وقالت مايسة وهى لا تنظر إليه

- اصلى جيت ماشية .. مامى خدت العربية !

وسكت ماجد .. وظل جالسا بجوارها وقد مد ذراعه ووضعه فوق سور الكابين حتى يستطيع أن يبرز عضلات صدره .. وضم شفتيه بعد أن وضع بينهما ابتسامة صغيرة .. وارتسمت على وجهه إمارات صلابة صبيانية .. واكتفى بهذا .. اكتفى بأنه يمكن أن يكون يول بريئر الممثل السينمائى !!

وأخذت مايسة تدير عينيها بين أفراد الشلة .. إنها يجب أن تنجح فى هذا الحفلة كما نجحت فى كل حفلة .. والنجاح فى الحفلات مهمة شاقة تقتضى أن تحتفظ بابتسامتها طوال الليل .. وأن ترقص كل رقصة .. وأن تكون منتبهة لكل كلمة حتى ترد عليها بنكتة .. وأن تجذب إليها كل الشبان .. وأن تحسب حساب كل حركة من حركاتها حتى تبدو رشيقة دون أن يلحظ أحد إنها تتعمد الرشاقة .. يجب أن تعيش فى كل دقيقة حتى تنتهى الحفلة دون أن يتهمها أحد بثقل الدم ، أو بالعنطزة ، أو بالبرود .. إنها مهمة شاقة .. ولكنها تعودتها ونجحت فى كل الحفلات التى دعيت إليها .. كانت نجمة كل حفلة .. ولكنها اليوم لا تريد أن تكون نجمة .. ولا تريد أن تنجح .. لا تريد أن تسعى وراء شىء تعرفه .. تريد شيئا لا تعرفه .. شىء يأتى

إليهـا من الليل ، أو من البـحر ، أو من السـماء المحتـقنة بلون الدم ..

وعادت تدير عينيهـا بين المدعوين .. إن زيزى ألقت برأسـها فـوق صدر فـتـحى .. وتكاد تبكى .. إنهـا فى كل حـفلة تلقى برأسهـا فوق صدره وتكاد تبكى .. هذه المغفلة .. كـيف تسمح لها كـرامتهـا بأن تضعف كل الضـعف أمام شـاب .. إنها تكاد تجن كلما رأت فتاة بهذا الضعف .. ولكن ربما كانت تحسدها .. وربما كانت تتمنى فى قرارة نفسها أن تضعف إلى هذا الحد ..

وحسـين انتـهز فرصـة غيـاب ديدى وأخذ يغـازل تاتى .. الكلب .. لماذا لا تصفعه تـاتى .. لماذا لا تهجره ديدى .. لو كان معـها مسـدس لأطلقته عليـه .. ولكن .. إن ديدى أسـعـد منها ، إنها على الأقل تتألم الآن لأنها ليست مع حسـين وغدا ستسعد بلقائه .. حتى لو كذب عليها .. حتى لو كان يخدعها .. إنها تجد ساعات من السـعادة وساعات من الألم .. أما هى فـتعيش فى فـراغ .. لا سـعـادة ولا ألم .. لا شىء لهـا .. لا شىء تملكه .. ليس لها فتى يخدعها ويكذب عليها ، ويمنحها السعادة بخداعه وكذبه .. لماذا هى ذكيـة إلى هذا الحد ، ولماذا هى قوية إلى هذا الحد .. لماذا لا يهبـها الله الغباء والضعف حتى ترضى لنفـسها بواحد من هؤلاء الشبـان ، وتتركه يخدعهـا وترضى بخداعه ، ويكذب عليـها وترضى بـكذبه .. إن السعـادة خداع وكـذب .. أولاد يخدعون البنات ، والبنات يخدعون الأولاد .. وهى ليست سعيدة لأن احدا لم يستطع أن يخدعها أو يكذب عليها ..

وقامت فجأة من جلستها ..

يجب أن تقاوم هذا الملل الذى يسرى فى عروقها .. يجب أن تبدو مرحة .. يجب أن تنجح فى هذا الحفلة كما نجحت فى كل

حفلة . إنها قد لا تكون سعيدة ، ولكنها لن تدع الأمواج تحطمها على صخور اليأس ..

وصاحت بعد أن وضعت بين شفتيها ابتسامة كبيرة :

– حسين .. حافتن !!

وقفز حسين من جانب تانى وهو يصيح :

– فى عرضك .. ولا أقول لك .. افتننى بس ارقصى معايا الرقصة دى !

ووضعت ذراعيها فوق كتفيه قائلة :

– حارقص معاك .. بس على شرط تقعد مؤدب !

وقال حسين وهو يخاصرها :

– أنا نفسى حد يفتن علىّ أنا وأنت .. تيجى نخلى الناس كلها تفتن علينا !

وقالت وهى تضحك :

– اتلهى .. دى ديدى برقبتك .. أنت ما تستاهلش ضفرها !

ودار بها على أنغام « الكاليبسو » .. وارتفع صوت فكرى يغنى أغنية « زورق الموز » .. وأغمضت عينيها واتسعت ابتسامتها .. كأنها تحلم .. وأخذت تتمايل كعود الورد .. إن كل قطعة فى جسدها ترقص فى نشوة .. كل قطعة ترقص كأنها ترقص وحدها .

وفتحت عينيها لتلتقى بنظرات الإعجاب والحسد التى تحيط بها .. إعجاب تشوبه حسرة ، وحسد تخففه منه ابتسامات نفاق ..

وفجأة لمحته .. شىء جديد !

إنها لا تعرفه ..

إنها لم تره من قبل !

كان واقفا على رصيف الشاطيء مستندا بظهره إلى سور الكابين وفى يده كأس من البيرة .. ولم يكن ينظر إليها !

ودارت دورة أثناء الرقص ، ثم عادت تنظر إليه .. إنه أسمر فى لون لفحة الشمس .. طويل .. يرتدى ثيابه كاملة .. بنطلون وجاكيت ورباط عنق .. ولا تتدلى على جبينه خصلة من شعره .. إن شعره قصير خشن .. كشعر فرشاة البلاط .. ويبدو أكبر سنا من باقى الأولاد .. لعله فى التاسعة والعشرين .. فى الثلاثين .. أكثر .. قد يكون فى الثانية والثلاثين .. ولم يكن ينظر إليها .. كان يتحدث مع سمير - صاحب الحفلة - ويبدو متحمسا فى حديثه .. ولكن صوته خفيض .. إنها لا تستطيع أن تسمع صوته ..

إنها تريد أن ترى عينيه ..

ولكنه لا ينظر إليها ..

لماذا لا ينظر إليها ؟

وحاولت ألا تجيب على هذا السؤال .. حاولت أن تنهمك فى الرقص .. ولكنها ما كادت تدير ظهرها له حتى أحست بعينيه تلسعان قفاها .. فاستدارت بسرعة لعلها تلتقى بعينيه .. ولكن ، لا .. إنه لا ينظر إليها ، ولا يزال منهمكا فى حديثه ، دون أن تسمع صوته ..

وعادت ترقص .. ولم يكن يهمها منه إلا أنه شىء جديد ..لعله يستطيع أن يضع فى الحفلة شيئا جديدا .. لعله يستطيع أن يحكى حكاية جديدة .. لعله يستطيع أن يراقصها بأسلوب جديد ..لعله يستطيع أن يعرض عليهم لعبة جديدة .. أى شىء جديد !

وانتهت من الرقص ، وما كادت تهم بالجلوس بجانب

ماجد ، حق التقت بعينيه .. عينان فى لون العسل ، فوقهما حاجبان كثيفان .. وكان ينظر إليها ولم يكن فى نظرته إعجاب ولا اشتهاء ولا حسرة .. لا شىء مما تعودته فى نظرات الناس .. كان ينظر إليها كأنه يفحصها .. كأنه عالم يدرس طباع حيوان جميل ..

ولم تغضب من نظرته .. إنها على الأقل نظرة من نوع جديد.. ووقفت قبالته تواجه عينيه بعينيها ، كأنها تعينه على دراستها وفحصها .. وطال لقاء عيونهما ، دون أن يخفض عينيه ، ودون أن تخفض عينيها .. ثم وجدت نفسها تبتسم له .. كأن ابتسامتها أضعف منها فلم تستطع أن تقاوم طويلا .. ورد ابتسامتها بابتسامة بخيلة ، لا تكاد تبين بين شفتيه الغامقتين .. ثم أدار عينيه عنها واستطرد فى حديثه مع سمير.

وعادت تحاول أن تتشاغل عنه .. ولكن لم يكن فى الحفلة شىء تستطيع أن تتشاغل به .. دائما نفس الكلمات .. ونفس الصراخ .. ونفس الحركات ..

وحاولت أن تلتقى بعينيه مرة ثانية .. ولكن عينيه كانتا للجميع .. لم يكن يشترك فى الحفلة ولكنه كان يتفرج على المحتفلين كأنه يشاهد مسرحية مسلية ..

لعله ينطلبها للرقص .. ولكنه لا يرقص .. إنه واقف فى مكانه لا يتحرك .. لا ينتقل إلى أحد ولكن البعض ينتقل إليه . إنه يحادث الآن نبيل .. وقد جاءت سمية ووقف معهما .. إن سمية تضحك .. تضحك من قلبها .. ترى ماذا قال لها .. إنها لا تستطيع أن تسمع صوته ..

وقامت من مكانها ، وأخذت تدور داخل الكابين وتقترب

بخطواتها منه ، وتحاول ألا تبدو متعمدة .. ثم وقفت خلفه ونظرت إلى نبيل وقالت :

– بطلت الرقص ليه يا نبيل ؟!

والتفت إليها ، والتقت عيونهما مرة ثانية .. وابتسمت ابتسامة واسعة ، وابتسم ابتسامة بخيلة ..

وقال نبيل وهو يقدمه إليها :

– ما تعرفيش أبو بكر ..

ثم نظر اليه قائلا :

– طبعا تعرف مايسة ..

ولم يبدو أنه يعرفها .. وقال دون أن يمد يده إليها :

– أهلا وسهلا !

لم يقل « هاى » ولا « هاللو » .. قال « أهلا وسهلا » .. شيء جديد .. شيء لم تسمعه من قبل .. واحست أن فى صوته رنة صعيدية .. لم يكن يبدوعليه أنه من الصعيد .. ولكن فى صوته الخفيض رنة الصعيد .. وأحست عندما قال لها « أهلا وسهلا » أن وجهها يحمر حياء كبنات الصعيد .. وإنها يجب أن تسدل على وجهها برقعا كنساء الصعيد .. أحست بالحرج لأنها ترتدى أمامه هذا البنطلون الضيق .. ولفت ساقا على ساق كأنها لا تريد أن يراها وهى فى البنطلون ..

وصمتا برهة ..

لم تجد ما تقوله ، ولم يجد مايقوله .. وأخذت تستعيد اسمه تحت لسانها ، كأنها تتذوق قطعة من الحلوى .. أبو بكر .. إنه اسم طويل .. يخيل إليها أنها تستغرق نصف ساعة لتنطقه كاملا .. يجب أن تختصره .. ماذا تسميه .. بكر .. بيكر .. بكور .. باكى ؟!

وقال نبيل :

- عن اذنك لما ارقص مع مايسة ..

وكرهت نبيل فى تلك اللحظة .. كانت تريده أن يتركها لأبى بكر ، حتى لو طال بينهما الصمت طوال العمر .. لا بد أن وراء صمته شيئا جديدا .

ولكنها كانت مضطرة أن ترقص مع نبيل .. وعندما انتهت من الرقص كان أبو بكر قد انشغل عنها فى حديث آخر .. إنه لا يفعل شيئا إلا أن يتحدث ، وكأس البيرة لا ينتهى فى يده ..

وأبت أن تسعى إليه مرة ثانية .. وبدأت تشعر بالضيق .. إن الحفلة تكاد تنتهى دون أن يحدث جديد !

وظلت تقاوم ضيقها ، وتخفيه تحت ضحكاتها ، ونكاتها ورقصاتها .. حتى تحتفظ بنجاحها فى الحفلة .

وانتهت زجاجات البيرة والكوكاكولا والليمنجو .. وانتهت قطع الساندويتش .. وتعب الجرامفون .. وبدأ الأولاد والبنات ينصرفون .. وهى لا تزال باقية فى انتظار أن يحدث شىء جديد .. وأبو بكر متشاغل عنها وكأس البيرة فى يده لا ينتهى ..

●●●

وانصرفت فى الساعة الحادية عشرة مع آخر دفعة من البنات والأولاد ، معهم أبو بكر .. وخرجوا إلى شارع الكورنيش .. وكانت هناك سيارتان .. سيارة سمير ، وسيارة أبو بكر ..

وقال أبو بكر بلهجة مهذبة وهو يهم بفتح باب سيارته :

- حد يحب أو صله ..

وقال سمير وهو يعد الحاضرين :

- وصل أنت اللى رايحين ناحية ميامى .. فى سكتك .. وأنا

أوصـــل اللى رايحـين ناحيـة جليم !

ونظر الجميع بعضـهم إلى بعض ، ثم قالت سمية :

– ما حدش رايح ناحية ميامى إلا مايسة .

وقال سمير ضاحكا :

– من بختك !

ووقفت مايسة مرتبكة .. وسمعت أبو بكر يقول وفى صوته رنة الصعيد :

– أتفضلى يا افندم !

ونظرت مايسة فى وجوه المحيطين بها كأنها تستغيث بهم ، ثم لمعت عـيناها كـأنها تتـحـداهم ، وصاحت وهى تحـاول أن تضع فى صوتها رنة مرح :

– بونسوار كلكم .. مرسى سمير !

واحست أن صــوتها لم يخرج من بين شـفتيـها مرحا كـما أرادت .. أحست به يـخرج خفـيضـا مرتبكا .. ثم اسـتدارت ، وسـارت نحو سـيـارة أبو بكر .. وفـتح لها الـباب .. وركـبت بجانبه !

ترى ماذا سـيقول لها .. كـيف سيبدأها بالحـديث .. لو قال لها أنها كانت أجمل من فى الحـفلة .. أو لو قال لها أنها أرشق من رقص .. لو قال لها مثل هذا الكلام الذى تعودت أن تسمعه من كل الناس ، فستصفعه .. سـتقتله .. إنها تريده أن يقول لها كلاما لم تسـمعه .. كلاما جديدا .. أن يبـدأها بحديث لم يبدأها به أحد من قبل ..

وطال صمته .. وصمتها ..

وهى لا تزال تنتظر .. قد تبـدد ارتباكها ، ولم يعد فـيها إلا لهفتها على سماع أول كلمة تخرج من فمه .. ترى ماذا تكون ..

وأخـذت تقلب فى رأسـهـا كل الكلام الذى يمكن أن يبـدأ به رجل حديثه .. وفجأة التفت إليها ، وقال فى هدوء :

– انتى متضايقه ليه ؟!

وشـهـقت .. هذه بداية جـديـدة فـعـلا .. ونظرت إليـه فى دهشة ، وقالت :

– متضايقة !! مين قال لك إنى متضايقة ؟!

قال وهو ينظر أمامه :

– ما حادش قال لى ..

قالت وهى تميل برأسها إلى الأمام لتتمكن من رؤية عينيه :

– أمال عرفت منين !

قال ونبرات صوته لا تتغير :

– ما عرفتش .. ده مجرد إحساس !

قالت كأنها ضاقت ببروده :

– أقدر أعرف الإحساس ده ، جالك منين ؟!

ونظر إليها نظرة سريعة ، ثم عاد ينظر أمامة قائلا :

– انتى زعلتى منى ؟

قالت وفى صوتها نبرة احتداد :

– ما زعلـتش .. بس عايزة أعـرف إيه اللى فى شكلى ممكن يخلى الناس تفتكر إنى متضايقة !!

ونظر إليها وبين شفتيه ابتسامته البخيلة ، وقال :

– مافيش حاجة فـى شكلك .. لو كانت المسألة بالشكل كان لازم تكونى أسعد بنت فى العـالم .. إنما الشكل حاجة والنفس حاجـة تانية .. وأنا حاسس إن نفسك مـتضايقة .. مـا أعرفش ليـه .. يـمكن علشـان كـنت بتـضـحكى دائمـا .. ضـحكتك ما استـريحتش ولا تانية .. ويمكن علشان بتـرقصى كويس ..

كويس قوى .. وبترقصى الروك والكاليبسو والسامبا أحسن من التانجو والفوكس ..

قالت تقاطعه :

– يعنى لازم أرقص وحش علشان أبقى سعيدة ؟!

قال كأنه يشرح نظرية :

– لا .. إنما حاييجى يوم حاتلاقى فى نفسك بتفضلى التانجو على الروك .. وتلاقى خطواتك فى الرقص بقت أبطأ وأهدأ .. وتلاقى نفسك بتضحكى بعينيكى أكثر ما بتضحكى بشفايفك ..

قالت كأنها تحاول أن تسخر منه :

– قصدك لما اعجز ؟!

قال فى هدوء :

– لأ .. لما تبقى سعيدة !

قالت وهى لا تزال تحاول أن تسخر منه :

– اطمئن .. أنا سعيدة .. سعيدة قوى .. قوى .. قوى ..

وسكت .. لم يرد عليها ..

وفوجئت بسكوته .. واضطرت أن تسكت معه .. ثم خيل إليها أنها أغضبته .. لقد كذبت عليه .. إنها ليست سعيدة .. إنها متضايقة فعلا .. إن الضيق يخنق أيامها .. وهو يعلم ذلك .. ويعلم أنها تكذب عليه .. كأنه يعيش فى نفسها .. إنها تحس به فى نفسها ..

وبحثت فى ذهنها عن شىء تقوله لترضيه .. لتعتذر عن كذبها ، وتخرجه عن صمته .. وقالت فجأة كأنها تلقى سؤالا قبل أن تفكر فيه :

– انت عندك كام سنة ؟

ونظر إليها مبتسما ، وقال :

- تلاتين .. تلاتين إلا شهرين !

قالت وهي تضحك ، كأنها تغريه أن يضحك معها :

- مش معقول .. على الأقل عندك خمسين سنة !

قال وقد اتسعت ابتسامته قليلا :

- ليه ؟

قالت :

- لأنه باين عليك سعيد .. لا بترقص ، ولا بتضحك .. تبقى عجوز ، وعلى حسب كلامك تبقى سعيد !!

ولم يضحك .. إنما التفت إليها بكل رأسه ، ونظر إليها بكل عينيه العسليتين كأنه يحاول أن يغرقها في بحر من العسل ، وقال في صوت جاد ورنة الصعيد تتساقط من فوق شفتيه :

- انتى بتحبى ؟

وفوجئت.. واستدارت كتفيها على باب السيارة كأنها ذعرت ..كأنه أطلق عليها رصاصة .. إنه سؤال جرىء ، ألقاه بلا مقدمات ، ولكنها بعد برهة أحست بأنه سؤال عادى ، من حق أى واحد أن يسأله .. من حقه هو أن يسأله .. وتبدد إحساسها بالمفاجأة ، ولكنها ظلت تحس بالارتباك .. ارتباك يشوبه حياء .. وقالت وهى تبتعد بعينيها عن عينيه وتنظر فى راحة يديها الموضوعتين فوق حجرها :

- لا ..

ما باحبش !

قال وهو لا يزال ينظر إليها يحاول أن يغرقها فى بحر العسل :

- ولا عمرك حبيتى !

قالت :

- لا ..

قال :

- ولا افتكرت يوم أنك حبيتى .. مجرد وهم !

قالت :

- الحب مش وهم .. إذا كان وهم ما يبقاش حب ، وإذا كان حب ما يبقاش وهم ؟

قال وقد عاد ينظر إلى الأمام ، كأنه ينظر إلى سراب :

- بالعكس .. كل أحاسيسنا أوهام .. الحب وهم ، والسعادة وهم .. مافيش حاجة مش وهم إلا الحاجة اللى تقدرى تمسكيها بايديك .. والحب مايتمسكش بالايد .. الحب إحساس ، وكل إحساس وهم !

ونظرت إليه كأنها تحاول أن تفهمه :

- يعنى قصدك كل اللى بيحبوا دول ، عايشين فى وهم !

قال كأنه يقرر حقيقة :

- فعلا .. عايشين فى وهم .. والشاطر فيهم هو اللى يفضل عايش فى وهمه قد ما يقدر .. وطول ماهو عايش فى وهمه يبقى سعيد لو دور على الحقيقة ولقاها ، حيخسر الحب ويخسر السعادة ..

قالت كأنها تعانده :

- لأ .. فيه حقيقة فى الحب ؟

قال كأنه يخاطب طفلة :

- إيه هى الحقيقة دى !

قالت فى حماس :

- الجواز !

واتسعت ابتسامته ، وقال :

- الجواز مالوش دعوة بالحب .. ومالوش دعوة بالسعادة .. الجواز ده معمول علشان الناس .. علشان المجتمع .. مش علشان الناس اللى متجوزين !!

وسكت قليلا ، وهى تنظر إليه مبهورة الأنفاس كأنها تقاوم الغرق فى بحر العسل .

ثم استطرد قائلا فى صوت بطىء كأنه يضع كلامه فى رأسها كلمة ، كلمة :

- انتى مش تعرفى اتنين كانوا بيحبوا بعض جدا ، واتجوزوا ، وبعد الجواز كرهوا بعض موت .. تعرفى كرهوا بعض ليه .. علشان افتكروا إن الجواز حقيقة .. افتكروا إن الجواز هو الحب وهو السعادة .. كل واحد فيهم اتكل على الجواز وما بقاش يعمل مجهود علشان يفضل عايش فى الوهم اللى كان عايش فيه مع التانى .. الرجل ما بقاش يقول الكلام اللى كان بيقوله للست .. مابقاش يحلق لها ذقنه ، ويلبس كويس ويحاسب فى كل حركة من حركاته .. والست كمان مابقتش تعمل مجهود .. مابقتش تتزوق ، ومابقتش تهرب معاه بعيد عن الناس .. الاتنين فرحوا بالجواز أكثر من فرحتهم بالحب .. اعتقدوا إن الجواز هو الحب .. إن الورقة اللى كتبها المأذون كفاية علشان يعيشوا فى السعادة اللى كانوا عايشين فيها .. وبعد كام يوم ، ولا كام شهر ، بيكتشفوا إنهم غلطانين .. يكتشفوا أن الحب مالوش دعوة بالجواز .. يكتشفوا أنهم فقدوا الوهم .. الوهم الجميل .. ويندموا .. ويبكوا .. ويخونوا بعض كل واحد من الاتنين يروح يدور له على وهم جديد ..

وأحست بمنطقه يلف رأسها .. وأحست كأن دخانا معطرا

يسـرى فى عـروقـهـا ويخـدرها .. وبدأت تطبق كـلامـه على حيـاتها .. إن الفترات السـعيدة فى حيـاتها كانت كلها فـترات وهم .. وكانت سعـيدة بهذا الوهم .. لقد أحـبت أول مرة وهى فى الرابعـة عـشـرة من عمـرها .. أحـبت فـتى التـقت به على الشـاطىء ، ثم ما كـاد الصـيف ينتهى حـتى تبـدد وهمهـا .. وتبددت سـعادتها .. وبدأت تعـانى الضيق والفـراغ .. وأحبت للمرة الثـانية وهى فى السادسـة عشرة .. فـتى التقت به على الشاطىء أيضا .. إن قلبها لا يفتح للأوهام إلا على الشاطىء .. فى الصيف .. كأنها تصطاد أوهامها من البحر .. وأحبت للمرة الثـالثـة .. والرابعـة .. وكـانت كلهـا أوهامـا .. ولكنهـا أوهام جميلة .. أوهام سعيدة .. إن الحقائق لا تجلب السعادة ..

الحقـائق !! أين هى الحقائق فى حـياتها .. إنها تعـرف أنها جميلة .. وهذه حـقيقة .. ولكن جمالها لا يجلـب لها السعادة .. وهى غنية .. وهذه حـقيقة أخـرى ، ولكن غناها لا يستطيع أن يشـترى لهـا السـعادة .. إن السـعـادة فى الأحاسـيس .. فى الأوهام .. وهى تفضل أن تعيش فى وهم سعيد ، عن أن تعيش فى حقيقـة شقية ، أو أن تعيش فى فراغ ليس فيه حـقيقة ولا وهم ..

وأطلت من نافـذة السيـارة كأنهـا تبحث عن وهم جـديد .. واكتشـفت أنها تعدت بيتـها ، ولكنها لم تقل شيـئا .. لم تطلب منه أن يعود بـها .. خيل إليـها أنها لم تركـب معه صـدفة إنما ركبت معه بناء على موعد يطول العمر كله .. وهو أيضا لم يقل شيئـا .. لم يسألها أين يقع البيت .. إنما ظل يقـود سيارته فى هدوء كأنه من حـقه أن يأخذها مـعه إلى آخر الدنيـا .. وانتهى طريق الكورنيش ، وتعدت السـيارة قصـر المنتزه ، ودخلت فى

الطريق المؤدى إلى ضاحية أبى قير !

التفتت إليه قائلة ، وفى صوتها رنة ارتباك كأنها تتخبط بين الغيوم !

– ويا ترى انت سعيد ؟!

وقال فى صوته الخفيض كأنه يحلم :

– أنا سعيد بأوهامى .. وطول عمرى أحاول أتمسك بأوهامى علشان أفضل سعيد .. حياتى مليانة حقائق كتير .. إنما الحقائق عمرها ما قدرت تسعدنى .. أنا مثلا مهندس .. وأول حاجه بنتها ، كانت فيلا فى المعادى .. فيلا جميلة .. فيلا بتمثل حقيقة أقدر ألمسها بايدى .. طوب فوق بعضه عملت منه حاجه حلوه .. ورغم كده ما كنتش سعيد .. كان لازم أدور على وهم أعيش فيه .. وهم أحس بيه من غير ما ألمسه بايدى .. واتوهمت إنى بنيت ناطحة سحاب .. أو أتوهمت إنى أقدر أبنى ناطحة سحاب .. وعشت فى الوهم ده .. ولغاية دلوقت مابنتش ناطحة سحاب ، ويمكن مش حا بنيها طوال عمرى .. إنما طول ما أنا فاكر أنى حابنيها وأنا سعيد .. سعيد باعتزازى بنفسى وبمهنتى !!

ونظرت إليه مبهورة بمنطقه ، وقالت :

– وبقية حياتك .. برضه كلها أوهام ؟

ونظر إليها قائلا :

– كلها أوهام .. ولما ما لقيش وهم أعيش فيه ، أروح السينما علشان أتوهم إنى بطل الفيلم ، ولاّ اقرا قصة علشان أتوهم إنى بطل القصة ، ولاّ اقرا كتاب فى السياسة ولاّ فى العلم ، علشان أتوهم إنى زعيم سياسى ، ولاّ عالم من العلماء .. انتى ما بتقريش كتب ؟!

قالت كأنها لا تستطيع أن تكذب عليه :

– لا .. مش كتير !!

قال كأنه يشفق عليها :

– يا خساره .. ده مافيش أجمل من قراية الكتب .. أنا عندى مجموعة قصص مدهشة حاديها لك تقريها وتدعى لى ..

وأدار سيارته دون أن يستأذنها وعاد بها إلى طريق الكورنيش .. ولم تسأله شيئا .. إن كل ما فيها منساق معه .. إنه يقدم لها عالما جديدا مثيرا .. وهى تريد أن تعرف هذا العالم .. تريد أن تدخله وتعيش فيه .. قد يكون عالما خطيرا .. ولكنها تريد شيئا خطيرا .. شيئا يبدد هذا الملل والضيق الذى يجثم على صدرها ..

وأوقف سيارته أمام عمارة كبيرة قريبة من شاطىء ميامى .. ثم نزل وهو يقول لها ببساطة :

– تعالى !

ونظرت إليه بعينين مفتوحتين كأنها تريد أن تشق رأسه وتقرأ أفكاره .. ولكنه كان بسيطا ، طبيعيا ، لا يبدو عليه الارتباك ، ولا يبدو عليه أنه يحاول أن يخدعها ..

ووقف برهة ينتظرها إلى أن تنزل من السيارة ، كأن ليس لديه شك فى أنها ستنزل .. كأن ليس هناك ما يثير فى صدرها شكا أو ترددا ..

وزمت شفتيها ، وجمعت شجاعتها ، ثم نزلت من السيارة ، كأنها تلقى بنفسها فى بحر الليل .

وسارت بجانبه صامتة .. ودخلا المصعد .. ورأت إصبعه يمتد ويضغط على الزر الخاص بالدور التاسع .. آخر دور .. وسمعته يتكلم .. لعله كان يتكلم عن الكتاب الذى اختاره لها ..

ولكنها لم تكن تعي كلامه كله .. كان قلبها يخفق ، ويثير في صدرها ضجيجا يطغى على صوته .. كانت خفقات قلبها تسألها : ماذا سيحدث .. ماذا سيحدث .. ماذا سيحدث ؟!

إنها ليست المرة الأولى التي تذهب فيها مع شاب إلى شقته الخصوصية ، أو تنفرد معه في سيارة .. وهي تعلم ما يحدث عادة .. ولكنها في هذه المرة تنتظر شيئا جديدا .. شيئا لم يحدث لها من قبل .. وهي تستطيع دائما الدفاع عن نفسها .. إن أحدا لم يستطع أن يأخذ منها أكثر مما أرادت أن تعطيه .. ولكنها في هذه المرة لا تفكر في الدفاع عن نفسها .. إنها تفكر فيما سيحدث لها .. شيء جديد .. جديد !

ووقف بهما المصعد .. وفتح لها الباب ..

وسمعت صوت سلسلة مفاتيحه وهو يخرجها من جيبه .. صوت كصليل سلسلة غليظة يهم أن يقيدها بها ..

وفتح لها الباب وسبقها في الدخول قائلا :

– استنى لما افتح لك النور .. أحسن تتكعبلي في حاجة !

وفتح لها النور .. ودخلت .. وأغلق وراءها الباب !

إنها شقة صغيرة حجرتان مطلتان على البحر .. وفيها أشياء جميلة .. إنها تستطيع أن ترى فيها أشياء جميلة .. المقاعد .. وتحف صغيرة .. وصور معلقة على الحائط ..

وتقدمها إلى إحدى الحجرتين .. حجرة مزدحمة بأشياء كثيرة .. ريكوردر .. وجرامفون .. وراديو .. وأدوات شاي .. وكل شيء في فوضى .. والكتب .. عشرات الكتب .. ملقاة على الأرض ، وفوق المائدة ، وفوق المقاعد ، وفوق الأرفف .. وزجاجة قديمة مثبت في فوهتها شمعة متآكلة ، كأنها امرأة عجوز بيضاء ملتفة بدموعها ..

ووقف ينظر إلى الكتب كأنه ينظر إلى قطط أليفة تمرح حوله ، وقال :

– المشكلة دلوقت إزاى حلاقى لك الكتب !

وجلس على الأرض ، بين الكتب ، وهى لا تزال واقفة فوق رأسه .. وتنظر إليه .. وسقطت عيناها من فوق يديه .. يديه بالذات .. إن فى يديه شعرا .. شعر خفيف .. وأحست كأنها تريد أن تنزع شعرتين من شعر يديه .. نزوة عجيبة ، ولكنها تحس بها وتتملكها .. إنها تبذل مجهودا كبيرا حتى لا تمد يديها وتنزع شعرتين من فوق يديه ..

وسمعته يقول :

– حقه لو قدرت يوم ترّتبى لى الأوده دى .. تبقى ست الستات !!

قالت وهى تبتسم :

– دى عايزه واحده تقعد فيها طول عمرها لغاية ما ترتبها !

ورفع إليها نظره ، قائلا :

– تعرفى واحده مستغنية عن عمرها ؟!

ولم ترد .. وبين شفتيها ابتسامة بلهاء !

وقال ، وهو يشير إليها لتجلس بجانبه على الأرض :

– تعالى دورى معايا على كتاب أصفر مكتوب عليه : قصص من الصين !!

وجلست بجانبه .. بعيدة عنه .. وأخذا يبحثان عن الكتاب .. وكل كتاب يلتقطه بيديه يحدثها عنه ..

وتضايقت من حديث الكتب .. إنه حديث لذيذ .. ولكن لا بد أن هناك شيئا آخر .. شىء يفعله .. أو على الأقل يحاول أن يفعله !

وصرخ كأنه وجد الدنيا :

- أهو الكتاب ..

ورفع الكتاب بيده ، قائلا :

- أنا حاديه لك بس على شرط ترجعيه تانى .

وأخذت الكتاب بلا حماس ..

وقام من على الأرض ، وخرج من الغرفة .. وخفق قلبها .. ماذا سيحدث بعد ذلك ؟!

وعاد بعد دقيقة ، وقال وابتسامته البخيلة قد اتسعت قليلا :

- آسف !

وقالت فى دهشة :

- آسف على إيه ؟!

قال :

كنت عايز أقدم لك قزازة كوكاكولا .. مالقتش حاجة فى الفرجيدير !

وقالت وهى تحاول أن تبتسم :

- معلهش .. ياللا بينا ننزل بأه .. ده أنا اتأخرت قوى !

ولم يعترض ..

وتقدمته .. وفتح لها الباب .. ثم فجأة أمسكها من ذراعها ، وقال ورنة الصعيد تتساقط من شفتيه :

- مايسة !

واستدارت بوجهها إليه .. ولم يتكلم .. نظر فى عينيها طويلا .. وأحست بأنها تغرق فى بحر العسل .. وظل ينظر إليها .. ثم خيل إليها أنه يقترب منها بشفتيه الغامقتين .. نعم ، إنه يقترب بشفتيه .. ولم تبتعد .. إنها تريد أن تجرب هاتين الشفتين .. لعل فيهما جديدا .. وسقطت شفتاه فوق زاوية

شفتيها .. نعم . إن فيهما شيئا جديدا .. إنهما قاسيتان .. إنهما ترشفانها .. كأن فيها شوكـا .. إن الشوك يقترب من شفتيها .. يملأ شفتيها .. إنهـا تحس به فى دمها .. يدغدغها .. لا .. ليس فى شفتيه شىء جديد .. إن الجـديد فيها هى .. إنها تحس أنها إنسانة أخرى .. تحس إنها امرأة !!

وابتعدت للشفاه .. وظل ينظر إليها ، والعسل يغرقها وقالت مبهورة الأنفاس وهى لا تنظر إليه :

عملت كده ليه ؟

قال فى صوت أجش :

– ما أعرفش .. ما أعرفش يا مايسة ! .

قالت :

– يا ترى ده وهم جديد !

قال وهو لا يزال ممسكا بكتفيها :

– ما تسأليش نفسك إذا كان ده وهم ولا حقيـقة .. اسألى نفسك إذا كنت سعـيدة ولا مش سعيدة .. عمرك مـا حاتعرفى الوهم من الحقـيقـة ، إنمـا حـاتعرفى دايمـا إذا كنت سـعـيدة ولا لأ ..

وقالت وهى تستدير ناحية الباب :

– أنا مضطرة أنزل دلوقت !

قال وهو لا يطلقها من بين يديه :

– قوليلى إنك سعيدة .. إنى ماغلتطش معاكى !

وابتسمت ابتسامة كبيرة .. وفهم إنها سعيدة !!

وخـرجت نحـو المصـعـد .. إن خطواتهـا لم تعـد سـريعـة ضيقة ..

إنها تسير فى خطوات بطيئة هادئة .. كأنها تنزلق على قطع

من السحاب .. وجسدها لا يهتز ، ولكنه يسبح فى الفضاء .. وركبا السيارة .. وقال لها وقد وقف بها أمام بيتها :

– حاشوفك بكره ؟

قالت وفى عينيها ضحكة هادئة :

– فى ميامى ؟!

قال :

– لا .. فى المعمورة .. أنا ما بقدرش أروح ميامى .. بيتهيألى أن كل حاجة هناك بترقص روك اندرول .. البنات والأولاد والشماسى والكباين والكلام والأفكار ، والجرسونات والغطاسين .. كل حاجة هناك بترقص روك اندرول .. البنات ماشيين يقولوا « روك » .. والأولاد ما شيين يقولوا « رول » .. وأنا ما باحبش الروك ولا الرول !

قالت وابتسامتها تملأ وجهها :

– المعمورة بترقص تانجو .. مش كده !

قال وهو يكاد يضحك :

– أيوه !

قالت :

– أنا نفسى بكرة أرقص تانجو !

والتقت عيونهما .. كأنهما تواعدا فى الغد ، على قبلة !

●●●

وكذبت على أمها .. قالت لها إنها ذاهبة لقضاء اليوم مع صديقاتها على شاطئ المنتزه .. ولا تدرى لماذا كذبت عليها .. إن أمها لم تكن لتعارضها لو قالت لها إنها ذاهبة إلى المعمورة .. ولكنها أحست لأول مرة أن هناك شيئا لها وحدها.. شىء لا تحب أن يشاركها فيه أحد ، حتى أمها .. شىء كالسر كوهم كبير !

وذهبت إليه .. وكان ينتظرها فى كابينه .. وبدلت ثيابها هناك .. ونزلت معه إلى البحر .. إنه يعوم كأنه يستحم فى « البانيو » .. إنه لا يجيد السباحة .. ولم تكن تعتقد أنها فى يوم من الأيام ستعجب بشاب لا يجيد السباحة .. ولكنه أعجبها.. بل إنها بدأت تسبح مثله .. كأنها نسيت كيف تسبح .. كأنها فتاة من الصعيد .. لم يكونا يسبحان ، ولكنهما كانا جالسين على مقعدين من الماء .. وكان يتكلم .. يتكلم دائما .. وكلامه لذيذ .. لقد قضت معه فى البحر أكثر من ساعتين .. يتكلمان ..

وقبلة أخرى .. لا شىء أكثر من قبلة .. إنه لم يحاول شيئا أكثر ، ولم تكن تريد منه شيئا أكثر ..

وتعدد اللقاء ..

كان كلما أرادها ، يمر أمام كابينها على شاطىء ميامى .. وينظر إليها بطرف عينيه .. ثم يسبقها إلى سيارته ، وتلحق به .. كان كلاهما لا يريد أن يعرف أحد سرهما .. كانا لا يريدان أن يشركا أحدا فى وهمهما الكبير ..

وكان كل يوم يفتح أمامها بابا جديدا .. ولكن الجديد لم يكن فيه هو .. كان الشىء الجديد كل يوم فى نفسها .. وجدت فى شفتيها شيئا جديدا .. وفى أفكارها شيئا جديدا .. وفى قطعة من جسدها شيئا جديدا .. لقد أعطته كثيرا .. لا .. لقد اعطت نفسها .. لم تحس أبدا أنها تعطيه .. ولم تحس منه أنه يأخذ .. كانا يخطوان سويا ، ويفتحان أبوب عالمهما الجديد ، بابا بعد باب ..

وكانت سعيدة ..

هل هى حقا سعيدة ؟!

إن هناك شيئا يشوب سعادتها ، لا تدرى ما هو ..

إنها دائما تسأل نفسها هل هى سعيدة .. مجرد تساؤلها يهز إيمانها بسعادتها ..

وهى دائما تحس إنها تعيش فى وهم .. وتقتات من الوهم .. والذين يسعدون بالوهم ، يجب ألا يحسوا بأنه وهم .. وهى تحس به .. تحس بأنه مجرد وهم !

هناك شىء ينقصها .. ولا تدرى ما هو ؟

إنها تحس أحيانا أنها تائهة .. غارقة فى بحر من العسل .. بل إنها تحس أحيانا أن هناك ناحية فى أبو بكر لا تفهمها .. ولا تعرفها .. تحس أنها لا تستطيع أن تمسك به بيديها .. تحس أنه هو الآخر وهم .

كانت تشعر بالخوف .. الخوف من أن تصحو يوما من النوم فلا تجد فى أبو بكر شيئا جديدا ، ثم تعود كما كانت غارقة فى الضيق والملل ..

إلى متى تستطيع أن يشعرها بجدته .. إلى متى يستطيع أن يحتفظ بها ويحتفظ بلهفتها على الأشياء الجديدة .. لا تدرى .. ولكنها تحس فى أعماق نفسها بأنها لا تستطيع أن تعيش طول حياتها على الأشياء الجديدة .. تحس إنها فى حاجة إلى شىء قديم تحبه ويملأ عمرها رغم أن ليس لها فيه جديد ..

ومر من أمام كابينها يوما ، ونظر إليها بطرف عينيه .. وكان بجانبها بعض صديقاتها ..

فقالت سميحة وهى تتبعه بعينين تتمنيانه :

– ياختى عليه .. جنان .. أنا مستعدة أمشى وراه لآخر الدنيا .. بس ياخسارة !

وقالت مايسة فى دهشه :

– خسارته إيه ؟

قالت سميحة :

– بيحب .. بقاله أربع سنين بيحب واحدة متجوزة ..و..

وقاطعتها مايسة وعيناها تبرقان :

– متجوزة ؟

قالت سميحة :

– أيوه .. متجوزه وما حدش قادر ياخده منها أبدا !

قالت مايسة وكأنها تدافع عن نفسها :

– كدب .. كدب .. حرام عليكى بلاش تشنيع ..

قالت سميحة :

– أبدا والله مش تشنيع ..

قالت مايسة :

– طيب اسمها إيه ؟

قالت سميحة :

– ما عرفش .. إنما أعرف أنها بتقعد فى بلاج نمرة ٢ مكرر مع شلة طنط فريده ..

وسكتت مايسة .. ثم قامت بعد فترة ، ولحقت به فى سيارته .. كانت تحس بجرح فى قلبها .. تحس أنها أهينت تحس أن الناس كلهم يخرجون لها ألسنتهم ويعايرونها برجلها إنها لا تريد أن يتحدث الناس عنها وعن أبو بكر .. ولكنها لا ترضى أن يتحدث الناس عن أبو بكر وامرأة أخرى ..

وقالت له كأنها لم تعد تستطيع أن تصبر على إهانتها :

– انت بتعرف واحدة يا بكر ؟

ونظر إليها كأنه بوغت بالسؤال .. ثم عقد ما بين حاجبيه ونظر أمامه وقال بعد صمت برهة :

- أيوه !

ولم تكن تنتظر اعـتـرافا . كـانت تنتظر منه أن ينكر حـتى لو كان كاذبا فى انكاره ..

وعادت تقول كانها تتوسل إليه أن يكذب عليها :

- قصدك كنت بتعرف واحدة ؟

قال :

- لا .. أنا باعرف واحدة !

قالت فى مرارة :

وماسبتهاش ليه ؟

قال :

ما قدرش أسيبها !

وسكتت كأنمـا تحاول أن تلعق جراحـها بلسـانها .. وبدأت تبحث له عن حجة تبرر بها صراحته .. إنه على الأقل لم يكذب عليهـا .. لم يخف عنهـا شيئـا من نفســه .. لم يخدعـهـا .. إنه إنسان صادق .. حتى ولو كان صدقه مرا ..

وقالت بعد برهة وهى تحـاول أن تبتسم ، وأصابعـها تنقر على حافة مقعد السيارة كأنها تعد ضربات قلبها :

- أقدر أعرف اسمها إيه ؟

قال وهو لا يزال مقطب الجبين :

- لا .. مش من حقى أقول على اسمها ..

- امال من حق مين ؟

قال :

من حـقـهـا هى .. لو حـد سـألنى عن اسـمك برضـه مش حاقول !

قالت :

- مرسى .. يعنى خايف عليها .. زى ما بتخاف عليّ !

قال :

لازم تشجعينى على كده ..

قالت :

- سمعت إنها متجوزة !

قال :

- ما أقدرش أقول لك !

قالت :

- بيقولو إنها ..

قال فى حدة :

- مايسة .. أرجوكى بلاش السيرة دى .. مش من حقك ولا من حقى نتكلم عن واحدة مش موجودة .. حكايتى معاها مش سرى أنا لوحدى .. إنما سرها هى قبل منى علشان كده مش ممكن حاتكلم عليها .. ولا حا أسمح لك تتكلمى عليها ..

وقالت مايسة وهى تحاول أن تكتم نزيف قلبها :

- يا سلام .. بتحبها للدرجة دى ؟

قال فى حزم كأنه يشهر سيفا فوق رقبتها :

- أرجوكى بلاش السيرة دى ..

وسكتت .. وسكت .. وطال بينهما الصمت .. وهى لا تزال تنقر بأصابعها على حافة المقعد كأنها تعد ضربات قلبها ..

إلى أن التفت إليها قائلا :

- تحبى نروح فين ؟

ونظرت إليه طويلا كأنها تتحداه .. وقالت ساخرة :

- نروح الشقة !

وأدار سيارته نحو بيته ..

٣

ودخلت مايسة إلى شـقة أبى بكر وهى تحاول أن تخـفى جرحـها وراء تظاهرها بالاسـتهـانة .. الاستهانة بهذه الفتـاة الأخرى التى يعرفها بكر ، والتى اعـترف لهـا بأنه لا يزال يعـرفهـا ، وبأنه لا يستطيع أن يهجرها ..

من تكون هذه الفتاة ؟

إنهـا لا يمكـن أن تكون أجـمل منهـا .. ولا يـمكن أن تكون أرشق منها .. ولا يمكن أن تكون أكثـر منها أنوثة .. ربما كانت تمتاز عنها بأنها زوجة .. والزوجـات الخائنات يمنحن عشاقهن أكثر مما تسـتطيع الفتيات أن يمنحن .. أنهن عـلى الأقل يعفين الرجال من مسئوليتهن !!

ولكن .. هل يحب هذه الأخرى ؟

مستـحيل .. لو كان يحبهـا لاكتفى بها .. لاسـتغنى بها عن كل النساء .. ولكنه لا يحبهـا .. إنه يحبنى أنا .. أنا التى يحتاج إليـها . لو لم يكن يحـتاج إلىّ .. لو لم يكن يحـبنى .. لاكتـفى بالأخرى ..

ولكن لماذا لا يهجر الأخرى ؟

ربما كـانت مجـرد شهـامة منـه .. إنه يحتـفظ لها بذكـرى السنوات الأربع التى منحتـها له من عمرها .. مـجرد ذكرى ..

ومن أجل هذه الذكرى لا يزال يحتفظ بها على سبيل المجاملة .. على سبيل الشهامة .. ولكنها ستجعله يضحى بشهامته من أجلها .. يضحى بالأخرى .. إن أى رجل يرضى بتضحية كل النساء من أجلها .

وظلت مايسة تحاول أن تقنع نفسها بالاستهانة بهذه الأخرى. وأقبلت على أبى بكر كأن ليس فى حياته امرأة غيرها.. حاولت أن تكون معه كما تعودت أن تكون .. بل أكثر مما تعودت أن تكون .. واقتربت منه وبين شفتيها أجمل ابتسامتها .. ثم مدت ذراعيها ولفتهما حول عنقه ، وقالت فى دلال :

– أنا وحشتك ؟!

قال وهو يضمها إليه فى قسوة :

– إنتى دايما وحشانى .. أبص فى عنيكى توحشنى شفايفك ، وأبوس شفايفك توحشنى عنيكى ..

واستمعت إليه كأنها تشرب كلامه بأذنيها .. لقد سبق أن قال لها مثل هذا الكلام .. ولكنها فى هذه المرة تحس فى كلامه مبالغة لم تكن تحس بها .. تحس كأنه يفتعل .. كأنه يمثل .. ورغم ذلك فهى تريد أن تشرب من هذا الكلام .. تشرب كثيرا حتى تسكر .. لعلها عندما تسكر ، تنسى .. تنسى الأخرى !

وقالت فى دلال أكثر :

– طب لما تبوسنى خللى عنيك مفتحة ، علشان تشوف عنيه!

ورفع كفه ومسح به على شعرها ، وعيناه مفتوحتان نصف فتحة كأنه يختار من أين يقبلها .. ثم جذب وجهها إليه فى عنف وقبلها فوق شفتيها .. قبلة قاسية .. كالشوك .. وقد كانت هذه القبلة تثيرها ، كانت تشعرها بأنها امرأة .. ولكنها فى هذه المرة تحس أنه يفتعل هذه القسوة .. كأنه يضغط على أعصابه

متعمدا .. كأنه هو الآخر يحاول أن ينسى الأخرى ..

ورغم ذلك استسلمت لقسوته .. استسلمت كما لم تستسلم من قبل .. وتركت يديه حرتين تمرحان فوق جسدها .. أنها تريد أن تغرق فيه .. تريد أن تحس أن كله لها .. لها وحدها ..

ولكن ، لا .. إنها ترى فى عينيه العسليتين أشياء لم تكن تراها من قبل .. كان هناك امرأة أخرى غارقة معها فى بحر العسل .. وتذوق من شفتيه طعما لم تكن تذوقه من قبل .. كأن فوق شفتيه شفتى هذه المرأة الأخرى .. وتشم فيه رائحة غريبة ، رائحة انثى غيرها .. وكلماته .. أنها لا تستطيع أن تنساق مع كلماته كما تعودت ، إنها تستمع إليه وهى تتساءل :

هل سبق أن قال مثل هذا الكلام للأخرى .. وشكله .. إن شكله تغير .. إنه يكاد يكون إنسانا جديدا .. إنسانا آخر ، تملكه أخرى ..

لا ..

إنها لا تستطيع أن تستهين بهذه الأخرى .. إنها واقفة بينها وبين أبى بكر .. إنها تراها فى كل ساعة ، وفى كل دقيقة ، وفى كل لحظة .. تراها فى نظرته ، وفى قبلته ، وفى لمسات يديه ، وتراها فوق الجدران وقطع الأثاث ..

وجمعت أعصابها ، واستعانت بكل إرادتها ، ثم نزعت نفسها من بين ذراعيه ، وابتعدت عنه ..

ولحق بها وهو نصف مجنون ، فصدته بيديها .

وقالت وضيقها يكاد يخنق كلماتها :

- لا يا بكر .. لازم انزل دلوقت !

وقال وأنفاسه لا تزال مبهورة :

- ليه إيه اللى حصل ؟

قالت وهى تساوى شعر رأسها وتشد أطراف ثوبها :

– ولا حاجة .. بس افتكرت أن ماما مستنيانى فى الكابين !

وسكت .. وأخذ ينظر إليها حتى هدأت أنفاسه .. ثم تقدمها صامتا وفتح لها الباب ..

وظلا صامتين وهما فى المصعد .. ثم وهما فى السيارة .. وكانت تحس بأنها صغيرة .. ضعيفة .. كأنها لا تساوى شيئا .. وكانت تبذل جهدا كبيرا لتستعيد ثقتها بنفسها .. لتقنع نفسها بأن تستهين بالأخرى ..

ووقفت السيارة أمام شاطىء ميامى ، ومدت يدها لتفتح الباب .. وفجأة أمسك بيدها .. أمسك بها بقسوة كأنه يمنعها من أن تهرب منه .. ونظر فى عينيها بكل عينيه .. وقال كأنه يأمرها :

– مايسة ..

ثم سكت ..

ونظرت إليه ، وتنهدت ، كأنها تطرد من صدرها دخانا ، وابتسمت ابتسامة صغيرة ، وقالت وهى تحاول أن تبدو هادئة:

– حاشوفك بكره امتى !!

وابتسم ابتسامة واسعة .. وأطلق يدها من يده .. وقال كأنه استرد عمره :

– بكره الساعة حداشر حافوت من قدام الكابين ..

وهزت رأسها موافقة .. ثم فتحت باب السيارة وما كادت تهم بالنزول حتى عاد يقول :

– مايسة .. حاولى تفهمينى .. أنا واثق إنك تقدرى تفهمينى ..

وعادت تبتسم ابتسامة صغيرة ..
ونزلت من السيارة ..

●●●

ومرت أيام وهى تتعذب ..

عذاب جديد لم تجربه من قبل .. إنه شىء آخر جديد يقدمه لها بكر !

ترى ما شكلها .. هذه الأخرى .. هل هى شقراء أم سمراء .. إنها تعرف ذوق بكر .. إنه يحب الجسد الملفوف ، والساقين المليئتين ، والشفتين الغليظتين .. والعينين الواسعتين .. ويحب عمر العشرين .. أو الواحد والعشرين .. اثنين وعشرين على الأكثر .. والأنوثة المتفجرة .. أنوثة تكفى لتتجاوب مع فحولته .. فحولة الصعيد !!

ولكن هل هى أجمل منها !!

هل هناك فتاة أجمل منها !!

وأحست بشعور التحدى .. تحدى هذه الأخرى .. لم تعد تستهين بها .. إنما هى تتحداها ..

وأعترفت بينها وبين نفسها أن لها غريمة .. هى التى عاشت عمرها والدنيا تدللها ، والبنات كلهن يغرن منها ، أصبح لها غريمة .. وأصبحت تقضى أيامها تبحث عن غريمتها .. تنظر فى وجه كل امرأة صغيرة تمر بها ، وهى تتساءل : هل هذه هى غريمتها !!

وخيل إليها فى هذه الأيام أنها تحب بكر أكثر .. لم يعد حبها مجرد وهم .. إنها تحبه .. وهى تريده .. تريده لها وحدها .. تريد أن تنتصر على غريمتها !!

واندفعت فى المعركة بكل أسلحتها ..

وفى سبيل الفوز به اعطته كثيرا .. أعطته من وقتها ، ومن حنانها ، ومن جسدها ، ومن مالها .. أعطته أكثر مما كانت تعتقد إنها تستطيع إن تعطى .. لعلها تغنيه عن الأخرى .. الأخرى المتزوجة .. وكان يأخذ ما تعطيه فى بساطة .. كأنه يأخذ حقه .. إنه لا يحس بالمعركة العنيفة القاسية التى تخوضها .. لا يحس بالعذاب الذى يمزق قلبها ويشد أعصابها على أسياخ من نار .. لا يحس إنها تعطيه لتغريه بأن يترك الأخرى .. بل إنها لا تعطيه ، إنما تعطى الأخرى ، كأنها ترشوها كى تتركه لها ..

وكانت قد قررت بينها وبين نفسها أن تتظاهر أمام أبى بكر بتجاهل الأخرى .. إنها لا تسأله عنها .. ولا تذكرها أمامه .. ولا تشعره بأن لها شأنا بينهما .. إنها بذلك تستطيع أن تحفظ كرامتها .. تستطيع أن تخفى ضعفها .. تستطيع أن تبدو قوية ، واثقة بنفسها وبأنوثتها ..

وكانت فى أحيان كثيرة تهم بأن تذكر هذه الأخرى .. تهم أن تحدثه عنها .. فتشعر كأن لسانها قد انشق وينزف دما .. تحس بشىء فى داخلها يسيل ، كأن غلاف كرامتها قد ثقب .. فتسكت وتبتلع لسانها ونزيف كرامتها ..

ثم أفلت لسانها مرة وقالت وهى تخفى عنه عينيها حتى لا يرى عذابها :

– انت لسه بتشوفها ؟

وقال كأنه فوجىء :

– مين ؟

قالت وقد رفعت عينيها إليه فى لفتة سريعة ثم عادت وخفضتهما :

- الثانية .. المتجوزة !

وصرخ وهو يضرب المائدة بيده :

- إحنا حنرجع تانى للسيرة دى .. إحنا مش اتفقنا إن مالناش دعوة بيها .. أرجوكى .. أرجوكى يا مايسة .. علشان خاطرى .. إذا كنت بتحبينى ، بلاش تتكلمى عنها ..

وضحكت ضحكة مرة ، وقالت :

- أنا بس حبيت أفكرك بيها .. خفت لا تكون نسيتها !

ثم بلعت المر وسكتت ..

وعادت تتعذب .. وقلب العذاب كل حياتها .. لم تعد تذهب إلى الحفلات .. ولم تعد تنزل البحر لتستحم مع الفتيان .. ولم تعد تذوق لكلمات الاعجاب والغزل طعما .. لم تعد تضحك.. بل خيل إليها أنها لم تعد جميلة .. إنها تنظر إلى المرآة فيخيل إليها أن هناك أجمل منها .. كثيرات .. كلهن يذهبن إلى بكر .. وتضع المساحيق على وجهها فيخيل إليها أنها لم تعد تعرف كيف تضعها .. إن يدها ترتعش وهى تضغط بأصبع الروج على شفتيها ، ثم وهى تمر بقلم الكحل فوق جفنيها .. واحتارت مع تسريحة شعرها .. إن كل تسريحة يخيل إليها أنها بشعة .. فتفك شعرها وتعيد تصفيفه ، ثم تفكه من جديد..

وهى دائما مع بكر .. وإن لم تكن معه فيجب أن تعرف أين هو .. وإن لم تعرف فلابد أنه مع الأخرى .. وتتخيله مع الأخرى .. تتخيله يقبلها .. وتتخيله يضمها .. وتتخيله يلوى شعرها بين أصابعه .. وتتخيله يخلع عنها ثيابها .. إن الزوجات الخائنات يخلعن دائما الثياب .. وتتخيله يضحك وهى تضحك معه .. و .. و .. ويشتد بها العذاب .. ورغم ذلك فهى مضطرة أن تبتلع عذابها .. إنها لا تستطيع أن تصرخ ، ولا

تستطيع أن تشكو .. حتى لو رأتـهما بعينيها مـعا ، لا تستطيع أن تتكلم .. إنه لم يكذب عليها .. لقد اعترف لها .. قال لها إن له امرأة أخرى .. وقد رضيت باعـترافه .. رضيت به على حاله .. رضيت بهذا العذاب .

ولم تكن تغار ..

إنه شيء أكـثـر من الغـيرة .. إنه الـغيظ ، إنه الاحـسـاس بالكرامة المجروحة !

ولكن أين هى الأخرى ؟

من هى الأخرى ؟

لابد أن تعرفها .. لابد أن تراها .. إنهـا لا تستطيع أن تعيش وغريمتها هى كل زوجة صغيرة تمر بها ..

وعادت تسأل صديقتها سميحة عما تعرفه عن هذه الأخرى..

وقالت سميحة وهى تنظر إليها كأنها تريد أن تكشف سرها:

– أنا شايـفاك مهـتمـة قوى بالموضـوع ده ، يكونش بينك وبين بكر حاجة ؟

وترددت مايسة قليلا ، ثم ابتسمت ابتسامة صغيرة ، وقالت:

– تقريبا !!

وصاحت سميحة :

– ياى .. يا بختك ..

وقالت مايسة :

– لسـه مافـيش حاجـة .. إنما أصلى شايفـاه تاعب نفسـه قوى .. وعايزة أعرف كل حاجة عنه !

وأحـسـت مايسـة كأنهـا تحمـى كرامـتهـا وهى تكذب على صديقتها .. تحمى قلبها وجسدها اللذين اعطتهما بسخاء لرجل له امرأة أخرى !

وقالت سميحة :

– وحياتك ما أعرف عنه حاجة ، إلا أنه بيعرف واحدة متجوزة بقاله أربع سنين ..

وقالت مايسة فى لهفة :

– ما تعرفيش اسمها .. ما تعرفيش حاجة عنها ؟

قالت سميحة وهى تنظر إليها فى دهشة :

– أبدا زى ما قلت لك .. اللى أعرفه أنها بتقعد مع شلة طنط فريدة فى بلاج نمرة اثنين مكرر ..

وهبت مايسة واقفة ، وقالت وهى تجذب سميحة من يدها :

– تعالى ندور عليها !!

وقالت سميحة وهى تنقاد لها :

– ده يظهر حكايتك كبيرة قوى .. تكونيش بتحبيه !!

وقالت مايسة وهى تحاول أن تضحك :

– تعالى بس ، وحا أحكى لك على كل حاجة !

●●●

ووصلت الفتاتان إلى شاطىء سيدى بشر « نمرة ٢ مكرر».

وقلب مايسة يخفق .. ويشتد خفقانه كلما اقتربت أكثر .. من غريمتها !

حاولت أن تختار الصورة التى تبدو فيها .. حاولت أن تعود إلى مشيتها التى عرفت بها .. الخطوات السريعة الضيقة .. ولكنها وجدت نفسها تبطىء فى خطواتها .. ثم وضعت على شفتيها ابتسامة واسعة .. ابتسامة استهتار .. ثم عادت وغيرت ابتسامتها ، واختارت ابتسامة ضيقة .. ابتسامة محترمة .. ووضعت يدها فى جيب ثوبها ، ثم عادت ورفعتها وألقتها بجانبها .. إنها مرتبكة .. وفى ارتباكها خوف وتردد .. وهى

تريد أن تتخلص من ارتباكها .. تريد أن تبدو أمام غريمتها ، ثابتة واثقة من نفسها .. ولكنها كانت كلما حاولت أن تتخلص من ارتباكها ارتبكت أكثر ..

واستوقفتها سميحة قائلة :

– أهى شمسية طنط فريدة .. تيجى نسلم عليها !

ووقفت مايسة وقد أحست بدمائها كلها تبرد كأنها تواجه الموت ، ونظرت بعينين مترددتين إلى حيث أشارت سميحة كأنها تسرق بعينيها شيئا ..

وقالت سميحة :

– مالك وقفت كده ، ما تيجى نسلم عليها ..

وقالت مايسة فى صوت خفيض :

– لا .. روحى انتى سلمى عليها ، وأنا حاستناكى هنا !

وتركتها سميحة .. وعادت تسرق بعينيها .. أنها ليست شمسية واحدة .. ثلاث شماسى متلاصقة .. وتحتها سيدات وبنات كثيرات .. سيدات وبنات من كل الأعمار .. وكلهن يتحدثن فى وقت واحد ، لا تدرى من منهن تحادث الأخرى ولا من منهن تستمع للأخرى .. وبنت تلعق بلسانها قرطاسا من « الكلو كلو » .. وسيدة تنادى على بائع اللب .. وفتاة فتحت فوق ساقيها كتابا لا تقرأ فيه .. وغجرية تضرب الرمل جالسة تحت أقدام سيدة عجوز تقرأ لها مستقبلها ، والسيدة لا تستمع إليها كأنها تعرف أن ليس لها مستقبل ..

ثم سقطت عينا مايسة على واحدة ..

إنها هى ..

لابد أن تكون هى غريمتها !!

شابة شقراء جميلة .. نعم ، إنها جميلة .. لا تستطيع أن

تنكر جمالها .. شعرها تشده خلف رأسها فى سبيكة من الذهب .. وبشرتها فى لون اللبن المخلوط بعصير الورد .. وشفتاها كحبتى الكريز .. وعيناها الواسعتان كبحيرة زرقاء فى وسط نهار مشمس .. إنها ناضجة ، متفتحة كحبة التين البرشومى .

لقد عرف أبو بكر كيف يختار لها غريمتها ..

وجاءت إليها سميحة ، فبادرتها تسألها دون أن تنظر إليها :

– هيه دى !!

وقالت سميحة فى دهشة :

– مين ؟

قالت مايسة وهى لا تزال تسرق بعينيها :

– اللى بيعرفها بكر ..

وقالت سميحة وهى تنظر حيث تنظر مايسة :

– قصدك البنت البلوند اللى قاعدة مجعوصة .. يجوز .. على كل حال دمها تقيل ..عرفونى بيها دلوقت .. اسمها زيزى .. ومدت لى طراطيف صوابعها .. باين عليها طالعة فيها قوى!!

وسارت مايسة بجانب سميحة على الشاطىء .. وصورة زيزى تهتز أمامها .. إنها « طالعة فيها » .. هل أحبها بكر لأنها « طالعة فيها » .. هل استطاعت أن تحتفظ به أربع سنوات لأنها « طالعة فيها » !!

وكانت تريد أن ترى بكر .. تريد أن تراه حالا .. لتبحث فيه من جديد عن أثر زيزى ..

ورأته ..

أخذت سيارتها وذهبت إلى المعمورة .. ووجدته جالسا على

الرمل يقرأ فى كتاب .. وفرح لرؤيتها ، وقبل أن تتم فرحته بها، فاجأته قائلة :

– شفتها !

وقال فى دهشة :

– مين ؟

قالت :

– اللى بتعرفها .. اللى مش قادر تسيبها .. لك حق دى حاجة ما تتسابش ..

وسكت أبو بكر ، وعقد ما بين حاجبيه ، وضم شفتيه الغامقتين ، كأنه يكتم صرخة تنطلق فى وجه مايسة ..

وعادت مايسة تقول :

– وبالامارة هى بلوند .. شعرها أصفر يجنن .. مش كده ؟

وقال أبو بكر فى حدة :

– ما أعرفش !!

وقالت مايسة كأنها تغيظه :

– واسمها زيزى !

وقال أبو بكر :

– ما أعرفش !

وقالت مايسة :

– إنما أنا ما كنتش أعرف أنك تحب البلوند ..

وقال أبو بكر وقد بدأ صوته يرتفع ورنة الصعيد تنسكب من بين شفتيه :

– مايسة .. و ..

وقاطعته مايسة قائلة :

– عارفة حاتقول إيه .. ما يصحش أجيب سيرتها ..

ما يصحش أتكلم عليها .. حاضر سمعا وطاعة .. أرفوار بأه .. أشوفك بكره ..

وتركته ، وهو ينظر خلفها دهشا كأنه يتهمها بالجنون ..

وجاء الغد ..

ولم تكن تريد أن ترى بكر .. كانت تريد أن ترى زيزى .. شىء عنيف يدفعها إليها .. المعركة .. التحدى .. الغيظ ..الكبرياء المجروحة .. كل ذلك كان يدفعها إلى غريمتها .. فى ركن بعيد من قلبها ، كانت تشعر بالسعادة لهذه المعركة .. سعادة صفراء .. وكانت سعادتها لأنها وجدت غريمتها جميلة.. أنيقة .. ثرية .. وأكثر من ذلك متزوجة .. إنها غريمة ترضى غرورها .. إنها لا تحارب فتاة تافهة .. إنها تحارب امرأة رائعة.. وأحست كأنها تشكر بكر لأنه اختار لها زيزى لتحاربها فيه .. إنها ليست أى فتاة .. فتاة جديرة بأن تغار منها ، وأن تحتمل منها العذاب .

وأمرت سائق سيارتها بأن يحمل لها شمسيتها ، ثم أخذت معها سميحة وديدى وذهبت بهن إلى شاطىء سيدى بشر نمرة « ٢ مكرر » !

ووضعت شمسيتها بجانب شمسية زيزى ، ورأتها فريدة هانم فنادتها :

– مش تيجى تسلمى يا مايسة .. ازيك يا حبيبتى .. وازاى ماما .. البلاج بتاعنا نور .. يا ترى إيه اللى خلاكى تسيبى ميامى !

وقالت مايسة وهى تصافحها :

– أصل ميامى بأه زحمة قوى يا طنط .. الناس بتيجى تتفرج علينا زى ما نكون سينما ..

وقالت فريدة هانم :

– خلاص .. تبقى تيجى كل يوم هنا .. ويبقى عندنا أجمل بنتين فى مصر .. انتى وزيزى !

وضرب قلب مايسة ضربة قوية فى صدرها ، وقالت لنفسها : « إننا أجمل بنتين .. ولكنى أجمل منها .. أنا أجمل منها الف مرة .. إن شعرها الأصفر لا يساوى شيئا .. وسآخذه منها .. سآخذ بكر » !

ولم تلتفت إلى زيزى .. خيل إليها أنها لو التفتت إليها فستنهار أمامها .. ستصرخ .. ستخرمش وجهها بأظافرها ..

وقالت فريدة هانم :

– ما تيجوا تقعدوا معانا يا بنات ، وتنضموا للشلة ..

وقالت مايسة وهى تبتعد :

– معلهش يا طنط .. ما أحنا قاعدين جنبكم !

وابتسمت فريدة هانم كأنها تعلم أن للبنات أسرارا ، يفضلن أن يتداولنها فيما بينهن ..

وجلست مايسة ، وقد تعمدت أن يكون ظهرها لزيزى .. ومرت فترة طويلة وهى تنتظر أن تأتى زيزى بأى حركة .. ولكن زيزى لا تتحرك .. إنها لا تحاول أن تنظر إليها .. ولا تحاول أن ترفع صوتها لتسمعها .. كأنها لا تشعر بها .. ولا تأبه بها ، ولا تعتبرها غريمة ..

وتضايقت مايسة ، وفجأة رفعت صوتها بحيث تسمعها زيزى ، وقالت وهى تتظاهر بأنها تحادث سميحة :

– إمبارح أبو بكر قعد يكلمنى فى التليفون ساعة ونصف .. كلامه ما بيخلص .. وبيلقح نفسه تلقيح .. صحيح إنه راجل لذيذ .. إنما أنا ما باحبش الرجالة اللى يرموا نفسهم بالشكل ده!

ولم تتحرك زيزى .. ولم تدر رأسها ناحيتها .. وأغتاظت مايسة .. أحست كأن شيئا فيها يحترق وتشم رائحة شياط ..

إن زيزى تتجاهلها .. إنها باردة .. ولكنها ستذيب هذا البرود بنارها .. ستجعلها تحترق .. ستجعلها تجن !

وقالت سميحة بصوت مرتفع كأنها تؤدى خدمة لمايسة :

– بيقولوا عليه بيحب واحدة متجوزة !

وقالت ديدى :

– حقه ما حدش يستاهل الشنق إلا الست التى متجوزة وتعرف واحد !

وقالت مايسة :

– وبيقولوا عليها إنها بلوند !

وقالت سميحة :

– كل البلوندات باردين ، ودمهم تقيل ..

وأصبح الثلاثة كأنهن يكوّنّ جيشا يهاجم طبقا لخطة مرسومة ... مايسة قلب الهجوم .. وسميحة جناح أيسر .. وديدى جناح أيمن .. وأشتد الهجوم .. قلب الهجوم يطلق طلقة والجناح الأيسر يعقبها بطلقة أخرى ، ثم طلقة ثالثة من الجناح الأيمن ..

ولكن زيزى لا تتحرك .. إنها لا تزال هادئة ، مبتسمة ، منتبهة بكل حواسها إلى أحاديث الشلة التى تجلس معها .. كأن كل هذه الطلقات تموت وتسقط تحت قدميها قبل أن تصل إلى أذنيها ..

وسمعت مايسة صوت فريدة هانم تصيح :

– أهلا فهمى بيه .. تعالى يا سيدى خد مراتك .. دى مابتتكلمش ولا بتضحكش إلا لما تشوفك .. مش كده يا زيزى !

والتفتت مايسة لفتة سريعة ، ثم شهقت في حدة ، كأنها تلقت طعنة ..

لقد كانت تعتقد أن زوج زيزى لا بد أن يكون رجلا عجوزا.. له كرش ، وأصلع ، ويمسك في يده عصا ، ويضع بين شفتيه سيجارا ضخما .. إن الزوجة لا تخون إلا زوجا من هذا النوع.. ولكنها رأت زوج زيزى .. إنه شاب .. ممتلىء شبابا .. إنه جميل .. إنه رائع .. لا يمكن أن يكون لها مثل هذا الزوج ، ويكون لها أبو بكر .. هذا كثير .. كثير ..

ورأت الزوج الشاب وهو ينحنى فوق يد زوجته يقبلها .. ثم رأتها تمد له وجنتها وهى مغمضة العينين ، كأنها تستغيث بأنفاسه ليرد لها الحياة ..

ولم تحتمل مايسة ..

قامت ، وقامت معها صديقتاها .. والمعركة لا تزال تدور في صدرها .. إن زيزى امرأة خطيرة .. امرأة تستطيع أن تحصل على مثل هذا الزوج ، ومثل هذا العشيق .. هل تستطيع هى أن تحصل على مثلهما .. هل تستطيع أن تنتصر عليها .. إنها إن لم تبتعد عن بكر ، فستأخذ منها زوجها ..

وعادت في اليوم التالى تسعى وراء غريمتها .

ولكن زيزى لم تكن تحت شمسيتها .. وانتظرتها .. إن الساعة الثانية عشرة ولم تأت .. لابد أنها معه .. مع أبو بكر ..

وبدأت صورة زيزى وهى في أحضان بكر تلح على رأس مايسة .. صورتها وهو يفك شعرها من فوق رأسها كأنه يذيب بأصابعه سبيكة الذهب .. وصورتها وهو يقبلها ، وهو يحتضنها .. لا .. إنها لا تحتمل .. لا تحتمل ..

وانتفضت من مكانها وهرعت إلى سـيارتها ، وصرخت فى السائق :

– المعـمورة يا أسطى .. قـوام .. قوام .. فى دقـيقـة واحدة عايزة أكون هناك !

وقال السائق :

مش نجيب الشمسية !

وصرخت :

– باقـول لك اطلع على المعمـورة .. قوام .. فـاهم يعنى إيه قوام . دوس بنزين للآخر ..

وجنت السيارة فى طريق المعمورة !

ولكن زيزى لم تكن هناك ..

ولا أبو بكر ..

أين هما .. لابد أنهـما فى الشقـة .. وقفزت إلى سيـارتها .. وعادت كالمجنونة إلى العمارة المواجهة لشاطىء ميامى ..

إنها أول مرة تذهب إلى الشقـة دون سابق موعد مع بكر .. ولكن لا يهم ..

ووضعت نفسـها فى المصعد ، وضـغطت على الزر الخاص بالدور التاسع .. وخـيل إليها أن المصـعد لا يـصعد .. إنه واقف مكانه لا يصعد .. إنه واقف مكانه لا يتـحرك .. ولكنها وصلت إلى الدور التـاسع ، وضـغطت على جـرس البـاب بلا تردد .. كانت أعصابها أشد ثورة من التردد ..

ولم يفتح أحد الباب ..

وخبطت على الباب بكلتا يديها ..

ولم يفتح أحد ..

ويئست وهى تكاد تبكى .. لابد أنهمـا فى الداخل لا يجيبان

ونزلت وقد قررت أن تنتظر فى سيارتها أمام باب العمارة حتى تراهما بعينيها ..

ولكن ..

لقد نسيت أن زيزى زوجة .. والزوجات يجتلن عند مقابلة عشاقهن .. إنها لا تستطيع أن تقابله على شاطىء المعمورة ، ولا تستطيع أن تقابله فى شقته التى يعرفها كل الناس .. لابد أن لهما مكانا خفيا يلتقيان فيه .. ربما شقة فى البلد ، تستطيع أن تذهب إليها محتجة لزوجها بأنها ذاهبة إلى الحلاق أو لقضاء بعض المشتروات ..

إنها لن تستطيع أن تجد هذه الشقة أبدا ..

وخطرت لها فكرة .. ذهبت إلى بيتها ، وبحثت فى دفتر التليفون ثم سألت الاستعلامات حتى وجدت نمرة تليفون زيزى .. وأدارت القرص .. ورد عليها صوت رجل .. لعله زوجها .. وقالت وهى تحاول أن يبدو صوتها هادئا :

– زيزى موجودة من فضلك ؟

وقال الرجل :

– لا .. حضرتك مين ؟

قالت :

– حضرتك فهمى بيه !

قال :

– أيوه يا أفندم !

قالت :

– ما تعرفش زيزى راحت فين ، أصلى عايزاها فى حاجة مهمة !

قال :

- هيه نزلت البلد !

قالت فى خبث :

- يا ترى بتعمل إيه فى البلد ؟

ثم ضحكت ضحكة كبيرة ، والقت سماعة التليفون من يدها وما كادت تلقى بها .. حتى سكتت ضحكتها ، وأحست أنها .. مجرمة ..

وقضت بقية يومها فى عذاب .. وحاولت أن تخفف من عذابها بالبحث عن بكر .. إنها تريد أن تراه حتى لو كان يحمل فوق شفتيه بصمات شفتى زيزى .. تريد أن تراه ليقنعها بأن المعركة لم تنته بعد .. بانها لم تهزم .. بأن زيزى لم تنتصر عليها .. ولكنها لم تستطع أن تجد بكر ، كأن الأرض انشقت وابتلعته .. لم تجده إلا فى اليوم التالى .. ذهبت إليه فى الساعة التاسعة صباحا كانها كانت تخاف أن تسبقها زيزى وتأخذه منها .

وقالت له وهو لا يزال ممددا فى فراشه :

- انت عندك شقة فى البلد يا بكر !

ونظر إليها كأنه لم يفق بعد من نومه .. ثم قال بعد أن صمت برهة :

- وأنا باقول إيه اللى جابك بدرى كده .. كان لازم أعرف أن فيه تحقيق !

قالت وهى تجلس على حافة الفراش :

- بس قولى لى يا بكر . صحيح عندك شقة تانية ؟

قال :

- قوليلى انتى .. السؤال ده لازمته إيه !

قالت وهى تجمع فى يدها طرفا من ملاءة السرير ، وتعصره بأصابعها :

- سمعت أن عندك شقة !

قال فى بساطة تبلغ حد البرود :

- لا .. ما عنديش !

ونظرت إليه فى حنق .. إنه يكذب .. يكذب من أجل زيزى .. وصاحت :

- أنت كنت معاها امبارح ..

قال وهو يزفر :

- حانرجع للسيرة دى تانى !

قالت فى عصبية :

- أيوه حنرجع لها .. أنا خلاص ما بقتش قادرة استحمل !!

قال وهو يحاول أن يبدو هادئا :

- مـا تبقـيش مجنونة يا مـايسـة .. ما تبـقيش زى العـيل الصغير اللى يكسر لعبـته علشان يشوف جواها إيه .. وبعدين يندم ويعيط لأنه كسرها ..

قالت وعيناها تخرشفان وجهه :

- أنت مش لعـبـة .. أنت راجل .. أنت الراجل اللى باحـبـه ولازم أعرف جواك إيه .. لازم أتأكد من إنك بتحبنى ..

قال فى صوت حنون :

- أنا باحبك يا مايسة !

قالت :

- والتانية ؟!

قال :

- إنتى حاجة .. وهى حاجة تانية !

قالت وهدوؤه يكاد يمزقها :

- أنا مـا أقبلـش إنى أكون .. حـاجـة .. وإذا كنت حاجـة ، ما أقبلش أن يكون فى حياتك حاجة تانية ..

قال كأنه يرجوها :

– أرجوكي يا مايسة .. ما تضعيعيش السعادة اللى إحنا عايشين فيها .. انتى سعيدة وأنا سعيد .. فيه أكتر من كده إيه .. ليه الواحد يتعب نفسه لغاية ما يلاقى حاجة تعذبه وتشقيه وتقضى على سعادته ..

وقالت وهى تكاد تبكى :

– أنا مش سعيدة ..

قال فى ضيق :

– نبقى فشلنا فى حبنا .. يبقى ما فيش فايدة !

ونظرت إليه فى دهشة .. ماذا يعنى .. هل يلقى بها .. هل يتخلى عنها .. من أجل الأخرى .. من أجل زيزى .. لا ، إنها لا تقبل هذه الهزيمة .. إنها لن تتركه لها .. يجب أن تستمر المعركة وستنتصر .. سيأتى اليوم الذى لا يطيق فيه رؤية زيزى .. ستأخذ قلبه كله ، وجسده كله .. لن تترك لها شيئا منه ..

ونظرت إليه صامتة .. ثم بدأت دموعها تسيل على خديها .. ثم لم تعد عيناها تتسعان لدموعها فاجهشت بالبكاء ..

واعتدل من رقدته ، وجلس فوق الفراش ، ثم ضمها إلى صدره قائلا فى حنان :

– أنا ما أقدرش استغنى عنك يا مايسة .. ما اقدرش .. وانتى كمان .. قوليلى إنك ما تقدريش تستغنى عنى .. قوليلى إن سعادتك هى أنا .. سعادتك وسعادتى هى حبنا ..

وقالت مايسة وهى تلقى برأسها فوق صدره فى استسلام:

– ما أقدرش يا بكر .. ما أقدرش استغنى عنك ابدا !

ووضع يده تحت ذقنها ، ورفع وجهها إليه ، ثم بدأ يلتقط دموعها بشفتيه ..

وأعطته .. أعطته كثيرا !

●●●

وصممت مايسة على خطة جديدة ..

يجب أن يعلم زوج زيزى بأن زوجته تخونه مع بكر .. وعندما يعلم ستضطر زيزى أن تختار .. إما زوجها أو عشيقها .. والزوجات عادة ، عنما تنكشف خيانتهن ، يخترن الأزواج !!

وبدأت بمساعدة سميحة وديدى تطلق ابخرة الشك فى رأس زوج زيزى .. كانت تدق له التليفون ، فإذا رد ، القت بالسماعة فى وجهه ، لتقنعه بأن المتحدث كان يريد زوجته ..

فى كل يوم تدق له التليفون وتلقى بالسماعة فى وجهه ..

ثم دقت له التليفون يوما وقالت :

– أنا واحدة ما يهمكش إنك تعرفها .. أنا صديقة مراتك ، وأحب أقول لك إنك لازم تاخذ بالك منها ..

ثم ألقت سماعة التليفون ..

وبعد أيام اتصلت به سميحة ، وقالت بمجرد أن سمعت صوته :

– خد بالك .. مراتك بتخونك !!

وألقت سماعة التليفون ..

ثم أتصلت به ديدى فى يوم آخر وقالت :

– تحب تعرف مراتك بتخونك مع مين .. واحد اسمه أبو بكر !

ثم القت سماعة التليفون ..

و .. و .. وبدأت مايسة ترى آثار خطتها ترتسم على وجه غريمتها .. كانت زيزى تأتى إلى الشاطئ وعيناها ذابلتان كأنها قضت الليل كله تبكى .. وتجلس سابحة واجمة كأنها تجتر العذاب . وكان زوجها يلحق بها ، فلا يقبل يدها أمام الناس كما كانت عادته ، ولا تمد له خدها ليقبلها كما كانت عادتها .. إنما كان يجلس مديرا ظهره لها وهو يزفر كأن فى رأسه أتون نار ، وهى تتنهد كأنها تحترق بناره ..

ولم يكن هذا يكفى ..

كانت مايسة تريد أن يضبط الزوج زوجته مع بكر .. ولكن كيف .. إنها لا تعرف متى يلتقيان - زيزى وبكر - ولا أين يلتقيان ..

وفكرت .. فكرت كثيرا .. ثم جلست تكتب خطابا إلى بكر :

« حبيبى .. حاولت أن أتصل بك بالتليفون ، فلم أستطع .. أريد أن أراك .. موضوع مهم جدا جدا جدا .. سأنتظرك غدا - الخميس - الساعة السادسة فى شارع أبى قير أمام محطة بنزين جليمونوبلو .. ولن نذهب إلى أى مكان .. لخمس دقائق فقط » !

وكتبت الخطاب بالفرنسية .. ووقعته بحرف واحد : « ز » !

ثم أمسكت بورقة أخرى وبدأت تكتب خطابا لزيزى :

« أريد أن أراك غدا - الخميس الساعة السادسة أمام محطة بنزين جليمونوبلو .. خمس دقائق فقط .. الموضوع مهم ويتعلق بحياتنا .. آسف لكتابة هذا الخطاب .. ولكنى لم أجد طريقة أخرى للأتصال بك ، فأنت لا تردين على التليفون هذه الأيام » !

وكتبت هذا الخطاب باللغة العربية ووقعته باسم « بكر » !

وأمسكت بورقة ثالثة ، وبدأت تكتب خطابا لزوج زيزى :

«إذا أردت أن تتأكد من خيانة زوجتك .. أذهب إلى محطة بنزين جليمونوبلو الساعة السادسة غدا .. الخميس .. وستراها بعينيك » !

وكتبت الخطاب باللغة للفرنسية ، ووقعته بامضاء «صديقة»!

وانتهت من كتابة الخطابات ووضعت كلا منها فى مظروف كتبت عليه الاسم والعنوان .. ثم نادت السفرجى ، وطلبت منه أن يستدعى سائق سيارتها ليوصل كل خطاب إلى هدفه ..

وقبل أن يأتى السائق دق جرس التليفون ، وسمعت صوتا ناعما يقول :

– مايسة موجودة من فضلك ؟

قالت :

– مين عايزها ؟

قال الصوت الناعم :

– واحدة صاحبتها ..

وقالت :

– أنا مايسة !

وقال الصوت الناعم :

– ممكن أشوفك ربع ساعة ..

وقالت مايسة فى دهشة :

– حضرتك مين ؟

وقال الصوت وقد أصبح أشد نعومة :

– حاتعرفينى لما تشوفينى ..

قالت مايسة وقد بدأ قلبها يدق :

– أقدر أعرف عايزة تشوفينى ليه !

قال الصوت الناعم :

– موضوع يهمك ويهمنى .. موضوعنا احنا الاتنين .. عايزة صراحة أكثر .. الموضوع موضوع بكر !!

وقفز قلب مايسة كأنه يكاد يخرج من شفتيها .. إنها زيزى.. ولم تكن تدرى أن صوتها فى التليفون يمكن أن يكون ناعما إلى هذا الحد .. وقالت وصوتها يضطرب :

– اتفضلى يا أفندم .. هنا فى البيت .. وقت ما تحبى !

وقال الصوت الناعم :

– حاكون عندك بعد ربع ساعة .. أوريفوار !

وظلت مايسة ممسكة بسماعة التليفون كأنها فى حلم .. ثم أعادت السماعة إلى مكانها ، ووقفت متصلبة ..

إنها زيزى .. لقد جاءت إليها أخيرا .. جاءت تتوسل وتبكى وتعترف بهزيمتها .. لقد انتصرت .. انتصرت يا مايسة .. ومن حقك أن تملى شروطك !!

والتفتت فوجدت السائق واقفا ينتظر أوامرها ، وقالت :

– روح يا أسطى .. ما فيش حاجة .. مش حانزل !

ثم أسرعت وأمسكت بالخطابات الثلاثة التى كتبتها وأخذت تمزقها قطعا صغيرة .. إنها لم تعد فى حاجة إلى هذه الخطابات .. ليس الآن على الأقل .. ولكنها ستحتاج إليها مرة ثانية إن لم تخضع زيزى لشروطها ..

واجتاحها نشاط غريب .. نشاط ملىء بالنشوة .. نشوة النصر .. كأن دماءها تزغرد فى عروقها .. ونادت السفرجى ، وقالت له كأنها تعد وليمة كبيرة :

– فيه واحدة صاحبتى جاية دلوقت .. أبقى دخلها فى

الصالون .. وقدم ليمونادة وقهوة .. خش دلوقت افتح شبابيك الصالون !

ثم أسرعت إلى غرفتها .. لابد أن تغير ثوبها .. ستختار ثوبا أنيقا .. أزهى ثيابها .. ولكن لا .. ستستقبلها وهى مرتدية البنطلون والبلوزة حتى لا تشعرها بأهميتها .. وستتركها تنتظر فى الصالون بضع دقائق قبل أن تدخل إليها .. وستجلس على المقعد الفوتيل الكبير الموضوع فى صدر الصالون .. ستجلس كالملكة .. الملكة المنتصرة .. وستضع ساقا على ساق .. وتحتفظ بابتسامتها طول الوقت ، وستتكلم بصوت هادىء ، خفيض .. يجب أن تبدو منتصرة .. عاقلة .. يجب أن تستهين بها ..

ووقفت أمام مرآتها وأخذت تسرح شعرها ..ترى هل ستبكى زيزى أمامها .. إنها لا تحب أن ترى دموع النساء .. إنها تضعف أمام الدموع .. ولكنها لن تضعف هذه المرة .. ستكون قوية .. قوية ..

وبدأت تضع المساحيق فوق وجهها .. ودماؤها لا تزال تزغرد فى عروقها .. ثم ألقت نظرة أخيرة على صورتها فى المرآة . إنها جميلة .. لم تكن فى يوم من الأيام أجمل منها الآن.

وخرجت من غرفتها ودخلت إلى الصالون لتشرف على تنفيذ الأوامر التى أصدرتها للخادم .. ثم ركزت عينيها على المقعد الكبير الذى ستجلس عليه .. عرش الملكة .. ثم همت أن تطل من الشباك .. لا .. لا يجب أن تطل من الشباك حتى لا تلمحها زيزى وهى داخلة فتعتقد أنها متلهفة على لقائها ..

وعادت إلى غرفتها ..

ومضت الدقائق .. دقائق طويلة مملة .. وهى من فرط

لهفتها ، بدأ العرق يتصبب على جبينها ، كأنها تعدو بكل قواها نحو غريمتها .

وسمعت جرس الباب يدق ..

وقامت واقفة وقلبها يدق مع الجرس ..

ثم جاء إليها الخادم يعلنها بقدوم الضيفة ، فقالت ، وهى ساهمة :

– طيب .. أنا جاية !

وعادت تنظر إلى المرآة ، تمسح قطرات العرق من فوق جبينها .. ولمست شفتيها مرة ثانية بأصبع الروج ، ومرت بالمشط ثلاث مرات بين خيوط شعرها ، ثم أعتقدت أنه قد مر وقت كاف .. فوضعت بين شفتيها ابتسامة .. الابتسامة التى ستقابل بها غريمتها .. ثم نظرت إلى المرآة فلم تعجبها هذه الأبتسامة ، واختارت ابتسامة أخرى .. ثم استدارت كأنها تنزع نفسها من خيالها المرسوم فوق المرآة .. وسارت فى خطواتها السريعة الضيقة ، نحو حجرة الصالون .

وما كادت تطل على ضيفتها حتى وقفت متسمرة .. عيناها مفتوحتان ، وشفتاها مفتوحتان .. كأنها بلهاء مذعورة ..

إنها ليست هى ..

ليست زيزى ..

إنها امرأة سمينة .. وجهها كالرغيف البلدى .. محمل بالأصباغ الفاقعة .. ترتدى ثوبا من الدانتل المخرقة فوق قميص من التفتاه اللامعة الزرقاء.. وفى معصميها أساور ذهبية كثيرة .. وعلى صدرها عقد كبير من الزجاج الملون .. نفس ألوان إشارة المرور : أخضر ، وأصفر ، وأحمر .. إنها امرأة بلدى !

وتقدمت منها مايسة وهى تسير مذهولة ، كأنها تسير فى نومها .. وقالت :

– حضرتك ..

وقاطعتها المرأة وهى تقف لتصافحها ، وحاجبها الأيسر المرسوم كله بالقلم الأسود يتلاعب فوق جبينها :

– أيوه يا ستى .. أنا اللى بيحبها بكر !!

وقالت مايسة وهى لا تزال مذهولة :

– مش معقول !

وقالت المرأة وهى تضحك ضحكة فاقعة :

– وحياتك زى ما بأقولك كده .. إنما ده أنت حلوة قوى .. وصغيرة يا حبة عينى .. أنا سمعت عنك إنك جميلة ، إنما ما كنتش فاكرة إنك جميلة للدرجة دى .. لكن أنا عارفة بكر .. ملعون .. ما يقعش إلا واقف ..

ولم تسمع مايسة كل كلامها .. كانت تستعيد فى ذهنها كل ما مر بها .. هل يمكن أن تكون هذه المرأة هى غريمتها .. وليست زيزى ..

وفتحت عينيها كأنها رأت شيئا جديدا فى رأسها .. لماذا أتهمت زيزى بأنها غريمتها .. إن أحدا لم يخبرها بأن غريمتها هى زيزى .. وأبو بكر لم ينطق أبدا باسم زيزى .. هل تكون قد اخطأت فى اعتبار زيزى غريمتها .. هل تكون قد اعتبرتها غريمتها لمجرد إنها رأتها جميلة راقية ، يرضى غرورها أن تكون هذه هى غريمتها ..

والتفتت إلى المرأة قائلة :

– حضرتك تعرفى طنط فريدة هانم ..

وقالت المرأة وحاجبها لا يزال يلعب فوق جبينها :

- فريدة هانم الصفتي .. أمال .. دى تبقى قريبتنا من بعيد .. إنما أنا مقصرة فى حقها خالص .. السنة دى ما قعدتش معاها على البلاج إلا تلات أربع مرات .. مع أن قعدتها ترد الروح وتنعش القلب ..

ثم رفعت المرأة كفها وخبطت بها على ذراع مايسة ، وقالت وضحكتها تملأ السماء والأرض :

- ما هى فريدة عارفة حكايتى مع بكر .. إنما لو جيتى للحق ، الست دى ما يتبلش فى بقها فولة .. ما خلتش حد ما حكتش له الحكاية ..

وقالت مايسة وهى تنظر إليها فى قرف :

- وحضرتك اسمك زيزى برضه ؟

وقالت المرأة وهى تضحك :

- اشمعنى يعنى زيزى .. لا ، اسمى نفوسة .. وبكر دايما يسمينى بوسى !

ونظرت مايسة إلى نهدى ضيفتها وهما ينسكبان فوق صدرها .. وإلى ذراعها السمين وقطع من اللحم تتدلى منه كأنها ستسقط عنه .. ثم قالت :

- وحضرتك متجوزة !

ونظرت إليها نفوسة كأنها تلومها ، ثم قالت :

- وده وقت سؤال زى ده .. أيوه يا ستى ، متجوزة !

وعادت مايسة تسأل :

- وبكر بيحبك قوى يا نفوسة هانم ؟

وقالت نفوسة وهى تتنهد :

- أربع سنين مش شوية يا حبيبتى .. والحقيقة انتى صعبانة على .. بنات كتير وستات كتير عرفهم بكر ، إنما

ما فيش واحدة قدرت تاخده منى أبدا .. وأنا ساعات باسيبه يلعب ، إنما اللعب له حدود .. وأنا جيت أقول لك الكلمتين .. جيت أقول لك أن بكر مش فاضى ومش ممكن حايكون فاضى .. وبدل ما تتعبينى وتتعبى نفسك .. بلاش أحسن !

وأحست مايسة بموجة عنيفة من القرف تكاد تقلب معدتها .. ولم يكن قرفها من نفوسه .. إنها تحس بالقرف من بكر .. من بكر نفسه .. تحس بالقرف من آثار شفتيه فوق شفتيها ، ومن آثار لمساته فوق جسدها ، ومن لفحات أنفاسه فوق وجهها ..

والتفتت إلى نفوسة وقالت فى حدة :

– انتى غلطانة يا هانم .. ما فيش بينى وبين بكر حاجة .. صحيح شفته مرة ولا مرتين ، إنما مافيش بينى وبينه حاجة !

وكانت تتكلم وهى تحس أن ليس بينها وبين بكر شىء فعلا .. إنها لا تحبه .. ولم تكن تحبه .. ولم تكن تحبه فى يوم من الأيام .. أن بكر كما تراه الآن إنسان لا تعرفه .. يخيل إليها كأنه واحد من الأفندية الذين كانت تشاهدهم عندما تذهب إلى خان الخليلى لتشترى بعض التحف .. افندى بلدى ، جالس على مقهى بلدى ، يتغزل فى البنات البلدى .

إنها لا تعرف هذا الشخص .. الشخص الذى يحب نفوسة .. إنه أقل من أن تعرفه .. أما الشخص الآخر الذى عرفته فقد انتهى من حياتها ، ومن قلبها ، ومن خيالها .. كان وهما وانتهى .. مجرد وهم !

وسمعت نفوسه تقول لها :

– أنا مصدقاك يا أختى .. برضه أحسن كده .. أحسن

مـا يكونشي بينك وبينه حـاجة .. عن اذنك بأه .. وخلينا بعـد كده أصـحاب !

وقامـت نفوسة ، ومـدت لها مـايسة يدا باردة .. ثـم أخذت تودعها بعينيها ، وهي تحمل جسدها الثقيل وتنصرف به ..

وخلت إلى نفسها ..

إنهـا لا تفكر في بكر .. عـجيـبـة .. أنها لا تحس به .. لقـد انتهى .. افاقت من الوهم ..

ولكنها تفكر في زيزي .. إنهـا تفكر فيهـا في غيظ وحنق .. كـأن زيزي قد ترفـعت عنهـا ورفضت أن تكـون غريمـتهـا .. ورفضت أن تقف معها في قلب رجل واحد ..

إنهـا تحس أن غـرورها ينسـحب منهـا .. إنهـا مجـروحـة الكبرياء .. مجروحة الغرور .. إنها مغتاظة .. مغتاظة ..

وفي المسـاء دق جرس التليفون وسمعت صوت بكر ، وقالت كأنها تقطع عليه الطريق :

– الجماعة زاروني النهارده !

قال :

– عارف .. عرفت كل حاجة .

قالت :

– ودي بأه اللي بتعرفها !

قال في صوت حزين كأنه يعتذر :

– أيوه ..

قالت وهي تضحك :

– مش قادر تسيبها !

قال كأنه يحني رأسه خجلا :

– أيوه .. مش قادر !

قالت وضحكتها تزداد انطلاقا :

– طيب اسيبك أنا بأه ..

وصرخ :

– مايسة ..

قالت : أوريفوار ..

وعاد يصرخ :

– مايسة .. مايسة .. لازم أشوفك .. حا أحكى لك على كل حاجة ..

وقالت فى هدوء :

– أورفوار .. باى باى .. أريفادتشى .. مع السلامة !!

والقت سماعة التليفون ..

ولم يكن يهمها أن تعرف حكاية بكر ونفوسة .. كان كل ما يهمها ألا تعرف رجلا يعرف امرأة كنفوسة ..

إن المرأة أحيانا تحب الرجل لأن امرأة أخرى تحبه .. وهى لا تستطيع أن تحب أى رجل يمكن أن تحبه نفوسه ..

وانتهى بكر .. انتهى الوهم الكبير !

ولكنها لا تزال مغتاظة من زيزى .. ليست مغتاظة ، ولكنها كلما تذكرتها أحست بشىء يتمزق فى صدرها !!

البنات والصيف



البنت الثانية

١

□ شاطىء سيدى بشر نمرة ٣ .. وكانت « مرفت » جالسة منزوية فى الركن البعيد من الأريكة الممتدة فى شرفة الكابين .. ورأسها بين يديها ، وشعرها مهدل فوق جبينها .. وكانت تبكى .. تبكى فى حرقة ، كأنها تعصر سنوات عمرها الثمانى عشرة دمعا ..

وكانت أمها جالسة قبالتها على مقعد كبير من مقاعد الشاطىء تطرز رقعة من « الأوبيسون » .. وهى صامتة ليس فى وجهها عصب يتحرك .. كأن ابنتها لا تبكى !

ورفعت رأسها .. وعيناها محتقنتان ، فى لون الدم .. ومسحت الدموع من فوق خديها بمنديلها الصغير .. وقالت وصوتها يقطعه النشيج :

– دى ما بقتش عيشة .. أنا حاموت نفسى .. خلاص .. عايزة أموت .. عايزة أموت ..

ثم أمسكت بإحدى وسائد الأريكة ، ورفعتها بعصبية كأنها تهم أن تقذف بها فى البحر .. ثم وضعت الوسادة فوق ركبتيها ، وارتكزت عليها بكوعيها .. وعادت تدفن رأسها بين كفيها .. وتبكى ..

ورفعت أمها عينيها من فوق رقعة الأوبيسون ، ونظرت إلى

ابنتها صامتة ثم عادت وارخت عينيها وبدأت تطرز من جديد ..

ولكن ..

هذه ليست بداية القصة ..

●●●

وقفت السيارة الكاديلاك رقم ٢٠١٥ أمام باب « معهد الطفولة » التابع لجمعية « انقاذ الفقراء ـ فرع الاسكندرية » ..

ولم تتحرك شريفة هانم داخل السيارة .. فقط أدارت رأسها وأطلت على مستقبليها المصطفين أمام الباب ، وبين شفتيها ابتسامة حازمة ..

ونزل السائق ودار دورة سريعة حول السيارة ثم فتح الباب .. وتحركت شريفة هانم ، وتقدم طبيب المعهد والتقط يدها ليساعدها على النزول .. ونظرت إليه بعينين مبتسمتين ثم وضعت يدها فى يده ، وقفزت فى رشاقة إلى الرصيف .

وانحنت أمامها مديرة المعهد ، فمدت لها يدها قائلة :

– إزاى الحال عندكم ..

وازدادت مديرة المعهد انحناء حتى كادت تقبل يدها ، وقالت فى صوت خفيض :

– كل حاجة كويسة بفضل إرشاداتكم يا افندم !

ولم تسمع شريفة هانم ما قالته المديرة ، ومدت يدها لبقية المستقبلين .. مشرفات المعهد ، وإسحاق أفندى رئيس حسابات المعهد ، وكاتب المعهد ، ومتعهد توريد الطعام للمعهد .. وفراش المعهد .. ومصور صحفى ..

ثم سارت فى خطى سريعة قوية إلى داخل الدار .. والعيون تتبعها وتطن وراءها ، كأن كل عين نحلة ..

إنها فى الثانية والأربعين من عمرها ، ولكنها تستطيع أن

تقول فى بساطة أنها فى الخامسة والثلاثين .. رشيقة ، لا يحد من رشاقتها إلا « الكورسيه » السميك الذى تلم به جسدها من تحت ثوبها .. وكانت ترتدى الثوب الرسمى لجمعية انقاذ الفقراء .. تايير من التيل الرمادى ، ، « بيريه » صغير رمادى اللون ، حول أطرافه « ليزريه » أحمر اللون ، وتميل به على جانب رأسها فتبدو كأنها مضيفة إحدى شركات الطيران .. وعلى صدرها شارة الجمعية ، صنعتها من ذهب فى دائرة من فصوص الماس ..

ووقفت شريفة هانم أمام صفين من الأطفال اصطفوا لاستقبالها فى ساحة الدار .. وأخذت تنقل عينيها النشطتين فى وجوههم ، وابتسامتها الحازمة لا تفتر من بين شفتيها ، ثم قالت فى صوت تملؤه الفرحة :

– صباح الخير يا أطفال !

وصاح الأطفال فى أصوات غير منظمة كأن كل منهم صدى يتبع صوت الآخر :

– صباح الخير يا أبله الرئيسة !

ورفعت مديرة المعهد يدها ثم خفضتها ، فانطلق الأطفال ينشدون : « مصر .. مصر .. امنا » ..

وطفلة صغيرة تدعك عينها بأصابعها ، وطفل يمسح أنفه بكم ثوبه ، وطفل آخر يمسح شفتيه بلسانه .. ومديرة المعهد تحرك يديها فى الهواء كرئيس الفرقة الموسيقية ..

وظلت شريفة هانم واقفة حتى انتهى الأطفال من النشيد ، ثم صفقت بيديها صفقتين خافتتين ، وقالت :

– برافو .. برافو ..

ثم استدارت وسارت إلى داخل مبنى المعهد ، تتقدمها

المديرة ورئيس الحسابات ، ويسير بجانبها الطبيب ..
وأخذت تطوف بحجرات المعهد ، وملاعبه ، ثم اقتربت منها المديرة قائلة :
– تسمحى يا أفندم صورة !
والتفتت شريفه هانم إلى المصور الصحفى ، وبسرعة حملت أقرب الأطفال إليها وضمته بين ذراعيها ، وابتسمت فى وجهه ابتسامة كبيرة .. والتقطت الصورة ..
وعادت شريفة هانم تطوف بأنحاء المعهد .. ثم دخلت إلى المطبخ ، وأطلت فى الأوانى الكبيرة التى تغلى فوق النار .. وقالت لها المديرة :
– تسمحى تدوقى الشوربة يا أفندم ..
وقالت لها شريفة هانم فى امتعاض :
– باين عليها كويسة .. وريحتها حلوة .. بس أنا عاملة رجيم !
وهمست مديرة المعهد :
– علشان الصورة ..
ونظرت إليها شريفة كأنها فهمت ما تقصده ، ثم رفعت مغرفة الشوربة إلى شفتيها .. والتقطت صورة ..
وقبل أن تلمس شفتا شريفة حافة المغرفة ، أعادتها داخل الإناء الكبير ..
وانتهت شريفة هانم من الطواف بانحاء الدار ، ثم دخلت غرفة المديرة ، وبدأ رئيس الحسابات يعرض عليها دفاتره ، وأرقامه ، ثم قال بعد أن انتهى ، وهو يزداد انحناء حتى يكاد يقع على وجهه ، ويداه فوق بطنه كأنه يخاف أن تنسكب منها أمعاؤه :

– احنا لنا رجاء بسيط يا ست هانم .. رجاء خاص بالست نظيرة وكيلة المعهد .. دى ست غلبانة صاحبة عيال ..

ورفعت إليه شريفة هانم عينين غاضبتين ، ثم خبطت على حافة المكتب بكفها الأنيق ، وقالت فى حدة :

– أنا قلت مش عايزة أسمع سيرة الست دى تانى .. خلاص.. إذا كانت حرامية يبقى لازم تاخد جزاءها .. وزارة الشئون بتحاسبنا على المليم ، ولما حاجة بتضيع ما بيقولوش إن الموظفات هم اللى سرقوا ، بيقولوا إن أحنا اللى سرقنا ..

وقال إسحق أفندى وهو يكاد يبكى :

– دى يمكن تخش السجن يا أفندم ، وينخرب بيتها وبيت عيالها .. وانتى قلبك كله رحمة !

وقالت شريفة :

– أنا ما أرحمش الحرامية .. كانت حضرتها فاكرة أن وجدان هانم حاتنقذها .. إنما مجلس الإدارة كله وقف معايا وقررنا إبلاغ النيابة .. خلى وجدان هانم تنفعها بأه ..

وعاد إسحاق أفندى يقول :

– بس يا أفندم دى ..

وقاطعته شريفة فى حزم باتر :

– خلاص .. انتهينا من الموضوع ده ..

وقامت شريفة هانم واقفة معلنة انتهاء الزيارة ، وسارت نحو الباب وهى تلقى بأوامرها وإرشاداتها إلى مديرة المعهد وموظفيها ، ثم ركبت سيارتها .. وابتسمت للطبيب ابتسامة كبيرة ..

●●●

وعادت شريفة هانم إلى بيتها .. فيلا صغيرة تحيطها

حديقة كبيرة ، فى شارع ستانلى باى .. وهدوء .. هدوء راكد.. كأن الحياة تقف عند الباب ولا تجرؤ على الدخول ..

ودخلت إلى البهو ، وسارت متجه إلى السلالم الداخلية لتصعد إلى غرفتها .. وقالت وهى فى طريقها دون أن تلتفت إلى أحد :

– خدت الدوا يا باشا ..

وتحرك رأس أشيب من فوق مقعد فى صدر البهو ، ونظر إليها بعينين حانقتين ، ولم يجب .

وظلت العينان الحانقتان تتبعانها.. عينان فيهما غيظ عاجز ، وفيهما كراهية خرساء وفيهما غيرة وحسد .. وقبل أن تصل شريفة إلى أعلى السلم ، صاحت العينان :

– شريفة ..

وأطلت شريفة على زوجها فى تعجب ، وقالت :

– نعم .. فى إيه ..

وظل زوجها ينظر إليها برهة بعينيه الحانقتين ، ثم أخفى عينيه ونكس رأسه وقال :

– ولا حاجة .. سيد سأل عليكى فى التليفون من نادى السيارات ..

وقالت فى برود :

– مرسى .. ما تنساش تاخذ الدوا ..

وتنهد الزوج فى حرقة .. وسكت .. لقد فقدها من زمن طويل .. منذ ست سنوات لم يعد يجمعهما شىء .. ولكنه قبل الثورة كان يجد ما يعوضه عنها .. كان يجد نفوذه وشركاته .. ولكنه فقد هذا أيضا بعد الثورة .. لم يعد يملك شيئا إلا لقبا لم تعد الدولة تعترف به ، ويمنحه له أصدقاؤه وخدمه ،

ويبتسمون هم ساخرين كلما نادوه به .. لم يعد له إلا أن يقرأ الصحف كل صباح ومساء ، ويجلس فى اتنيوس ، ويشم الهواء على الكورنيش ، ويلعب الطاولة ، ويتناول الدواء ، ويشخط فى الخدم ..

أما هى فلم تفقد شيئا بعد الثورة .. لقد ظلت محتفظة بنشاطها .. نشاطها فى الجمعيات الخيرية ، ونشاطها فى الحفلات والنوادى ، ونشاط حيويتها ..

لماذا لم تعدل الثورة بينه وبين زوجته ، فتصادر نشاطها كما صادرت نشاطه .. حتى تبقى معه ، وتقيدها بنفس القيد .. ولكن ، إن الثورة لا تستطيع أن تعدل بين عمره وعمرها .. لا تستطيع أن تنقله من السبعين إلى الثانية والأربعين ، ولا أن تنقلها من الثانية والأربعين إلى السبعين !

ووصلت شريفة إلى باب غرفتها ، ورفع الزوج رأسه وصاح مرة أخرى كأنه يستمهل الشمس قبل أن تغيب عنه :

– شريفة ..

ووقفت شريفة قبل أن تفتح بابها ، وقالت دون أن تطل على زوجها :

– نعم ..

قال فى صوت مبحوح :

– انتى ساهرانه بره الليلة ؟

قالت فى هدوء :

– لسه مش عارفه !

ثم فتحت الباب ودخلت إلى غرفتها ، وأدارت المفتاح فى القفل ، ثم ألقت نفسها فوق فراشها دون أن تخلع ثيابها .. وتنهدت .. تنهدت فى افتعال .. كانت تريد أن تحس بالتعب ..

تريد أن تقنع نفسها بأنها تعبة .. بأنها أدت مهمة شاقة بزيارتها للجمعية .. ولكنها لم تكن تعبة .. لا شيء فيها يحس بالتعب .. إن في عروقها كمية ضخمة من النشاط تكفي لزيارة جميع الجمعيات الخيرية في مصر دون أن تحس بالتعب ..

واعتدلت جالسة فوق الفراش .. ثم خلعت فردة حذائها وظلت ممسكة بها في يدها .. وسرح ذهنها .. سرح في لا شيء .. كأنها تبحث في نفسها فلا تجد إلا فراغا .. ثم لمحت أحد ادراج الدولاب مفتوحا ، فرفعت فردة الحذاء وصوبتها ناحية الدرج المفتوح ، وأطلقتها .. ولكن فردة الحذاء لم تستقر في الدرج .. وقعت على الأرض .. فقامت تسير بفردة حذاء واحدة ، والتقطت الفردة الأخرى ، وعادت إلى الفراش وجلست عليه ، ثم رفعت يدها بفردة الحذاء وصوبتها مرة ثانية ناحية الدرج المفتوح .. وأطلقتها ..

واستقرت فردة الحذاء في الدرج .. فابتسمت كأنها طفلة .. ثم خلعت فردة الحذاء الثانية ، وصوبتها ناحية الدرج .. وأطلقتها .. فاستقرت فيه أيضا .. واتسعت ابتسامتها !!

وقامت وجلست أمام مرآتها .. وقربت وجهها من المرآة حتى كادت تلصقه بها .. وشدت بأصبعها جفن عينيها إلى أسفل .. لترى اللون الأحمر داخل الجفن .. لون الشباب .. فتطمئن إلى شبابها .. وأخرجت لسانها لترى فيه أيضا اللون الأحمر .. لون الصحة .. فتزداد اطمئنانا إلى شبابها .. ثم ابعدت وجهها عن المرآة ونظرت إلى وجهها من بعيد .. إنه وجه جميل .. ليس جميلا جدا ، ولكنه جذاب جدا .. عيناها واسعتان ، وأنفها أكبر من اللازم قليلا ، وشفتاها ممطوطتان كأنهما خلقتا وفوقهما دعوة لقبلة .. وسنتاها الأماميتان

بارزتان بروزا خفيفا .. ووجنتاها مشدودتان مسحوبتان ، نحيلتان نحولا طبيعيا ، كأنهما وجنتا شابة أرقها الحب ..

وعادت تقرب وجهها من المرآة .. إن هناك تجاعيد عند طرفى عينيها ، وفى أعلى رقبتها .. أف لهذه التجاعيد .. ما هذه الفضائح .. وأمسكت بعلبة الكريم ، وأخذت تضع منه فوق التجاعيد .. ثم أمسكت بعلبة البودرة ونثرت منها فوق الكريم.. ثم تذكرت إنها ليست خارجة ، فألقت علبة البودرة ، وتركتها مفتوحة ، وبدأت تخلع ثيابها ..

خلعت التايير .. ثم جلست وخلعت جوربها .. ثم قامت وأمسكت بطرف « الكورسيه » وأخذت تشده إلى أسفل وهى تضغط على شفتيها بإسنانها .. ثم تنهدت فى راحة عندما سقط الكورسيه على الأرض .. ووقفت أمام المرآة وهى بالقميص .. إنها ليست طويلة القوام .. إنها أقرب إلى القصر .. واللاتى يملن إلى القصر يحتفظن أطول مدة بشبابهن .. كأن الشباب يعجز عن أن يندفع فى عروق الطويلات ، ولكنه يستقر فى عروق القصيرات .. إن كل صاحباتها يحسدنها على قوامها.. وأخذت تستدير أمام المرآة وهى تنظر إلى كل قطعة من جسدها .. لا ترهل فى أى مكان .. لا شىء ساقط أو مدلى .. إنه جسد مشدود .. إنها تستطيع أن تستغنى عن « الكورسيه » وعن « الجيبير » ، لولا أنها تريد مزيدا من الرشاقة ، ولولا أنها تفضل الثياب الضيقة .. الضيقة جدا ..

ووضعت كفيها تحت نهديها ورفعتهما إلى أعلى صدرها .. وعادت تتعاجب أمام المرآة .. إنها تبدو هكذا كفتاة فى السادسة عشرة .. ما أبعد المسافة بين عمر السادسة عشرة وعمر الثانية والأربعين .. وما أقربها .. إن كل يوم من عمرها يبدو كأنه

الأمس .. ولكن الأمس يبدو بعيدا .. إن الأمس ذكرى ، والذكريات تلحق بعضها ببعض .. الذكرى التى مضى عليها عشر سنوات كالذكرى التى مضى عليها عشر ساعات .. كلها ذكريات .. أشياء مضت ولن تعود .. وهى لا تريد أن تعيش فيما مضى .. لا تريد أن تعيش فى الذكريات .. أنها لم تصل بعد إلى العمر الذى تكتفى فيه بالذكريات .. إن عمرها لا يزال يتسع لأشياء جديدة .. لحوادث جديدة .. لعواطف جديدة ..

وتنبهت إلى نفسها وهى لا تزال واقفة أمام المرآة .. واسقطت نهديها فوق صدرها .. وأمسكت بالمشط ، واستدارت للمرآة ، وأخذت تمشط شعرها بعصبية كأنها تسحب أفكارها من رأسها ..

ماذا جرى لها ..

لا تدرى .. ولعله الصيف .. ومنذ كانت طفلة وهى تقضى كل صيف فى الأسكندرية .. وكانت تفرح بالصيف لأنها تتحرر من واجباتها المدرسية ، ولأن مربيتها تتركها تلعب فى الرمل دون أن تنبهها إلى الحرص على نظافة ثوبها .. ثم كبرت وأصبح الصيف معرضا تعرض فيه جمالها .. تعرضه على شاطىء جليم ، عندما كان « جليم » شاطىء الأرستقراطية .. وفى حمام السيدات ، وفى كازينو سان استيفانو كان الصيف شهر الغزل ، والحب ، والحرية ، والجمال .. وقد تعودت أعصابها على أن تنتظر كل صيف ، كأنها فى انتظار الغزل والحب ، والحرية ، والجمال ..

وعادت تمشط شعرها فى عصبية كأنها تسحب أفكارها من رأسها .. ثم قامت وقد اكتسى وجهها بملامح الحزم ، وأرتدت الروب دى شامبر ، ثم ضغطت على الجرس تستدعى الخادم ،

وأخـذت تروح وتغدو فى الغـرفـة بلا هدف ، إلى أن سمـعت صوت نقرات الخادم على الباب ، فصاحت .. وقد خيل إليها أن صيحتها ارتفعت أكثر من اللازم :

– خليهم يحضروا الغدا !!

ونزلت بعد قـليل إلى حجرة الطعـام ، ومرت بزوجـها وهو جالس على طرف المائدة ، فقالت بصوت آلى دون أن تنظر إليه:

– خدت الدوا يا باشا ..

ولم يجب زوجها .. أكتفى بأن رفع إليهـا عينيه الحانقتين .. ودارت حـول المائدة حتى جلست عـلى الطرف المقابل .. وقـدم لها الخادم طبق الشوربة ، وما كادت ترفع الملعقة إلى شفتيها ، حتى أعادتها ، وهى تصرخ فى الخادم :

– دى شـوربة دى .. دى الشوربـة اللى بيعـملوها لأطفـال الجمعية أحسن من كده ميت مرة .. الطباخ ده ما بقاش ينفع .. قول لـه مخصـوم من ماهـيته خـمسـة أيام .. مش كفـاية إنه حرامى ..

ولم يتكلم الخادم ..

ولم يتكلم الزوج ..

ساد الصمت إلى أن أنتهى الطعـام ، وقامت شريفة من على المائدة قبل أن يقوم زوجها ، ومرت به قائلة :

– إذا كنت حاتخـرج بعد الظهر ، مـا تتأخرش عن السـاعة سابعة ، زى ما قال الدكتور ..

ولم يرد الزوج ..

وصعدت إلى غرفتها ، وأغلقت الباب وراءها بالمفتاح ..

وحاولت أن تنام ..

ولم تنم ..

●●●

وكانت مدعوة فى المساء لحضور حفلة شاى فى حديقة النزهة تقيمها جمعية « الخبز للجميع » بمناسبة وضع الحجر الأساسى لمبناها الجديد ..

وذهبت فى الساعة السابعة مساء ، ترتدى ثوبا من الشيفون الشفاف الأسود فوق قميص من الستان الأسود .. وثوب الشيفون يتعدى القميص ويرتفع حتى يصل إلى رقبتها فيبدو صدرها من تحته كأنه يتوارى فى حياء خلف غلالة من سحاب .. وكانت ترشق فى الثوب دبوسا من الماس ، وفى يدها ساعة رقيقة من الماس ، وفوق كتفيها شال من الحرير الأخضر ..

ودخلت الحفل تخطو خطواتها القوية النشطة ، وتفسح طريقها بعينيها النشطتين .. إنها دائما نشطة ، وانشط ما فيها دائما ، عيناها .. وكان وصولها إلى الحفل إعلانا لبدئه .. إنها ملكة الجمعيات الخيرية .. وعندما تصل الملكة يبدأ كل شىء .. وسارت إلى مكانها على المائدة الرئيسية ، يحيط بها سيدات جمعية « الخبز للجميع » ، وتشق فى طريقها بحرا من الهمسات والنظرات .. وجلست وبين شفتيها ابتسامتها الصغيرة الحازمة ، وأدارت رأسها تحيى كل من يحيط بها .. تحية فيها رشاقة وفيها كبرياء .. ثم نظرت أمامها فوجدت فى المقعد المقابل السيد عبدالجليل الريانى .. إنه تاجر كبير .. إنه كبير التجار .. ومن أكثر المتبرعين للجمعيات الخيرية كرما .. وهزت رأسها تحييه ، فإذا بعينيها تتعلقان بشاربه .. كأنها تراه لأول مرة .. شارب مرفوع مدبب تلمع فوقه طبقة من صبغة الشعر السوداء ، وطبقة أخرى من « الكوزماتيك » ..

وقام السيد عبدالجليل نصف قومة يرد تحيتها .. ولكن

عينيها لا تزالان عالقتين بشاربه .. ووجدت صعوبة كبيرة كى تنزع عينيها من فوق هذا الشارب ..

وقامت رئيسة جمعية « الخبز للجميع » تلقى خطابها .. وحاولت شريفة هانم أن تستمع لها .. ولكن شارب السيد عبدالجليل عاد يرتسم فى خيالها .. وابتسمت فى صدرها لمرأى هذا الشارب .. إنه شارب خفيف الدم .. وتصورته وقد تدلى طرفاه إلى أسفل .. واتسعت ابتسامتها فى صدرها ، حتى كادت تضحك ..

وكفت عن محاولة الاستماع لخطاب رئيسة الجمعية ، وانساقت وراء الشارب المرتسم فى خيالها .. وبدأت تتصور السيد عبد الجليل وقد حلق نصف شاربه وابقى النصف الآخر.. وتصورته وقد وضع شاربه فوق جبينه .. وامتلأ صدرها بالضحك .. إنه أليق بالسيد عبدالجليل أن يضع شاربه فوق جبينه ويشتهر بأنه « عبدالجليل ذو القرنين » .. ثم تصورت السيد عبدالجليل وقد عقد طرفى شاربه وجعل منه « فيونكة » يحتفظ بها فوق شفتيه .. وأحست كأن كل خلجة فى داخلها ترتعش من الضحك .. و .. و .. و .. وخيالها لا يبدو على وجهها ، إنها جالسة ووجهها يكسوه الوقار ، وبين شفتيها الابتسامة الصغيرة ، لا تفتر ولا تتعب منها ، واذناها متجهتان إلى رئيسة الجمعية فى انصات ..

وتنبهت من خيالها على صوت تصفيق يعلن انتهاء رئيسة الجمعية من خطابها .. فاسرعت وحركت كفيها تصفق فى رشاقة .. ثم قامت وصافحت رئيسة الجمعية قائلة :

– دى حاجة عظيمة قوى يا شفيعة هانم .. يا ريت كل

الجمعيات بالنشاط ده .. بس على الله وزارة الشئون تقدّر تعبنا ..

وقالت شفيعة هانم ووجهها يلمع كأنها سلطت عليه أضواء من فرحتها بنجاح حفلتها :

– هوه في نشاط بعد نشاطك يا شريفة هانم .. ده انت رئيستنا كلنا !

وقالت شريفة :

– مرسى يا حبيبتى .. أنا مضطرة أمشى دلوقت ، أحسن الباشا تعبان شوية !

وقالت شفيعة هانم :

– يا خسارة .. ده أحنا كنا عايزين نقعد قعدة صغيرة كده على راحتنا ..

وضحكت شفيعة واستطردت وهى تغمز بكلماتها :

– ده أنا محضرة لك كل اللى بتحبيه ..

وقالت شريفة :

– معلهش .. نوبة تانية .. مبروك على الجمعية .. الف مبروك ..

وخرجت شريفة هانم تشق بحر الهمسات والنظرات ، وبجانبها سيدات جمعية « الخبز للجميع » يودعنها حتى الباب.

وركبت سيارتها ، وانتظرت قليلا حتى ابتعدت عن مكان الحفل ، ثم قالت للسائق :

– اطلع على نادى السيارات يا أسطى ..

ووصلت إلى نادى السيارات ، فى سيدى بشر ..

وقالت للسائق :

– انت روح انت يا أسطى !

وصعدت السلم المنحوت فى الصخور المقام فوقها بناء النادى .. ثم دخلت إلى النادى وأطلت على حوض السباحة المقام فى فنائه .. ثم تلفتت حواليها .. إنها لا ترى حولها إلا رؤوسا بيضاء .. إنه ليس ناديا .. إنه مستعمرة للعواجيز .. وسارت متمهلة إلى « البار » .. وقطع عليها الطريق سيد « بيه » عبدالله صائحا :

– شريفة .. ده أنا بادور عليكى من الصبح .

وانحنى سيد يقبل يدها ، ثم رفع يدها من فوق شفتيه ووضعها فوق قلبه ، وضغط بها عليه كأنه يبثها لوعته .. وقالت شريفة فى برود :

– بتدور علىّ ليه .. خير إن شاء الله ؟

قال وهو ينظر إليها وبين شفتيه ابتسامة واسعة :

– أصل الشلة كلها سهرانة الليلة فى الرومانس .. والسهرة ما تكملش إلا بيكى ..

وقالت شريفة فى تأفف :

– الشلة هى هى برضه ؟

وقال سيد :

– هى هى .. بكامل هيئتها ..

وقالت شريفة :

– يا أخى غيروا شوية ، ده أنتم بقيتم زى حجارة الطاولة ، تنتقل من هنا لهنا إنما عمرها ما بتتغير ..

وقال سيد وهو يحاول أن يبدو رقيقا :

– انتى عارفة يا شريفة .. أنا عمرى ما أحب التغيير .. دايما مخلص .. مخلص .. مخلص ..

وقالت شريفة فى برود :

- شاطر ..
وقال سيد :
- تحبى نقعد نتعشى فين !
واستدارت شريفة دون أن تجيب عليه ، وسارت بضع خطوات ، وجلست إلى مائدة بجوار نافذة تطل على البحر .. وجلس أمامها سيد ، قائلا :
- تحبى تشربى إيه ؟
قالت :
- ويسكى .. ويسكى قوام أحسن أنا ميتة من التعب .. النهاردة بالف من الصبح على رجليه !
وقام سيد بنفسه ، وأحضر زجاجة ويسكى من البار وكأسين ، وجاء وراءه الجرسون يحمل زجاجات الصودا وجردلا فضيا يحتوى على قطع الثلج ..
وقالت شريفة :
- ما تحطش صودا .. تلج بس !
وقال سيد :
- عارف ..
وشربت شريفة .. شربت ثلاثة كؤوس فى أقل من ربع ساعة .. وأحست كأن نشاطها قد ثار فى عروقها حتى كاد ينفجر بها .. إنها لم تعد تطيق أن تجلس صامتة .. تريد أن تنطلق .. أن تصرخ .. أن تتشاجر .. أن تضرب أحدا .. وأخذت تنقلت إلى أعضاء النادى وتلقى إلى كل منهم بكلمة صارخة .. أو بنكتة .. ثم تضحك .. تضحك بكل صوتها .. ثم لم يعد يكفيها أعضاء النادى .. إنها تريد دنيا أوسع من هذه الدنيا .. دنيا تحتمل نشاطها المتفجر فى عروقها .. دنيا تطلق فيها حيويتها .. ونارها .

ونظرت إلى سيد .. إنه يلاحقها منذ أكثر من عشرين عاما.. كانت فى الثامنة عشرة عندما بدأ يغازلها .. ومرت الأيام وهو لا يزال يغازلها .. ولا يزال يريدها .. ولكن ما أبعد الفرق بين غزله بالأمس وغزله اليوم .. لقد كان بالأمس يجرى وراءها بسيارته ، ويقفز سور حديقتها ، ويضرب كل من ينظر إليها .. كان يشيع فى حياتها الحركة .. كان يشعرها بكل دقيقة من عمراها .. والآن .. إنه يدعوها إلى الغداء والعشاء .. إن كل ما يستطيعه هو أن يأكل معها ويشرب معها ، وينظر إليها كالأبله فى انتظار أوامرها .. إنه ماض .. يعيش مع رقصات الفالس وأغنية « فى الليل لما خلى » .. إنه شعر أبيض ، وجسد مترهل ، ووجنتان محتقنتان من أثر الويسكى .. وهى .. إنها لا تريد أن تكون ماضيا .. إنها لا تزال حاضرا .. إنها تعيش فى الحركة .. تعيش مع السامبا والسوينج وعبدالحليم حافظ.. إنها جسد مشدود يضج بالنشاط الحار .. إنها لم تقف حيث وقف سيد .. إنها فاتته من زمن طويل .. فاتته ، كما فاتت زوجها ، وفاتت كل أعضاء نادى السيارات .. إن مكانها ليس هنا .. ليس فى مستعمرة العواجيز ..

وكانت الساعة الحادية عشرة ، عندما قفزت شريفة واقفة ، وقالت فى لهجة آمرة :

– أنت مش بتقول حانروح الرومانس .. ياللا بينا ..

●●●

ودخلت الرومانس وابخرة الويسكى تتزاحم فى رأسها ، ودماؤها تصخب فى عروقها كموج البحر .. ولكن لا شىء يبدو على وجهها .. إن وجهها لا يزال يكسوه الوقار وابتسامتها الصغيرة الحازمة بين شفتيها .. إنها تستطيع

دائما ، وفى كل حالاتها ، أن تختار التعابير التى تضعها على وجهها ..

وجذبت سيد من يده بمجرد دخولها ، وهمست :

– تعال معايا ..

ثم اتجهت إلى غرفة الزينة المخصصة للسيدات ، وعادت تهمس :

– استنانى شوية !

ثم دخلت ووقفت أمام المرآة ، وأطلت على وجهها .. إن أنفها يلمع قليلا من أثر العرق والخمر ، والكريم قد ساح من فوق التجاعيد الخفيفة التى تحيط بطرفى عينيها وحول عنقها ، وخصلات من شعرها طيرها الهواء ، والروج قد خف من فوق شفتيها .. و .. فتحت حقيبة يدها وأخرجت منها كل أدوات الزينة .. وبدأت تنثر البودرة فوق أنفها ، وتغطى التجاعيد بالكريم ، وتعيد صبغ شفتيها ، وتساوى شعرها .. ثم انحنت ورفعت ذيل ثوبها ، ومدت يديها تحت الثوب وأخذت تشد « الكورسيه » شدا خفيفا وتساويه فوق جسدها .. ثم اعتدلت واقفة ومدت يدها فى صدرها لتساوى وضع « السوتيان » فوق نهديها .. ثم نظرت إلى المرآة نظرة أخيرة .. وابتسمت كأنها اطمأنت على نفسها .. ثم جمعت أدوات زينتها وأعادتها داخل الحقيبة ، وخرجت بعد أن أعطت لوصيفة الغرفة ورقة من ذات الخمسة وعشرين قرشا ، كأنها ترشوها حتى لا تفضح سرها ..

وخرجت .. ووجدت سيد ينتظرها ، واقفا أمام « البار » القريب من غرفة الزينة .. فوضعت ذراعها فى ذراعه ، واتجها نحو مائدة كبيرة تحاذى حلقة الرقص ، اجتمع حولها كل

أعضاء الشلة .. سيدات كلهن حول عمر الأربعين .. الشعر المصبوغ ، والأصباغ الثقيلة ، والثياب الغالية ، والمجوهرات الكثيرة .. وملك هانم أرادت أن تغطى عمرها بطريقة عكشية فصبغت شعرها كله باللون الأبيض .. لون الفضة .. كأنها لو تركته بلا صبغة لما شابه البياض .. ورجال كلهم بين الخامسة والأربعين والستين .. الخدود المترهلة ، والأنوف الحمراء ، والأجساد المرتخية ، وخاتم كبير فى أصبع كل منهم .. وثلاث زجاجات من الويسكي ترفرف فوق المائدة كالاعلام .. أعلام الشلة !

وقام الرجال لمقدم شريفة هانم ، ووضعت السيدات بين شفاههن ابتسامات واسعة .. وتقدمت شريفة نحو المقعد الذى أفسحوه لها فى الصدر ، وهى تقول :

- بونسوار كلكم ..

وهمت بأن تجلس فالتقت عيناها به ..

وكان لا يزال واقفا تحية لها .. وابتسامة واسعة تطل من تحت شاربه الأنيق الأسود ، وتكشف عن أسنان بيضاء لامعة ، فوق فك قوى كأنه فك أحد أبطال الملاكمة ..

ماذا أتى به إلى هنا ؟

إنه ليس من الشلة .. ليس من عمر الشلة ..

وقد رأته من قبل .. كان يتردد على النادى فى فترات متباعدة ، وكانت تلتقى به فى بعض الحفلات وبعض الملاهى .. وكانت تمر به مغمضة العينين كما تعودت أن تمر على كثير من مغريات الحياة .. ولكنها الليلة لا تستطيع أن تغمض عينيها .. إنها فى حاجة إلى الحياة كلها ، بكل ما فيها من مغريات ..

ونزعت عينيها من بين عينيه ، وجلست .. وأشاحت عنه ..

ولكن صورته لا تزال فى خيالها .. شعره الأسود الذى يعلن شبابه .. وجهه الوسيم البرىء .. وعيناه الواسعتان كأنه يبتلع فيهما النساء ، وكأنهما تفضحان براءة وجهه .. وحاجباه العريضان .. وقوامه المشوق .. وعضلاته .. إنه يستطيع بهذه العضلات أن يستنزف نشاطها كله .. ويريحها من هذا النشاط .. يريحها من الضجيج الذى يصخب فى عروقها ..

وسمعت صوت فايز يقدمه لها :

– انتى مش تعرفى مصطفى يا شريفة هانم .. يبقى يا ستى ابن أخت عبدالخالق باشا معوض ..

ورفعت إليه عينيها مرة أخرى ..

واستدارت رؤوس كل النساء إليه كأنهن انتهزنها فرصة ليملأن عيونهن منه ..

وقالت شريفة فى صوت وقور :

– بونسوار يا مصطفى بيه .. اظن شفنا بعض قبل كده ..

وقال مصطفى وهو جالس فى طرف المائدة ، وقد كسا وجهه بعض الاحمرار ، كأنه يعانى ازمة حياء :

– بونسوار يا أفندم ..

وعادت تدير رأسها عنه .. ولكن صورته لا تزال تحتل خيالها .. ترى كم عمره .. خمسة وعشرين .. ثلاثين .. اثنين وثلاثين ؟! وما هو الفرق بين عمرها وعمره .. إنها تكبره .. تكبره كثيرا .. كم عاما ؟!

ولم تجب على تساؤلها .. إنما وجدت نفسها تفتح حقيبتها ، وتخرج مرآتها ، وتنظر فيها طويلا .. كأنها تطمئن على عمرها.

وصب لها سيد كأسا من الويسكى .. فامسكت به ، وأدارت

عينيها فى وجوه الشلة ، ثم قالت بصوت يسمعه كل من على المائدة ، دون أن يتعداها .. قالت كأنها تفتح موضوعا يشغلها عن خيالها :

– اسمعوا يا ستات .. بلاش سكر الليلة .. الجدع بتاع روزاليوسف قاعد هناك ومش عايزين فضايح ..

واستمع السيدات لها كأنهن يتلقين أمرا .. وقالت ملك هانم:

– أنا لسه فى التانى ..

وقالت أمينة هانم :

– أنا ما ليش نفس أشرب الليلة .

وقالت أنجى :

– ما هو إذا كنا حانقعد مخنوقين نقوم نقعد فى حتة تانية .

تعالوا عندى فى البيت !

ولم يرد عليها أحد ..

ورفعت شريفة هانم كأس الويسكى وشربت نصفه .. ثم لمحت مصطفى بعينيها .. وشربت النصف الآخر ..

وصب لها سيد كأسا جديدا ..

وبدأت الشلة ترقص .. ومصطفى يرقص أيضا .. إنه يرقص مع أمينة .. إنه يحتضنها أكثر من اللازم .. وأخذت شريفة تقارن بين عمره وعمر أمينة .. إن الفارق كبير .. لابد أن الناس ترقبهما وتضحك .. هل يضحك الناس أيضا لو قامت هى ورقصت معه .. وعاد مصطفى من الرقص .. ثم قام يرقص مرة أخرى مع أنجى .. ثم رقص مع ملك ..

وهى .. شريفة جالسة تشرب الويسكى .. كم كأسا شربت .. لا تدرى .. ولكن رأسها مثقل بأبخرة الخمر ، ووجهها لا يبدو عليه أثر منها ..

وكان أفراد الشلة ينتقلون من مقاعدهم عقب كل رقصة .. هذا يجلس بجانب هذه .. وعقب رقصة أخرى يجلس بجانب تلك .. وهكذا .. ثم جاءت فترة لم يكن على المائدة إلا شريفة جالسة فى مقعدها الذى لم تغيره طول الليل .. ومصطفى جالس هناك ، على طرف المائدة .. وكلاهما يتحاشى النظر إلى الآخر .. وكلاهما يرى الآخر .. وأحست شريفة بشىء كالقشعريرة وهى منفردة مع مصطفى على المائدة .. أحست كأن جسدها ينجذب إليه رغما عنها .. كل قطعة من جسدها تنجذب إليه ، ولا تستطيع أن تعيدها .

وأخرجت سيجارة ووضعتها بين شفتيها ، لعلها تستطيع أن تنفث قشعريرتها فى دخانها .. وهمت أن تشعلها .. فوجدت يد مصطفى ممتدة إليها بعود ثقاب مشتعل .. كأنه يريد أن يشعلها كلها .. أن يطلق فيها ناره ..

وأشعلت سيجارتها ، ثم رفعت إليه عينين واسعتين ثابتتين ، وقالت بلهجة آمرة كأنها ضاقت بترددها :

– أنت بترقص ليه ؟!

وبوغت مصطفى بهذا السؤال ، وقال فى لهجة مرتبكة كأنه طفل ضبطته أمه يسرق تفاحة :

– ما حدش قال لى ما ترقصش ، ورقصت !

قالت وهى لا تزال محتفظة بلهجتها الآمرة :

– طب أقعد هنا ..

وأشارت إلى المقعد الذى يلاصقها .. وجلس وقد أرتكز بكوعيه على المائدة بحيث أصبح ذراعه يلاصق ذراعها .. وحاولت أن تبتعد عنه .. ولكنها لم تستطع .. أحست كأن لحمها التصق بلحمه ولم تعد تستطيع أن تنفصل عنه ..

ونظرت إلى وجـهـه .. ورأت فى عـينيـه شـقـاوة .. شـقـاوة الصبيان .. إنهـا تعرف هذا النوع من الشقاوة .. شقـاوة فيها جرأة ، وفيها غرور ، وفيها رغبة ، وفيها حماس الشباب ..

وقاومت حـتى احتـفظت بلهجتـها الآمرة .. لـهجة السـيدة الكبيرة .. أكبر منه .. وقالت :

– اتكلم .. قولى لى أخبارك إيه !

قال والشقاوة تقفز فى عينيه :

– أخبارى أنى من زمان عايز أتعرف بيكى ..

وقاطعته وهى لا تزال تحاول أن تحـتفظ بمكانتها منه .. أن تحتفظ باحترامها لنفسها أمامه :

– ليه ؟

قال وهو لا يزال يصب نظراته فوق وجهها :

– ما أعـرفش ليه .. إنما كنت كل ما أشـوفك أتمنى أعرفك .. فيكى حاجة كانت دايما تشدنى ناحيتك ..

قالت وهى تحاول أن تبدو ساخرة :

– الكلام ده تقـوله للبنات الصغـيرين بتـوعك .. أنت عندك كام سنة ؟!

وتمنت ألا يجيب ..

وقال فى صوت هامس :

– عندى ساعتين ونصف .. اتولدت سـاعة ما أتعرفت بيكى

وضحكت .. ضحكت حتى تغطى رغبتها فى الانسياق وراء هذا الكلام .. إنهـا تريد أن تصدقـه .. تريد أن تحس به يحبـهـا ويريدها ويأخذها .. وقالت بين هدير ضحكتها المصطنعة :

– إنما ده أناأكبر منك قوى ..

قال :

– ما أعرفش إذا كنت أكبر منى ولا أصغر .. إنما أعرف إنى فرحان بيكى .. عمرى ما فرحت أد الليلة دى ..

قالت وهى تنظر إليـه ، وقد بدأت نظرتهـا تلين تحت ضغط أنوثتها :

– أدى انت عرفتنى .. بعد كده فيه إيه ؟

قال :

– مافـيش بعد كـده .. حانفضل نعـرف بعض على طول ..

وابتـسـمت ابتـسـامـة هادئة كـأنهـا تراجع فى صـدرها كل ما سمعته ، كما تراجع دفتر حسابات جمعية « إنقاذ الفقراء »..

وساد بينهما الصمت فترة ، كان كل منهما يبحث عن طرف الخيط الذى يؤدى إلى الآخر ..

ثم قال فجأة :

– تحبى تلعبى لعبة ؟

قالت وقد خـامرها الخوف من أن يلعب معهـا إحدى ألعاب المائدة التى تثير السخرية بها وتفقدها احترامها :

– وريهالى الأول .. قبل ما ألعبها !

قال وهو يبتسم كأنه قرأ أفكارها :

– ما تخافيش .. مدى صباعك ده ..

وأشار إلى أصبعها السبابة .. فمدته له فى تردد وهى تنظر إليه فى حذر .. والتقط عود كبريت وثناه ثم علقه فوق أصبعها الممدد .. وقال وهو لا يزال يبتسم ابتسامة بريئة :

– قولى ترن .. ترن .. ترن ..تلات مرات !

ونظرت إليه فى دهـشة ، وبين شفـتيهـا ابتسامـة حائرة ، كأنها طفلة غريرة . فاستطرد قائلا :

– قولى .. ما تخافيش !!

وقالت فى صوت خفيض مقلدة صوت الجرس :

– ترن .. ترن .. ترن ..

فمد يده بسرعة ، ورفع عود الكبريت ووضعه على أذنه ، قائلا :

– آلو .. آلو ..

وضحكت .. ضحكت من كل قلبها .. ضجت بالضحك .. ضحكت كما لم تضحك من قبل ابدا .. ضحكة طفلة .. ضحكة صبية .. ضحكة شابة ..

وقال بعد أن خفت عنها موجة الضحك :

– أقدر أعرف نمرة التليفون ده كام ؟

وضحكت مرة ثانية .. ثم كفت عن الضحك .. واكتسى وجهها بتردد يشوبه بعض الحياء .. إنه يريد رقم تليفونها .. ورقم تليفونها يعرفه الجميع .. إنها سيدة مشتركة فى الحياة العامة .. ورقم تليفونها ليس سرا .. وليس هناك ما يمنع أى إنسان فى مصر من أن يحادثها فى التليفون .. ولكنها الآن تشعر بالحياء والتردد وهو يطلب رقم تليفونها كأنها ستبوح له بسر .. كأنها ستكشف له عن قطعة من جسدها .. كأنها تحدد أول موعد غرام فى حياتها ..

وقالت فى صوت خفيض تكشف عن رقم تليفونها :

– اتناشر ميتين واحد وعشرين ..

وسكتت الموسيقى .. وعاد أفراد الشلة من حلبة الرقص .. وظل مصطفى جالسا بجانبها ، وذراعه ملتصقا بذراعها . وحاول كل منهما أن يوجه اهتمامه إلى الآخرين ، كأنهما يقصدان أن يخفيا سرهما .. كأنهما يحاولان اقناع الآخرين

بأن ليس بينهما شيء ، ولا يمكن أن يكون بينهما شيء .. ولم يتبادلا سوى كلمات عابرة ونظرات مختلسة ..

وانتهت السهرة ..

وقامت الشلة منصرفة .. وتقدمت شريفة هانم تسير بخطواتها القوية النشطة ، ووجهها يكسوه الوقار .. وابتسامتها الحازمة بين شفتيها .. ولا شيء يبدو على وجهها مما في نفسها ..

وعلى باب الملهى وقف مصطفى يصافحها .. ويضغط على يدها .. والشقاوة لا تزال في عينيه .. ثم سبقها إلى سيارته ..

وتلكأت قليلا حتى ترى سيارته .. إنها سيارة شيفرولية موديل ٥٦ ، وحاولت أن تلتقط رقمها كما تفعل البنات الصغيرات ، ولكنها لم تستطع أن تلتقط إلا رقمين .. رقم «١» ورقم «٧» .

ثم ركبت مع سيد في سيارته .. والسائق يسوق في هدوء .. وهواء البحر يرطب وجهها .. وسيد نائم داخل السيارة كعادته وهو يعود كل مساء .. وهي ساهمة وراء خيالها ..

ودخلت بيتها وهي ساهمة ..

ووقفت أمام المرآة تخلع ثيابها وهي ساهمة ..

ثم سمعت نفسها تقول :

– ما يصحش يا شريفة .. ده أصغر منك قوى !!

٢

ولم تنم شريفة هانم ..
ظلت تتقلب فى فراشها وصورة مصطفى تنطلق من خيالها وتستقر بجانب رأسها فوق الوسادة ..

ولم يكن ما يؤرقها هو إحساسها بأنها مقدمة على خيانة زوجية .. لا .. إن الاحساس بالخيانة الزوجية لم يعد له معنى فى حياتها .. إنها منذ زمان طويل وهى شخصية مستقلة .. مستقلة حتى عن زوجها ..

ولم يكن ما يؤرقها هو إحساسها بالحب .. إنها لا تستطيع أن تفسر أحاسيسها على أنها حب ..

شىء آخر غير الحب .. إنه احساس بالمغامرة .. وقد كان فى حياتها كثير من المغامرات ، ولكنها فى هذه المرة تحس أنها مقدمة على مغامرة أكبر .. إنها ـ فى هذه المرة ـ تغامر باحترامها لنفسها .. تغامر بالصورة الوقورة الحازمة التى رسمتها لنفسها لتبدو بها أمام الدولة .. أمام وزير الشئون الاجتماعية ، وأمام الناس .. صورة المرأة الجادة التى وهبت حياتها للفقراء ، ولإدارة الجمعيات الخيرية .. وهى على وشك أن تضع هذه الصورة بين يدى شاب مغرور بشبابه .. شاب يصغرها سنا .. يصغرها بكثير .. فهل يستطيع أن يحافظ على

احترامـه لهذه الصورة ، أو هل تستطيع وهى مـعه أن تحافظ على احتـرامها لنفـسها ، وعلى مظهـرها الاجتمـاعى .. وتتقى كلام الناس .. هل تسـتطيع أن تظل مسيطرة عليه كـما تعودت أن تسـيطر على كل من حـولهـا ، أم تندفع فى بحـر شـبـابه منساقـة مع التيار .. وهل سـتنزل إلى عمره ، أم سـيرتفع هو إلى عمرها ؟

إنها لا تدرى ..

إنها مترددة ..

إنهـا خـائفـة .. نوع من الخـوف لا تسـتطيع أن تقـاومـه فـتـسـتـسلم له .. وهو علـى أية حال خـوف لذيذ يبـدد فـراغ روحها ، ويهدىء من ضجيج أعصابها ..

ونامت على ضوء الفجر ..

وقامت من فراشها فى الساعـة الواحدة من بعد ظهر اليوم التالى ، وأذنها منصتة إلى التليفون ..

كانت تنتظر أن يتكلم ..

وكانت تتمنى ألا يتكلم ..

وظلت فترة طويلة لا تتحرك .. جالسة على « الشيزلونـج » الموضـوع بجـانب الفـراش .. كـأنهـا فـى انتظار القـدر .. ثم استدعت الخادم وسـألته وهى تخفى عينيها عنـه كأنها تسأل عن أمر لا يهمها كثيرا :

– ما حدش ضرب تليفون ؟

وقال الخادم فى لهجة طبيعية :

– لا يا افندم ..

قالت وهى تحنى رأسها :

– قول للباشا إنى حاتغدى فى أودتى .

قال الخادم وهو ينصرف :

– حاضر ..

وعادت تنتظر ..

ومع مرور الساعات اختفت أمنيتها ألا يتكلم .. إنها تريده أن يتكلم .. يجب أن يتكلم .. وسترد عليه ببرود .. بكبرياء .. ستقنعه بأن كل ما دار بينهما ليلة أمس لم يكن إلا حديثا عابرا للتسلية ، لا يمكن أن يترتب عليه شيء بينهما .. ستقنعه أنها امرأة كبيرة .. وسيدة محترمة .. لا يمكن أن تنزل بنفسها وبعمرها إلى مستوى شبابه ..

وسمعت جرس التليفون يدق خارج غرفتها ، وانتفض قلبها ، واعتدلت فى جلستها ، وأخذت تجمع تحت لسانها الكلام الذى ستقوله له .. واللهجة التى ستحدثه بها .. اللهجة الباردة الآمرة ..

وانتظرت أن يدخل إليها الخادم حاملا آلة التليفون ..

وانتظرت أكثر ..

ثم ضغطت على الجرس تستدعى الخادم ، وقالت له فى لهجة ترتعش بين الحدة والحياء :

– مين ضرب تليفون ؟

وقال الخادم :

– ما حدش يا افندم .. النمرة كانت غلط !

وأحست كأن الخادم يتكلم وهو شامت فيها .. وشدت أعصابها وقالت فى لهجة حاولت أن تكون هادئة :

– طيب روح هات التليفون هنا ..

وذهب الخادم وعاد إليها بالتليفون .. ووضعته بجانبها فوق الشيزلونج وأخذت تبحلق فيه وهى ساهمة .. تائهة

بعينيها .. كأنها عمياء لا ترى شيئا ..

ودق جرس التليفون .. وقبل أن تنتهى الدفعة الأولى من رنين الجرس ، رفعت السماعة وصاحت فى لهفة :

– آلو ..

ثم ارتخت لهفتها ، وتكسرت نظرتها ، وقالت كأنها على وشك البكاء :

– ازيك يا أمينة .. أخبارك إيه ؟

ولم تستمع إلى ما تقوله أمينة .. كانت تستمع إلى عويل حاد ينبعث من صدرها .. ثم وجدت نفسها تقول فى التليفون دون وعى منها :

– طيب يا حبيبتى .. أنا حاضرب لك بعد شوية ، أحسن مشغولة دلوقت ..

ووضعت سماعة التليفون ..

وبدأت تثور على نفسها ..

تثور على انتظارها .. من يكون هذا الطفل الذى تنتظره .. وكيف تسمح لنفسها أن تنهار إلى هذا الحد ..

وكانت الساعة الثامنة مساء عندما قررت أن تخرج من البيت ، واستدعت الخادم وصاحت فى وجهه بعصبية :

– قول للأسطى يطلع العربية ..

وارتدت ثوب الخروج .. لا تدرى أى ثوب اختارته .. مجرد ثوب .. ثم همت أن تخرج من الغرفة .. ولكنها عادت تتلكأ ، وهى تجذب عينيها وأذنيها بعنف بعيدا عن التليفون .. ماذا نسيت قبل أن تخرج .. لا شىء .. وهى تعلم أنها لم تنس شيئا .. ولكنها فقط تتلكأ ، لعل جرس التليفون يدق ..

ثم انتزعت نفسها من الغرفة .. ونزلت إلى البهو ، وقالت

فى حدة وهى لا تنظر إلى زوجها :

– قوم اتعشى ونام بأه يا باشا .. كفاية كده !

وارتفع الرأس الأشيب ونظر إليها بعينيه الحانقتين ، وقال بصوت مبهور :

– رايحة فين يا شريفة ؟

وقالت وهى مستمرة فى طريقها :

– خارجة ، وخرجت ووضعت نفسها فى السيارة الكاديلاك ، وذهبت إلى صديقتها أمينة .. فى بيتها .. لم تتعمد اختيار الذهاب إليها .. ولكن كانت أمينة أول من خطر على بالها ..

وجلست مع أمينة وعقلها شارد .. وفى شروده غيظ .. كانت مغتاظة من نفسها لأنها ضعيفة .. ضعيفة .. إن الانتظار ضعف .. إنها لن تنتظر أبدا .. ستقاوم الانتظار ..

وقالت أمينة :

– إنتى مش عاجبانى الليلة يا شريفة .. مالك !

وقالت شريفة وهى تحاول أن تبدو هادئة :

– أبدا .. أصل الباشا تعبان شوية !!

وابتسمت أمينة .. إنها تعرف شريفة جيدا ، وتعرف أنها عندما تذكر تعب الباشا ، فهى تقصد أى شىء إلا تعب الباشا .. وعادت تقول كأنها تسرى عن صديقتها :

– النهارده الشلة ما حدش قادر يلمها .. كل واحدة فى ناحية .. وملك غطسانة من الصبح !

وقالت شريفة وهى ساهمة :

– ليه .. راحت فين ؟

وقالت أمينة :

– أنا عارفة يا اختى .. زمانهـا بتجرى ورا الواد اللى اسمه مصطفى .. ما هى واقعة فيه لشوشتها ..

وانتبـهت شريفة ، واتسـعت عيناها وقالت وصـدرها يهبط ويرتفع كالمنفاخ :

– مصطفى مين ؟

وقالت أمينة :

– الشاب الصغير اللى كان سهران معانا إمبارح .. دى ملك لما شفـته قـاعد جنبك كـانت حاتتـجنن .. بس انت ما خـدتيش بالك ..

وقالت شريفة كأنها تحادث نفسها :

– بس ده صغـير عليها قـوى .. ده يمكن ما تمش الخمـسة وعشرين ..

وقالت أمينة :

– ياختى ما بقاش فيه صغـيرة ولا كبير .. الستات خلاص اتجننت ..

وسكتت شريفة برهة .. هـل جنت هى الأخرى .. نعم ، لقد جنت .. إن هذه الأحـاسيس التى تثور فى صـدرها ، وهى فى مثل عمرها ، لا يمكن أن تكون إلا أحاسيس جنون ..

وكأنها أرادت أن تؤكد لنفسها أنها مجنونة ، فقالت لأمينة :

– إدينى التليفون لما اسأل عن الباشا ..

ولم تكن تريد أن تسأل عن الباشا .. كان أهم سؤال وجهته إلى الخـادم عنـدمـا رد عليـهـا هو : « مـا حـدش سـأل فى التليفون ؟» .. وأجاب الخادم بالنفى .. لا ..

وألقت سمـاعة التليـفون من يدها كأنهـا تهرب من شـماتة الخادم فيها ..

●●●

وعـادت إلى بيتـها مـبكرة .. فى السـاعة الحـادية عشـرة مساء .. ووجهها يكسوه الوجوم .. حتى ابتسامتـها الصغيرة الحازمـة ضاعت منهـا .. وشدت عـينيها إلـى الأمام وهى فى طريقها إلى غرفتها حتى لا تلتفت إلى التليفون ..

إنها لن تنتظر ..

لن تنتظر ..

لعله يريد منهـا أن تجـرى وراءه ، كـما تجـرى وراءه ملك هانم .. هذا المغـرور .. هذا الطائـش .. هذا الطفل .. لا إنهـا لن تجرى وراءه .. لقد اخطأ إذا اعـتبرها واحدة كبقـية السيدات .. إنها قوية .. إنها محترمة ..

ولكن .. لماذا تحاسبه .. بأى حق تنتظره .. إنه لم يقل لها إلا كلمـتـين حلوتين من كلمـات الغـزل .. كلمات تقـال دائمـا فى الليـالى الراقصـة .. تقال لمجـرد المجاملة ، والتـسلية .. فلـماذا تتعلق بهذه الكلمات العابرة ، ولماذا تبنى عليها كل هذه الأوهام ، وتقيم منها جسرا يصل بينه وبينها .. لماذا .. بأى حق .. لابد أنها تالفة الأعصاب .. إن الصيف يتلف أعصابها دائما ..

وقررت أن تشغل نفسها عن الانـتظار .. ستدعو غدا مجلس إدارة جـمعـيـة « إنقاذ الفـقـراء » للاجتـمـاع بالاسكندرية .. وستتصل بوكـيل النيابة لتسأله عما تم فى موضـوع التحقيق مع الست نظيرة وكـيلة معهـد الطفولة .. وستنشـىء مشـروعا جديدا .. جـمعـية خـيرية جـديدة .. جـمـعيـة لرعاية الأمـهات الحـوامل .. إنها فكرة رائعـة ، فلا يكـفى أن تهتم بالطفل بعـد ولادته بل يجب أن يبدأ الاهتمـام به منذ يتكون فى بطن أمه .. فكرة رائعـة فعـلا ، ستـعرضـها على مـجلس الإدارة فى أول اجتماع له ..

وجاء الغد ..

ولم تدع أعضاء مجلس الإدارة إلى الاجتماع .. ولم تتصل بوكيل النيابة .. ونسيت فكرتها الرائعة .. وصبت كل دقائق يومها فوق التليفون ..

ودق جرس التليفون ..

إنه هو .. عرفته من صوته ، بمجرد أن قال « آلو » .. ولا تدرى ماذا جرى لها ، ولكنها انطلقت فى وجهه كأنها تفتح بابا للأبخرة المتزاحمة فى صدرها .. أبخرة القلق والحيرة والانتظار ، وقالت دون أن تتمالك لهجتها :

– ما اتكلمتش إمبارح ليه ؟

وقال فى هدوء وفى صوت خشن يدغدغ أعصابها :

– ما كنتش مصدق نفسى .. ما كنتش مصدق إنى أقدر أكلمك فى التليفون .. كنت متردد .. كنت خايف .. كان متهيأ لى إنك حاتشخطى فىّ .. وتكلمينى جد ..

وقالت شريفة وقد بدأت أذنها تلين تحت سماعة التليفون :

– لا يا شيخ .. ما كنتش مصدق ، ولا ما كنتش فاضى .. شوف كنت مع مين إمبارح .. ولاّ أروح أسأل ملك هانم .. يمكن تعرف ..

قال وصوته الخشن لا يزال يدغدغ أعصابها :

– وحياتك ابدا .. كنت داير طول النهار الف حوالين التليفون ، وأنا باسأل نفسى أضرب ولا ما أضربش .. ولغاية دلوقت ، حتى وانتى بتكلمينى ، مش مصدق ..

وسكتت شريفة برهة .. هل تصدقه .. إنها فى حالة تضطرها إلى تصديق أى شىء .. وقالت فى صوت متهافت :

– مش مصدق إيه ؟

قال :

– مش مصدق إنى أقدر أعزمك على العشا ..

وقالت فى حدة مفتعلة :

– انت مجنون .. عايزنى أخرج أتعشى معاك لوحدنا .. الناس تقول إيه ؟

قال وفى صوته إغراء :

– إحنا حانروح فى حتة هادية ، مافيهاش ناس ..

قالت بسرعة :

– فين يعنى ؟

قال :

– فى أبو قير ..

قالت وهى لا تستطيع أن تكتم فرحتها :

– ده أنا عمرى ما رحت أبو قير ..

قال :

– أحسن .. علشان أبقى أول واحد تروحى معاه هناك ..

قالت تقاطعه :

– بس ..

قال يقاطعها كأنه وصل إليها :

– الساعة تمانية ونص .. عارفة فين .. تعرفى الشارع الضيق اللى قدام باب لوكاندة الميدترانيه .. هناك ..

قالت فى استسلام :

– ما ألحقش ألبس تمانيه ونص ..

قال :

– تسعه ..

قالت :

- لأ .. تسعة ونص !

قال فى غرور :

- أوكى .. بس ما تتأخريش !

ووضعت سماعة التليفون وهى ساهمة .. هل هى التى كانت تتكلم .. هل هى التى قالت هذا الكلام .. هل هى التى استسلمت بهذه السرعة وهذا الضعف .. نعم ، إنها هى .. ولم لا تكون هى .. إن من حقها أن ترضى شبابها .. شبابها !! نعم ، شبابها .. إن الشباب هو النشاط .. هو الحيوية .. وهى مليئة بالنشاط والحيوية .. إنها تختزن من النشاط والحيوية ما يكفى عشر نساء ، وما يملأ عشرين بنتا مراهقة .. ومن حقها أن تفرج هذا النشاط وهذه الحيوية .. من حقها أن تسكت هذا الضجيج الذى ينطلق من أعصابها .. من حقها أن تشبع .. أن تشبع حتى ترتخى أعصابها ..

إنه أصغر منها .. ماذا يهم .. إن عمره وعمرها سيلتقيان ..

هناك لحظات يختفى فيها العمر ، ولا يبقى إلا وحدة الإحساس .. وسبقها خيالها إلى هذه اللحظات .. وأحست أن جسدها يرتعش كأن يدا تمر عليه .. يد رجل .. وأحست أن دماءها تتسابق فى عروقها وتصعد إلى وجهها .. كأنها تعانى نوبة حياء وهى ترى جسدها فى خيالها عاريا ، ويد رجل تمر عليه ..

وأطلت بوجهها فى المرآة .. إنه وجه شابة .. وجه جذاب .. ووجنتاها فى لون الورد .. وعيناها تلمعان .. والتجاعيد الخفيفة التى كانت حول طرف عينيها ، وفى أعلى رقبتها ، قد اختفت ..

واتسعت ابتسامتها ..

وخفت في نشاط إلى دولابها وفتحته إلى آخره .. أى ثوب تختار .. أى ثوب يا ربى .. هذا ثوب أبيض .. ثوب عروس فى ليلة زفافها .. ثم تركت دولابها وعادت إلى مرآتها ، وخلعت الروب دى شامبر ، ووقف بالقميص الداخلى تضع الأصباغ على وجهها .. ولكن يدها ترتعش .. فتعيد رسم الخط من جديد .. ثم من جديد ..

ونادت وصيفتها لتساعدها على لف المشد « الجيبيير » حول خصرها .. وصاحت فيها :

– شدى على الآخر يا سيدة .. على الآخر خالص !

ولم تحس أن أنفاسها تختنق والمشد يضغط جسدها .. أحست كأن ذراعين قويتين يضغطانها .. ذراعى رجل .. ووقفت تنظر إلى نفسها فى المرآة وهى داخل المشد .. إن خصرها نحيل .. كخصر فتاة فى السادسة عشرة .. ونهداها قد ارتفعا فوق صدرها .. كأنهما صرختا شباب .. ثم جلست لتضع جوربها فى قدميها .. وربتت على ساقيها فى حنان كأنها تهنئهما .. ساقاها .. إنهما دائما جميلتان متسقتان ، كعودين من نور صاغهما فنان ..

واتسعت ابتسامتها أكثر ..

ثم وقفت لترتدى الثوب الأبيض .. ثوب من التل الأبيض مبطن بقماش التفتاه الأبيض ، وعند الخصر وردة كبيرة حمراء ، ومن تحته جيبون مقوى بمادة « النشاء » ، يتسع به الثوب ويرتفع به إلى قرب ركبتيها .. ووضعت شالا من التل الأبيض فوق كتفيها .. ووقفت تتعاجب أمام المرآة بينما خادمتها قد انحنت لتضع فى قدميها حذاء من « الستان »

الأبيض .. وتناولها حقيبة صغيرة من الحرير الأبيض المطرز باللؤلؤ ..

والقت نظرة أخيرة على خيالها فى المرآة ..

إنها عروس ..

إنها صغيرة ..

والتفت إلى خادمتها قائلة وكلماتها ترن كالضحكات :

– قولى للأسطى يطلع العربية ..

وخرجت الخادمة .. وتلفتت حواليها كأنها تهم بأن تسرق شيئا .. ثم فتحت درجا صغيرا وأخرجت نظارتها السوداء ، ووضعتها بسرعة داخل حقيبتها الصغيرة .. ولم تكن تدرى ما حاجتها إلى النظارة السوداء ، ولكن دافعا فى نفسها كان يدفعها إلى الانسياق وراء كل مظاهر المغامرات العنيفة ..

وركبت سيارتها والساعة التاسعة والربع ، وقالت للسائق :

– اطلع على سان استيفانو يا أسطى ، من ناحية الكورنيش ..

ونزلت عند باب كازينو سان استيفانو المطل على طريق الكورنيش .. ثم أمرت السائق بالعودة .. ودخلت إلى الكازينو ، ولكنها ما كادت تسير بضع خطوات فى الفناء الخارجى حتى وقفت فى ركن مظلم تنظر إلى سيارتها وهى تنصرف .. وبعد أن اطمأنت إلى أن السائق قد ابتعد .. خرجت مرة ثانية إلى شارع الكورنيش .. وانتظرت إلى أن مرت بها سيارة أجرة ، فأشارت لها ، ووضعت نفسها فيها .. ووصفت للسائق الشارع الضيق الذى يقع فيه باب فندق الميدترانيه .. وانزوت فى ركن السيارة ويدها أمام وجهها كأنها تخفى نفسها .. وهمت أن تخرج النظارة السوداء وتضعها على عينيها ، ولكنها

خافت أن تشوه حافة النظارة من الأصباغ التى تضعها على وجهها ، فعدلت عن إخراجها من حقيبتها ..

ولمحت سيارة مصطفى من بعيد ، واقفة فى انتظارها .

وأعطت للسائق أجره قبل أن تنزل من السيارة .. أعطته ورقة من ذات الخمسة وعشرين قرشا ، ثم نزلت ، وتركت له الباقى ..

وسارت بضع خطوات ، وكل ما فيها يرتعش ..

وانحنى مصطفى وهو فى مكانه ، يفتح لها الباب المقابل ..

وركبت بسرعة .. وغطست داخل السيارة كما تفعل البنات الصغيرات حتى لا يراهن أحد ..

وقالت وهى تلهث لهثا مغالى فيه :

– ما تطلعش من على الكورنيش .. خليك فى الشوارع الجوانية !!

ونظر إليها مصطفى مبتسما ، وقال وهو يقود السيارة :

– ياه .. ده انتى شيك خالص .. الفستان ده مش ممكن نروح بيه أبو قير ، ده لازم نروح بيه سان استيفانو ..

وقالت دون أن تنظر إليه كأنها خجلة :

– زى ما يعجبك ..

قال :

– برضه نروح أبو قير ..

ورفعت عينيها إليه وهى غاطسة فى مقعدها .. ورأت شعره الأسود الذى يعلن عن شبابه .. ووجهه الوسيم البرىء ، وعينيه الواسعتين كأنه يبتلع بهما كل النساء ، وكأنهما تفضحان براءة وجهه .. وحاجبيه العريضين .. وقوامه المشوق .. عضلاته .. وتملت بعينيها فى عضلاته .. ثم التقت

بابتسامته الواسعة التى تطل من تحت شاربه الصغير الأسود.. والتقت بنظرته .. نظرة فيها شقاوة صبيان .. فيها جرأة وفيها غرور ، وفيها رغبة ..

وأحست بالراحة وهى تستسلم لضعفها .. ذاب عمرها ، وذاب احترامها لنفسها ، وذاب كل ما فيها ..

إنها ضعيفة ..

إنها تريده .. تريده !

وأحست بالراحة وهى تستسلم لضعفها .. وسمعته يتحدث ، وسمعت نفسها ترد عليها .. ولكن خيالها كان يطغى على حديثه وحديثها .. وأحست بيده تمتد باحثة عن يدها ، ولما لم تجدها ، التقت بساقها ..

وقالت فى ضعف :

- وبعدين يا مصطفى !!

ولكنها تركت ساقها ليده .. يمسح عليها ، ويثير فيها شيئا كالكهرباء ، تسرى حتى تصل إلى رأسها ، فتكاد جفونها تسقط فوق عينيها .. كأنها تقاوم مخدرا ..

ووصلا إلى أبى قير ..

ودخل مصطفى بسيارته فى طريق خطأ لا يصل إلى باب المطعم الصغير تماما .. فاضطرا أن ينزلا من السيارة ، ويسيرا على قدميهما حتى المطعم الصغير المطل على البحر ..

سارت ، والحذاء الساتان الأبيض يغرز فى رمال الشاطىء .. وأحست بالفرحة .. كأنها طفلة تمرح فى الرمل ، لم تهتم بحذائها ، ولا بجوربها ، ولا بأناقتها .. كانت تريد مزيدا من الانطلاق .. تريد أن تخلع حذاءها وتجرى بقدمين حافيتين بين موج البحر ..

وقال مصطفى وهو يضع ذراعه فى ذراعها ليسندها فى سيرها :

– أنا آسف .. جزمتك خسرت خالص !

قالت ضاحكة وهى تميل أكثر على ذراعه :

– تحب أقلعها ..

قال وهو ينظر إليها وشقاوة الصبيان فى عينيه :

– لأ .. مش دلوقت !

ودخلا إلى المطعم الصغير .. وقادها إلى غرفة خلفية فوق ماء البحر .. وجلسا أحدهما بجانب الآخر .. كل منهما ملتصق بالآخر .. وطلبا ويسكى .. إنها تريد أن تشرب كثيرا حتى تستطيع أن تلحق بخيالها ..

وقالت وهو يصب لها الكأس :

– بلاش صودا .. حط تلج بس !

قال :

– عارف ..

وشربت الكأس فى جرعتين .. وكأس آخر .. وحديث لا ينتهى .. وضحكات مرحة .. وساقه ملتف بساقها ، وكتفه ملتصق بكتفيها ، وأنفاس ساخنة تهب على وجهها ..

وقالت والكأس فى يدها وضحكة كبيرة مكان ابتسامتها الحازمة :

– يا ترى لو حد شافنا دلوقت ، حايقول علينا إيه ؟!

قال وهو يقترب منها أكثر :

– حايقول اتنين بيحبوا بعض ..

ومرت سحابة جادة بين عينيها .. هل صحيح يحبها .. هل يمكن أن يحبها .. وقبل أن تجيب نفسها .. أحست بأنفاسه

تقترب أكثر من وجهها .. ثم أحست بشفتيه تقعان على طرف أذنها .. وأحست بالكهرباء تسرى من جديد فى جسدها أشد وأعنف .. والكأس تهتز فى يدها .. ولصقت أذنها بشفتيه .. تريد مزيدا من الكهرباء .. ثم هزت رأسها كأنها لم تعد تحتمل الرعشة ، وقالت لاهثة :

– لأ .. لأ .. يا مصطفى ..

ثم نزعت رأسها بعيدا عن شفتيه .. وشربت بقية الكأس .. وكأس آخر ..

وقاما وهما يضحكان ، وفى ضحكهما أطياف من خيالهما .. من نشوتهما .. من أمل مرتقب .. وخرجا ..

وكان مد البحر قد ارتفع .. وغطت المياه القوائم الخشبية المقام عليها المطعم الصغير .. ووقفا على باب المطعم حائرين وضحكاتهما تطغى على حيرتهما ..

وقال مصطفى :

– استنى لما يجيبوا لنا لوح خشب نعدى عليه ..

وقالت وهى تضحك :

– لا .. تعالى !

وبلا تردد نزلت سلالم المطعم ، وخاضت فى الماء بقدميها .. وهى تضحك .. تضحك بكل قلبها .. كأنها طفلة أفلتت من يد مربيتها ، واندفعت فى الماء ..

وصاح مصطفى :

– استنى يا مجنونة !

ولم تستمع إليه .. وسارت تخوض فى الماء .. والماء يرتفع فوق ساقيها ، ويغطى ذيل ثوبها .. وهى تترنح من الخمر والماء .. وكادت تقع ، فصاحت والمرح يقفز فوق وجهها :

– الحقنى يا مصطفى !!

وأسرع مصطفى يلحق بها ، ويغوص بحذائه وبنطلونه فى الماء .. وقبل أن يلحق بها أخذت تعب بيديها من الماء وتنثره على وجهها .. وهى تضحك ..

ولحق بها مصطفى ..

وحملها بين ذراعيه .. ولفت ذراعيها حول عنقه كأنها طفلة .. ثم أخذت تقبله فى وجهه .. فى كل مكان من وجهه .. قبلات سريعة خاطفة ..

ووصل بها إلى السيارة ، ووضعها فوق المقعد ، وهى لا تزال تضحك ، وتقبله فى وجهه ..

وقاد السيارة ، وقالت وهى لا تنظر إليه :

– حانروح فين يا مصطفى ؟

قال وهو ينظر أمامه :

– حانروح ننشف الفستان ..

وقالت فى صوت خافت :

– مرسى ..

ومالت برأسها على كتفه ، وغمضت عينيها .. لا تريد أن ترى الطريق ..

●●●

وكانت شقته فى عمارة منعزلة فى نهاية شارع أبى قير قرب محطة فيكتوريا .. الشارع هادىء .. ودكان لبائع سجائر فى أسفل العمارة .. وجاراج يضم عددا من السيارات ترقد فى هدوء ، كأنها نائمة بعد يوم شاق ..

ودخلا صامتين .. وصعدا صامتين .. كان الأمل المرتقب أقوى وأضخم من أن يترك لهما فرصة للكلام ..

ودخلت الشـقة .. وهى تبتلع ريقـها بصـعوبة ، كـأن أملها يكاد يخنقها .. وقالت فى صوت مبحوح ، تحاول أن تخفف من ضغط هذه النشوة :

– أنا عمرى ما ضحكت أد النهاردة !

قال وهو يطل عليها بعينيه وفيهما شقاوة الصبيان :

– وحاتفضلى تضحكى على طول ، طول ما أنتى معايا ..

وحـاولت أن تتكلم ثانية ، ولـكنها لم تجـد شيـئا تقـوله .. ووقفت مرتبكة ، تنظر إليه ، كأنها تنتظر أوامره ..

وقال :

– أقلعى الفـسـتـان ، وهاتيـه أحطه جنب البـوتاجاز لغـاية ما ينشف ..

وأشار لها إلى غرفة ..

غرفة النوم ..

ودخلت فى خطـوات مـتـرددة وهى تحـاول أن تبـتـسم .. وحاول أن يحلق بهـا .. ولكنها أغلقت الباب فى وجـهه ، وهى تقول فى رقة :

– خليك بره لغاية ما أنده لك !

ووقفت ساهمة وسط الحجرة .. لا تـفعل شيئا .. ثم عضت شفتـيها بأسنانها كـأنها اتخذت قرارها .. لم يعـد هناك مجال للتردد .. لقد سارت إلى نهـاية الطريق ولا تستطيع أن تعود .. ثم أنها لا تريد أن تعود ..

وألقت حـقيبـتهـا ، والشال الأبيض علـى المقعد .. ورفـعت قدمـها قليـلا ثم مدت يدها ونزعـت فردة حذائهـا .. ثم نزعت الفردة الثانية .. ثم مدت أصابعها إلى جنبها وشدت « سستة » الثوب .. إنهـا لا تنظر إلى المرآة .. لا تريد أن تنظر إلى المرآة ..

وخلعت الثوب ، وأزاحت « الجيبون » فسقط على الأرض تحت قدميها .. ثم جلست لتخلع جوربها .. ثم قامت واقفة ومدت ذراعيها خلف ظهرها وأخذت تفك مشابك «الجيبيير » ..

وتعرت العروس ..

وهى لا تنظر إلى المرآة .. إنها لا تريد أن تنظر إلى المرآة ..

وتلفتت حولها ، ثم مدت يدها وانتزعت من فوق المشجب سترة بيجامته وارتدتها .. ووقفت تلهث .. كأنها تستجمع أنفاسها .. ثم مدت يديها تساوى بهما خصلات شعرها دون أن تنظر إلى المرآة .. إنها لا تريد أن تنظر إلى المرآة ..

ونادته ..

ولمحت خياله يقترب من وراء زجاج الباب السميك .. قوامه المشوق .. وعضلاته .. ثم لمحت أكرة الباب وهى تتحرك ..

إنه يقترب منها ..

ونظرته تنصب عليها وفيها شقاوة الصبيان ..

ولكنه يقترب ببطء ..

اقترب أيضا .. أسرع !

وقبل أن يصل إليها .. ألقت بنفسها فوقه .. وألقت بشفتيها فوق شفتيه .. إنها لم تعد تستطيع أن تنتظر .. قبلنى .. قبلنى مرة أخرى .. قبلنى أكثر .. دعنى أقبلك .. لن أكف أبدا ..

وأحست بعضلات ذراعيه يضغطانها بقسوة .. أريد مزيدا من القسوة !

والتقى عمراهما ..

التقيا فى جسدين وإحساس واحد ..

كم عمره ، وكم عمرها ؟

لا ..

كم أعطت ، وكم أخذت ؟
لقد أعطت كل عمرها ، وأخذت كل عمره ..
وقالت وهى راقدة بجانبه ورأسها فوق كتفه ، وأعصابها مرتخية ، وجفونها متكسرة فوق جفنيها :
– أنا أتأخرت قوى يا مصطفى ..
قال وهو راقد بجانبها ، وصدره العريض منفوش على آخره ، كأنه ديك مرح :
– الساعة لسه ما جتش أربعة !
قالت فى استرخاء ورأسها لاصقة بكتفه كأنها لن تقوم من جانبه أبدا :
– كفاية كده .. روحنى بأه !
وقامت كأنها مسطولة .وبدأت ترتدى ثيابها ، وبين شفتيها ابتسامة نائمة .. وقال وهو واقف خلفها ممسكا بكتفيها :
– حاشوفك تانى امتى ؟
قالت :
– كلمنى فى التليفون ..
قال :
– بلاش التليفون .. انتى عارفة إنى ما عنديش تليفون فى الشقة ، ولما باكلمك من بره باتعب قوى .. إحنا نتقابل كل يوم فى نفس الميعاد ، مطرح ما تقابلنا النهارده ..
قالت :
– كل يوم !! لأ .. مقدرش يا مصطفى .. خليها يوم آه ، ويوم لأ ..
قال وعيناه تلمعان بشقاوته :
– عمر ما حيكون بينا يوم لأ ..

قالت وهى تستدير له بوجهها :

– طيب خليها يوم آه نتقابل ، ويوم آه ما نتقابلش ..

ولم تقبله ..

كانت قد شبعت .. لم تعد تحتمل مزيدا من القبلات ..

●●●

وقامت من النوم فى الساعة الواحدة بعد ظهر اليوم التالى ، وابتسامتها الكبيرة .. ابتسامة الشبع .. لا تزال فوق شفتيها . ومدت ذراعيها فى الهواء تتمطى ، كأنها تهم بأن تحتضن الدنيا كلها .. ثم تركت فراشها ، وسارت بقدمين حافيتين دون أن تأبه بالبحث عن الشبشب ، وفتحت النافذة على آخرها .. وأطلت منها .. ان الهواء جميل .. والبحر جميل .. والحديقة جميلة .. كل شىء جميل .. جميل .. لم تكن الدنيا أبدا بمثل هذا الجمال .. ووجدت نفسها تغنى .. لم يمر عليها من قبل صباح غنت فيه .. وكانت تغنى أغنية فرنسية مطلعها :

« إن قصتى هى قصة حب .. »

« وشكوتى هى شكوى قلبين .. »

« قصتى ككل قصص الحب .. »

« كان يمكن أن تكون قصتك .. »

إن صوتها أيضا جميل .. لم تكن تعتقد أن صوتها جميل .. وتركت النافذة ، وأخذت تدور فى الغرفة كأنها ترقص الفالس ، وتغنى أغنية عبد الحليم حافظ :

« قولوله . قولوله الحقيقة .. »

« باحبه .. باحبه من أول دقيقة .. »

إنها نشطة نوع جديد من النشاط .. فرحة ، كصبية فى عمر العشرين .. قلبها فى عمر العشرين .. وأطلت فى المرآة .. إن

وجهها أيضا فى عمر العشرين ..

وكأنها لم تطق أن تحتمل سعادتها وحدها ، فجاءت بالتليفون وحادثت صديقتها أمينة ، وقالت والفرحة تزغرد على لسانها :

- ازيك يا أمينة يا حبيبتى ، وحشتينى موت ..

وربما فوجئت أمينة بلهجتها وفرحتها فلم تستطع أن تشاركها فيها ، وقالت شريفة والحديث يدور بينهما :

- وازاى ملك هانم .. ما شفتهاش !

وقالت أمينة :

- كانت معايا إمبارح .. إنما كانت قاعدة مكتومة وزى السم !

وقالت شريفة وهى تضحك :

- والنبى أبقى سلمى عليها قوى ..

ووضعت سماعة التليفون ، وقامت إلى الحمام وهى لا تزال تغنى .. وجاء الخادم يعلنها أن إسحاق أفندى رئيس حسابات معهد الطفولة ينتظرها ، فقالت فى مرح :

- خليه يستنى .. أنا حانزل حالا ..

وارتدت ثياب الخروج .. ثياب بسيطة أنيقة .. « جوب » و « بلوز » .. ونزلت وهى تقفز فوق السلالم .. ولم تكن بين شفتيها ابتسامتها الصغيرة الحازمة . بل ابتسامة واسعة مليئة بالحياة ..

ونظر إليها زوجها بعينيه الحانقتين وهو جالس فى مكانه من البهو ، ولكنها لم تر الحنق فى عينيه .. وتقدمت منه فى مرح ، وقبلته فوق جبينه ، وهى تصيح :

- ازيك يا بشبوشى .. أنت صحتك النهاردة أحسن .. إنما

مش عاجبانى قعدتك فى البيت .. أنا حاخدك الليلة ونخرج سوا ..

ونظر إليها زوجها كالأبله .. إنها منذ ست سنوات لم تقبله فى أى مكان من وجهه ، ومنذ ست سنوات لم تقل له كلمة حلوة ..

وتركته ، وذهبت إلى إسحق أفندى الذى ينتظرها فى الحديقة وصاحت فى طلاقة :

– ازيك يا إسحق أفندى .. وازى مراتك وولادك !

وفوجىء إسحق بلهجتها المرحة حتى نسى أن يضع يديه على صدره كعادته عندما يقف أمامها ، وقال :

– بيبوسوا أديكى يا ست هانم ..

قالت من بين ابتسامتها :

– إيه أخبارك ؟

قال وهو يحنى رأسه :

– والله ياافندم أنا اتجرأت وجيت أكلم سعادتك فى مسألة الست نظيرة .. دى خلاص حاتخش السجن ، و ..

وقاطعته قائلة :

– طيب خلاص .. النوبة دى حاسامحها ، والفلوس اللى سرقتها حاردها للخزنة من جيبى .. إنما دى آخر نوبة ..

وتهلل وجه إسحق أفندى ، وصاح وهو يرفع يديه إلى السماء :

– الله يخليكى يا ست هانم .. الله يعمر بيتك .. الله ..

وقالت وهى تحس كأن دعواته قد استجيبت :

– وفيه إيه كمان ..

قال :

– المعهد يا أفندم و ..

وقاطعته :

– لا .. بلاش معهد ولا جمعية النهارده .. بعدين .. مع السلامة يا إسحق أفندى .. أدى لنفسك علاوة اثنين جنيه فى الشهر ، وابعت لى الأمر وأنا أمضيه ..

وجن لسان إسحق أفندى دعاء لها ..

وركبت سيارتها ونزلت إلى شارع شريف ، ودخلت إلى محل توفيق كامل الجواهرجى .. ووقف المحل كله يستقبلها ويرحب بها .. وانتقت سلسلة مفاتيح من الذهب العريض ، معلقا بها حجر كبير من الزمرد ، ولوحة صغيرة من الذهب مكتوب عليها بالميناء الزرقاء : « الله يحفظك » ..

●●●

وذهبت إلى موعدها فى اليوم التالى ، وكل قطعة من جسدها تنتفض بالأمل المرتقب .. وكانت ترتدى ثوبا أبيض أيضا .. إنها ترتدى ثوبا أبيض فى كل مرة تذهب للقائه ، كأنها عروس تصر على أن تزف كل ليلة من جديد ..

وقاد مصطفى سيارته فى الطريق إلى شقته الخاصة .. وفى منتصف الطريق مدت شريفة يدها ، وأدارت مفتاح الموتور ، ثم جذبت المفتاح والسلسلة المعلق بها من مكانهما ..

وقال مصطفى وهو يميل بسيارته ناحية الرصيف ، حتى لا تقف فى منتصف الشارع :

– بتعملى إيه ..

قالت وهى تبتسم :

– مالكش دعوة ..

ثم أخرجت المفتاح من السلسلة ، وفتحت حقيبتها وأخرجت

السلسلة الجديدة التى اشترتها من محل توفيق كامل الجواهرجى ، وعلقت بها المفتاح .. ثم وضعت المفتاح والسلسلة الجديدة فى مكانهما من السيارة ، وأعطته سلسلته القديمة قائلة :

– من هنا ورايح مش عايزاك تمسك حاجة إلا حاجتى .. خد .. شوف مين جاب لك دى وأرميها لها فى وشها !

وقال مصطفى وهو يضع السلسلة القديمة وينظر إلى السلسلة الجديدة فى فرح صبيانى :

– أبدا والله .. دى جابتها لى أمى .

وأحست بقلبها يتراجع .. أمه .. هل تحل محل أمه .. لقد نسيت أنه يمكن أن يكون له أم .. إن الناس فى جيلها ليس لهم أمهات .. كل أمهاتهم ذهبوا .. وقد نسيت أنه ليس من جيلها ، وأنه يمكن أن يكون له أم .. ربما فى مثل سنها .. أكبر قليلا من سنها ..

وبدأت تقارن مرة أخرى بين عمره وعمرها .. وقلبها يتراجع وينقبض فى صدرها .. تريد أن تنسى العمر كله .. عمر كل الناس .

ودخلت إلى الشقة وهى متلهفة إلى كأس من الويسكى ، لعله يعينها على النسيان ..

ولكى تنسى بدأت تتعمد أن تتصرف تصرفات البنات .. تتكلم كالبنات .. وتقبله كالبنات .. وتجرى أمامه ويجرى وراءها كالبنات .. وتقول : « لأ » كما تقول البنات ..

ويوما بعد يوم ، أخذت تغالى فى هذه التصرفات ، حتى أصبحت تصرفات مجانين لا تصرفات بنات ..

وكانا جالسين فى شقته الخاصة وأمامهما الكأس الخامس

وقال لها فى لهجته الآمرة التى تعودها منذ تمكن من ضعفها وسيطر على جسدها :

– أقلعى الفستان ..

قالت وهى تنظر إليه وفى عينيها شعلة تتوهج :

– لا .. مش قالعة ..

قال وهو مرتكز بظهره على حافة الأريكة وصدره منفوش كالديك المرح :

– اقلعى يا شيخة .. الدنيا حر ..

قالت وابتسامتها تتسع والشعلة تزداد توهجا :

– لو قلعت ، حارمى الفستان من الشباك !

قال كأنه لا يصدقها :

– طيب أقلعى ..

وبسرعة قامت واقفة وخلعت ثوبها ، وقذفت به من الشباك .. كان ثوبا أبيض واسعا « بليسيه » سرى فى الهواء مفتوحا كأنها البراشوت ..

وانتفض مصطفى جزعا وأطل من الشباك ينظر إلى الثوب وهو يستقر على الأرض كأنه لا يصدق عينيه ، ثم صاح فى بائع السجائر الذى يقع دكانه فى أسفل العمارة :

– يا عبده .. يا عبده .. أعمل معروف طلع المفرش اللى وقع ده !

وأعاد رأسه من الشباك ، وما كاد يلتفت إليها حتى وجدها وفى يديها فردتا حذائها .. وقبل أن يتحرك ، قذفت بفردتى الحذاء أيضا من الشباك ، وهى تقول وسط ضحكة كبيرة :

– قول لعبده يجيب الجزمة كمان !!

وهجم عليها وأمسكها من ذراعيها فى قسوة ، وأوقعها على

الأرض ، وقال وأنفاسه تلفح وجهها :

- أعمل فيكى إيه يا مجنونة أنتى ؟

قالت وابتسامتها تحتار أين تستقر ، على شفتيها ، أم فوق وجنتيها ، أم فى عينيها :

- موتنى يا مصطفى !!

•••

ومرت الأيام .. كم يوم مر .. شهر .. شهران .. إنها لا تدرى .. لقد اختفت الأيام .. الأيام كلها نائمة من حولها لا تتحرك حتى لا توقظها من حلمها ..

إلى أن تحركت الأيام ..

وذهبت إلى نادى السيارات فى يوم لا تلتقى فيه بمصطفى .. واقترح سيد أن تقوم الشلة وتذهب إلى أبى قير .. وكانت الساعة السابعة مساء ، وأمامها ليل طويل تقضيه فى انتظار اليوم التالى حتى تلتقى بمصطفى .. فرحبت بالذهاب إلى أبى قير ، إنها تستطيع هناك أن تلتقى بذكراه ..

وصحبتها الشلة إلى نفس المطعم الصغير الذى شهد أول لقاء لها مع مصطفى ..

وجلست ووجهها هادىء وعيناها هائمتان وراء الذكريات ..

والتفتت إلى الغرفة الخلفية من المطعم .. إنها غرفة بلا باب .. وهى تواجهها تماما .. وفجأة ، اتسعت عيناها وانبهرت أنفاسها ..

من هذا ؟

إنه هو ..

مصطفى ..

إنه جالس فى الغرفة الخلفية بحيث تستطيع أن تراه

ولا يستطيع أن يراها .. وهو يتحدث .. يتحدث كثيرا مع إنسان لا تراه ..

من معه .. من معه ؟!

إنه لا يكف عن الحديث .. وعيناه .. إنها تستطيع أن ترى عينيه ، وليس فيها شقاوة الصبيان .. إن فيهما نظرات جادة ، وفيهما حنان ، وفيهما اهتمام بالغ ..

من معه .. من معه ؟!

ورأت مصطفى يقوم من مكانه .. إنه يواجهها .. إنه يراها .. وسمعت صوت المقعد المقابل له يتحرك .. إنهما خارجان وسيمران بها ..

ورأتهما ..

إنها فتاة صغيرة .. فى الثامنة عشرة .. سمراء .. وجهها بلا أصباغ .. قط صبغة الشباب .. الشباب .. الشباب ..

وظلت معلقة عينيها بالفتاة ، وأطياف من الشباب تتزاحم فى رأسها .. كأن مليون فتاة صغيرة يهجمن عليها ويحاولن خنقها ..

إنها تعرفها .. « مرفت » ابنة صديقتها شفيعة هانم ..

ووقفت مرفت قبالتها برهة ، حائرة مرتبكة ، ثم قالت فى صوت مرتعش :

- بونسوار يا طنط ..

ثم أسرعت الخطى خارجة ..

« طنط » .. إن مصطفى أيضا من حقه أن يناديها « طنط ».. ونظرت إليه ، ورأته ينظر إليها .. نفس النظرة .. نظرة فيها شقاوة الصبيان .. فيها غرور ، وجرأة ، ورغبة .. وشىء آخر.. فيها استهانة .. إنه لم يكن ينظر إلى مرفت نفس النظرة .. كان

ينظر إليها وفى عينيه جد وحنان واهتمام ..

وحيا مصطفى أفراد الشلة من بعيد ثم لحق بمرفت ..

إنه يحبها .. يحبها .. وهى .. شريفة .. ماذا يفعل بها .. إنه يقضى معها ليالى لا يستطيع أن يقضيها مع مرفت .. إنها وعاء يفرج فيه عن كبت شبابه .. إنه يمنح مرفت أنظف ما فى شبابه .. ويمنحها هى أقذر ما فى شبابه .. إنها شىء يغنيه عن المحترفات ..

وأحست بكل شىء فيها ينهار ويبكى .. أحست بعظامها تتكسر .. وتهش .. وأحست بحلقها يسقط فى معدتها .. وأحست بوجنتيها تكادان تسقطان فوق المائدة .. وأحست بعمرها .. وارتعشت !

وقال لها سيد :

– مالك ؟

قالت :

– ما عرفش مالى .. يظهر عيانة .. لازم أروح دلوقت !

وعادت إلى البيت .. ونظرت إلى المرآة .. ورأت عمرها كاملا.. اثنين وأربعين عاما وستة شهور وخمسة أيام .. رأته فى التجاعيد التى تحيط بطرفى عينيها وفى أعلى رقبتها .. وفى وجنتيها المشدودتين فوق عظام وجهها .. وفى شفتيها المرتعشتين .. وفى عروقها البارزة من تحت جلد يديها ..

وخلعت ثيابها وهى تتأوه كأنها مصابة بالروماتيزم ..

ورقدت فى فراشها وهى تحس بكل ما فيها يتمزق .. كرامتها .. احترامها لنفسها .. هيبتها .. وكلما ضمدت جرحا فى كرامتها ، انفتح جرح آخر ..

وقامت فى الصباح الباكر امرأة فى الثانية والأربعين ..

أكثر فـى الخمسين .. ووجـهها عليه قناع من الوقـار الصامت يخفى تحته عذاب روحها .. وشفتـاها مزمومتان لا تستطيعان أن تنطق بابتـسامـتـها الحـازمة .. وفى العـاشرة دق جـرس التليـفون .. وكـان مـصطفى .. وتكلم كـثيـرا .. ولكن كلامـه لم يضمد جراحها ، ولم يستطع أن ينسيها عمرها .. وقالت فى حزم :

– خلاص .. انتهينا ..

قال :

– حافضل استناكى يوم آه ويوم لأ زى العادة !

قالت :

– ما تتعبش نفسك !

وألقت سمـاعة التليـفون .. وارتدت ثوبهـا الرسمى .. ثوب جمعـية « إنقاذ الفـقراء » .. التايير الرمـادى ، وقبعة صـغيرة رمادية مزينة « بليـزيريه » أحمر .. ونزلت من غرفتـها وقالت وهى فى طريقها دون أن تلتفت إلى أحد :

– خدت الدوا يا باشا ؟

وودعها زوجها بعينيه الحانقتين ..

وركبـت سيارتـها وطلبت من السـائق أن يحملهـا إلى بيت صديقتها شفيعة هانم .. أم مرفت !

ماذا تريد من شفيعة هانم ؟

لا شىء .. لا شىء .. إنهـا صديقـتـها وعـضوة مـعهـا فى الجمـعية ، ومن حـقها أن تزورها ، وسـتدعـوها لتذهب معـها للتفتيش على معهد الطفولة ..

وظلت طول الطريق تقنـع نفسـها أنهـا لا تريد شـيئـا من شفـيعة هانم .. تحـاول أن تقنع نفسـها بأنها ليـست خبيـثة ،

وبأنها لا تحاول أن تنتقم من مرفت وتهدم سعادتها ..

وجلست تتحادث مع شفيعة ، وهى لا تزال تحاول أن تبدو بريئة فى زيارتها لها ..

وفجأة انطلقت قائلة ، كأن ثعبانا أطل من بين شفتيها :

- بالحق مبروك على مرفت .. إمبارح شفتها مع خطيبها .. إنما بيقولوا عليه شاب كويس قوى ..

وفتحت شفيعة عينيها وقالت فى دهشة :

- خطيبها .. أبدا .. ما تخطبتش ولا حاجة ..

وقالت شريفة فى خبث :

- إزاى ده .. أنا شايفاها معاه بعينى إمبارح فى أبو قير ..

ونكست شفيعة رأسها كأنها تخجل من ابنتها ، وقالت فى صوت حزين :

- أبدا ما تخطبتش !

وقالت شريفة :

- إذا كان كده ، يبقى لازم تاخدى بالك منها .. البنات اليومين دول ما حدش عارف يلمهم ..

وقالت شفيعة وهى لا تستطيع أن ترفع رأسها كأنها تحمل فوقه طنا من العار :

- والله أنا احترت معاها يا شريفة هانم .. مش عارفة أعمل إيه .. أيامنا ما كنتش البنت تخطى بره البيت إلا ومعاها الدادة والسواق ، وتلاته من قرايبها ماشيين وراها ، ولو بصت كده ولا كده تبقى فضيحة ..

وقالت شريفة :

- أيامنا كانت حاجة تانية ..

وقامت شريفة .. وخرجت وهى تحس كأن انفاسها تلتف حول عنقها وتخنقها ..

ووقفت شفيعة تنظر إليها نظرة متوسلة كأنها تستحلفها ألا تفضحها وتفضح ابنتها أمام الناس .. ثم تلفتت تبحث عن ابنتها وفى عينيها شرار نار ..

وهلت مرفت من غرفتها ترتدى البنطلون وتقفز فى خطواتها مرحة .. وصرخت فيها أمها :

- رايحة فين حضرتك ..

وقالت ميرفت وقد بوغتت بصرخة أمها :

- رايحة البلاج يا ماما ..

وعادت أمها تصرخ :

- من هنا ورايح ما فيش خروج إلا رجلى على رجلك .. بلا بلاج بلا زفت .. كفاية فضايح .. كفاية سودت وشى قدام الناس المحترمين .. ما فيش خروج إلا معايا .. فاهمة ..

●●●

وجلست مرفت منزوية فى الركن البعيد من الأريكة الممتدة فى شرفة الكابين .. ورأسها بين يديها ، وشعرها مهدل فوق جبينها .. وكانت تبكى .. تبكى فى حرقة كأنها تعصر سنوات عمرها الثمانى عشرة ، دمعا ..

وجلست أمها قبالتها على مقعد كبير من مقاعد الشاطىء تطرز رقعة من « الأوبيسون » ، وهى صامتة ليس فى وجهها عصب يتحرك .. كأن ابنتها لا تبكى ..

ورفعت مرفت رأسها .. وعيناها محتقنتان فى لون الدم ، ومسحت الدموع من فوق خديها بمنديلها الصغير ، وقالت وصوتها يقطعه النشيج :

- دى ما بقتش عيشة .. أنا حاموت نفسى .. خلاص .. عايزة أموت .. عايزة أموت ..

ثم أمسكت بإحدى وسائد الأريكة ، ورفعتها بعصبية كأنها تهم بأن تقذف بها فى البحر .. ثم وضعت الوسادة فوق ركبتها ، وارتكزت عليها بكوعها ، وعادت تدفن رأسها بين ركبتيها .. وتبكى ..

ورفعت أمها عينيها من فوق رقعة الأوبيسون ، ونظرت إلى ابنتها صامتة ، ثم عادت وارخت عينيها ، وبدأت تطرز من جديد ..

وفى المساء ..

وقفت سيارة أجرة فى الشارع الضيق الذى يقع فيه فندق « الميدترانيه » .. ونزلت منها شريفة هانم ترتدى ثوبا أبيض .. وسارت بضع خطوات ، ثم قفزت فى سيارة مصطفى ..

وابتسم مصطفى ابتسامة كلها غرور ، واستهانة ، ونظر إليها بعينين فيهما شقاوة صبيان ..

البنات والصيف



البنت الثالثة



الساعة الثانية عشرة ظهرا .. وكان الثلاثة جالسين فى الكابين .. الزوج ، والزوجة .. وإسماعيل !

الزوج فى الثلاثين .. والزوجة فى التاسعة عشرة .. وإسماعيل فى الرابعة والثلاثين ..

وكان الزوج جالسا على الأريكة مستندا بظهره إلى حائط الكابين ، وقد مد ساقيه أمامه وأمسك بين يديه مجلة « تايم » الأمريكية ، يقرأ فيها .. والزوجة جالسة فوق الأريكة المقابلة ، ملتفتة إلى البحر ، والهواء يطير شعرها الأصفر الناعم كأنه قش القمح يذروه فلاح نشط .. وإسماعيل جالس بجانبها ينظر إليها ، كأنه يسبح بعينيه فوق صفحة وجهها ..

ولا أحد يتكلم ..

وفجأة أدار اسماعيل رأسه وقال كأنما خطرت على رأسه فكرة مدهشة :

– إيه رأيكم نتغدى هنا النهارده ؟

ورفع الزوج رأسه من فوق المجلة وقال بلا مبالاة :

– ما عنديش مانع ..

ولم تتكلم الزوجة ، ظلت هائمة بعينيها فى البحر .. والتفت إليها إسماعيل ثم عاد وأدار رأسه كأنه ليس فى حاجة لسماع رأيها ، وقال :

– طيب اسمع يا عمر ، حضـرتك تقوم تاخد العربية وتنزل محطة الـرمل تجيب لنا فراخ مـحمـرة من الراجل اللى هناك ، وتفوت على محل « فلو كيجر » تشترى الجاتوه .. و ..

والتفـتت الزوجة إلى زوجـها وقالت تقـاطع اسمـاعيل فى حدة :

– لأ ..

وقال إسماعيل فى هدوء :

– لأ ليه يا وفيه ؟

وقالت وفية وهى لا تنظر إليه :

– نبعت نجيب غدا من هنا ، من البوفيه ..

ونظر إسمـاعيل إلى عمر ، كـأنه يترك له الكلمة وقال عـمر وهو يلقى المجلة من يده ويبدو عليـه الاهتمام كأنه مـقبل على تنفيذ مشروع هام :

– يا شيخـة .. بأه عاجبك المكرونة المعجنة بتاعة الـبوفيه .. ولا اللحمة اللى زى البراطيش ..

وقالت وفية وهى تقطب حاجبيها :

– مش ضـــرورى نـاكل مكرونة ولا لحـــمـــة .. نجـيب ساندويتشات ..

وقال عمر :

– كلـه إلا السنـدويتـــشـــات .. ده الجـــوع أرحـم من السندويتـشات بتـاعـة البوفـيـه ده .. أنا حاقـوم أنزل البلد .. مسافة السكة وأرجع لكم تانى ..

وابتسم إسماعيل كأنه كان واثقا من انتصاره .

وقام عمر يفرد جسـمه المترهل فى لون القشـطة ، ويساوى قميصه داخل بنطلونه ..

وقالت وفية وهى تهم بالقيام :

- استنى .. أنا جاية معاك ..

وقال إسماعيل وهو يحاول أن يضحك :

- وتسيبونى لوحدى ؟!

قالت وفية وهى تلتفت إليه لفتة سريعة غاضبة كأنها تصفعه بعينيها :

- تعالى معانا ..

وقال إسماعيل وهو يبتسم فى ثقة :

- ما أقدرش .. أنا مستنى حازم يفوت على ..

وقال عمر :

- خليكى انتى يا وفية .. ده يدوبك نص ساعة وأكون رجعت .. لو جيتى معايا مش حانرجع إلا بعد ساعتين .. حاتفضلى طول السكة تقولى لى حاسب .. سوق على مهلك .. ما تجريش .. ما تطلعش من العربية اللى قدامك .. وعلى بال ما نوصل يكون ميعاد العشا جه .

ولم يكد ينتهى من كلامه حتى كان خارج الكابين .. وقال إسماعيل وراءه :

- على بال ما ترجع حاكون صقعت لك البيرة ، واشتريت الريتسة !

وتتبعت وفية زوجها بعينيها كأنها تتبع قارب النجاة يبتعد عنها ويتركها وسط الموج .. ثم ظلت معلقة عينيها فى الهواء .. لا تلتفت إلى إسماعيل .. لا تجرؤ على الالتفات إليه .. إنها تعلم أنه ينظر إليها .. تحس بعينيه السود فوق كل قطعة من وجهها.. تحس بهما تتفرسان فى نهديها .. وتأكلان عنقها .. وتتمسحان بشعرها .. وهى لا تجرؤ على مواجهته .. لا تجرؤ

لا تجرؤ .. إن شيئا فى داخلها يخاف ، يرتعش ، ويتراخى ..

وقامت فى عصبية من جانبه ، وكأنها تنزع نفسها من سلاسل قيدتها بها عيناه .. ودخلت الكابين ، وأخذت تدور فيها بخطوات عصبية .. ووجهها مكفهر خائف .. لماذا يتخلى عنها زوجها .. لماذا يتركها تقاوم وحدها .. هذا الزوج الطيب .. إنه لا يدرى .. ولا يستطيع أن يدرى .. هناك أزواج خلقوا لكى لا يدروا .

ووقفت أمام المرآة الصغيرة المعلقة فى حائط الكابين ، وأخذت تنظر إلى وجهها .. تنظر إليه فى نقمة كأنها تلعنه .. إنها جميلة .. بشرتها البيضاء .. وشعرها الأصفر .. وعيناها الخضراوان .. حجران من الزمرد فى بحر من الماس .. وشفتاها المكتنزتان .. وأسنانها .. وأسنانها البيض المصفوفة كعقد اللؤلؤ .. وجيدها المرتفع الأملس .. ولكن .. هناك شىء تعانى من نقصه .. تشقى من نقصه .. إنه شخصيتها الناقصة .. وهى تعلم إنها ضعيفة الشخصية .. نعم تعلم .. إنها تحس بضعف شخصيتها عندما تعجز عن مواجهة العيون التى ترتفع إليها .. وعندما يعجز لسانها عن ملاحقة أحاديث المجتمعات .. وعندما ترتبك وهى تحاسب الخادم أو الطباخ .. وعندما يغشها أصحاب المحال و..وعندما ينظر إليها إسماعيل..

وقد لا يشقى صاحب الشخصية الضعيفة إذا كان يجهل أن شخصيته ضعيفة .. ولكنها تعلم ، إنها تحس بضعف شخصيتها ، وإحساسها هذا يزيد شخصيتها ضعفا ، ويزيد نفسيتها تعقيدا ، ويزيد تصرفاتها ارتباكا .

وعادت تنظر إلى وجهها فى المرآة .. إن جمالها باهت ، كشخصيتها .

وفجأة ارتفع حاجباها فى ذعر ، وارتعشت شفتاها ..

إنه إسماعيل ..

لقد دخل وراءها إلى الكابين ..

وظلت تنظر إلى وجهه المنعكس أمامها فى المرآة .. وقامته أقصر من قامتها قليلا .. وحاجباها لا يزالان مرفوعين فى ذعر ، وشفتاها ترتعشان .. إنه يقترب .. يقترب أكثر .. لقد وقف وراءها ملتصقا بها ، ووضع كفيه فوق كتفيها .. إنه يضمها إلى صدره .. لقد بدأت تنتابها نوبة الضعف .. إنها تحس بأعصابها تذوب .. تتخلى عنها .. يجب أن تقاوم .. ستقاوم .. أعنّى يا رب .. هذه المرة فقط ، أعنّى على المقاومة .

وأحست بشفتيه تسقطان خلف عنقها .. ثم أحست بأعصابها تتمادى فى الذوبان .. لا ، ليس الآن .. ليس هنا ..

واستدارت إليه فى لفتة مفاجئة ، وهى تصرخ صراخا خفيضا :

– لا .. مش ممكن .. أنت اتجننت !!

وأحاطها إسماعيل بذراعيه ، وضمها إلى صدره بقسوة ، وشفتاه تشربان من جيدها ، وقال كأنه يخاطب جيدها :

– علشان خاطرى يا وفية .. إنتى وحشانى .. وحشانى موت !

قالت وهى تحاول أن تتملص منه ، وضعفها يلصق به :

– الناس شايفانا يا إسماعيل ..

قال وهو يبحث بشفتيه عن شفتيها :

– ما فيش ناس .. مافيش إلا أنا وانتى !

ثم مد ساقه وازاح باب الكابين بقدمه ، فانغلق .. وخفت الضوء حولهما .. وعاد يبحث بشفتيه عن شفتيها ..

وقالت ، وشاربه الصغير يدغدغ خدها ، وأنفاسها تتمزق فوق صدره :

– حرام عليك يا إسماعيل .. حرام عليك !

ثم انهمرت الدموع من عينيها ..

ولم يأبه إسماعيل بدموعها .. إنها ليست المرة الأولى التى يذوق فيها طعم هذه الدموع ..

إنها تبكى دائما ، قبل أن تستسلم ..

وأخذ شفتيها بين شفتيه ..

إنها تقبله أيضا .. تقبله وتبكى !

ومال بها فوق الأريكة الموضوعة داخل الكابين .. ودموعها لا تزال تسيل فوق خديها .. ودموع أكثر .. وأكثر .. وأكثر .. دموع ضعف .. ودموع نشوة .. ودموع مهانة .. ثم صدرت عنها نهنهة خفيفة .. ثم مزيد من الدموع ..

وتركها من بين ذراعيه ..

وتوقفت الدموع فوق خديها ..

وقام ينظر إلى المرآة ويساوى خصلات شعره الأسود .. ويساوى قميصه .. ثم فتح باب الكابين .. وانسكب الضوء عليها .. جسدها ملقى فوق الأريكة كأنه ثوب فى حاجة إلى كواء .. ونهران من الدموع قد جفا فوق خديها ..

وقال إسماعيل وهو يخرج من الكابين وبين شفتيه ابتسامة الشبع :

– أما أروح أقول للجرسون يصقع قزايز البيرة ..

وخرج ..

وانكفأت تدفن وجهها في وسادة الأريكة ..

وعادت تبكى ..

●●●

منذ متى ؟

لقد تزوجت وهي في السابعة عشرة من عمرها .. منذ عامين .. وكانت قبل أن تتزوج فتاة رقيقة صامتة منطوية ، تعيش في محيط ضيق .. محيط عائلتها .. وكانت أمها التركية تحشو رأسها بقصص الجنة والنار ، ومربيتها السودانية تحشو رأسها بقصص الشاطر حسن وأمنا الغولة .. فعاشت طفولتها في هذه القصص .. تخاف من أشباح مجهولة ، وتفرح بأحلام في الهواء ، وتكتم خوفها وفرحها في صدرها ، لا تستطيع التعبير عنهما ، حتى لو أرادت أن تعبر عنهما .. كانت كالعروسة التي تباع في محال لعب الأطفال .. جميلة ، تثير الحنان ، ولكنها لا تعبر .

وعندما أصبحت في الثامنة من عمرها علموها الصلاة .. ووضعوا في رأسها صورة مخيفة لإله المسلمين .. كانت تتصور الله شيئا هائلا ضخما ، يمسك في يده « مرزبة » وينظر إليها مقطب الحاجبين ، غاضب العينين ، وهو متربص بها . حتى إذا أخطأت خطأ صغيرا .. أقل هفوة .. زمجر الله وحملها « بالمرزبة » وألقى بها في النار .. كانت تخاف هذا الأله .. تخافه أكثر مما تحبه .. تبكي رعبا منه .. كانت إذا كذبت كذبة صغيرة ، أو اساءت إلى أحد من الخدم ، اسرعت تصلي أربعين ركعة لله ، وتتوسل إليه بدموعها أن يغفر لها ، ولا يلقي بها في النار ..

وعن طريق هذا الخوف ، استطاعت أمها أن تسيطر عليها .. قيدتها بجانبها .. حرمتها من إحساسها بشخصيتها .. حرمتها حتى من استعمال عقلها .. كانت تختار لها أثوابها ، وتنتقي لها طعامها .. ولا تسمح لها بمصاحبة صديقاتها إلا في

حضورها.. ولا تسمح لها بالذهاب إلى السينما إلا بعد أن تراجع قصة الفيلم ، وتطمئن إلى أنها قصة لن تثير فى ابنتها مشاعر من واقع الحياة .. ولا تسمح لها بالنزول إلى البحر فى الصيف إلا فى الساعة السابعة صباحا ، ومربيتها تنتظرها على الشاطىء وفى يدها « البرنس » ، تلفها به بمجرد خروجها من الماء ..

كانت أما عنيفة فى مبادئها .. حجبت ابنتها عن الحياة ، وسجنتها فى قفص من ذهب ..

وعندما أصبحت وفية فى الخامسة عشرة بدأت تقرأ قصصا من الأدب الفرنسى .. أدب القرن التاسع عشر .. الأدب الرومانسى .. قصص عن الحب العذرى .. وقصص عن الأخلاق الحميدة .. أشعار لا مارتين ، وقصص الكونتس دى سيجير ، وآلام فرتر ، وروميو وجوليت .. وشغلتها هذه القصص عن بعض خوفها من الله .. كانت لا تزال تصلى كل الفروض ولكن أصبح فى صدرها بجانب الخوف أحلام .. أحلام لا تجدها فى الحياة .. لا تجدها إلا فى خيالها .. وعشقت هذا الخيال .. وهامت به ، واكتفت به ، فأغرقت فى صمتها ، وأغرقت فى انطوائها ..

وفى عيد ميلادها السادس عشر ، أعلنوا خطبتها إلى عمر ..

ولم تكن قد رأت عمر من قبل .. وعندما رأته لم تجد فيه شيئا من أحلامها .. إنه ليس طويلا ولا قويا .. ليس فيه شىء من صورة الفارس الجميل الذى عاشت معه فى القصص الفرنسية .. إنه سمين ، مترهل قليلا ، أبيض البشرة ، فاتح الشعر .. وهو لا يثير فيها الخوف ، ولا الشفقة ، ولا الاعجاب.. لا يثير فيها شيئا من العواطف التى تثيرها فيها

أقـلام كتـاب القـرن التاسع عـشـر .. ورغم ذلك فلم تكرهه ، ولم تنفر منه .. أحست به كأنه واحد من أفـراد عائلتها .. كأنه أخ .. إنه صورة منها .. صـامت مثلها ، خجول مثلهـا ، متعفف مثلها ، كأنها تنظر فى مرآة ..

وفرحت به ..

ليس فرحا صـارخا .. فرحة هـادئة .. فرحتها بأنها لن تنتقل من دنياها إلى دنيا غريبة ، ولن تنتقل إلى رجل غريب ..

ولم تر عـمر وحـده إلا مـرة واحدة ، عنـدما جـاء مع أهله ليخطبهـا .. وبعد ذلك لم تره إلا مع إسماعيل .. كان اسـماعيل دائما مـعه .. إنه صديق زوجـها منذ طفـولتهمـا .. وزميله فى المدرسة ، ثم زميله فى العمل .. دائما مـعه .. واضطرت عائلتها أن تعترف به كجزء متمم لعـمر ، فكانت تدعوه معه إلى الغداء أو العـشـاء فـى فـتـرة الخطوبة ، وتدعـوه إلى الخـروج مع الخطيـبين ، وتطلعـه على تفـاصيل الجـهاز .. و .. و .. وكـان إسمـاعيل لبـقا ذكيـا استطاع أن يكسب قـلب الأم وثقة الأب ، وحب بقية أفراد العائلة ..

وفرحت وفية بإسماعيل كما فرحت بعمر فرحة هادئة ..

لم يثر فيها إسمـاعـيل شيئا .. لم تنظر إليه أبدا كامرأة تنظر إلى رجل ، ولم تفكـر يومـا فى أن تقـارن بينه وبين عـمـر .. ولم تلحظ شـيئا فى عـينيه ، ولا فى لفـتاته .. إن إحـسـاسـها مـغلق عن كل ما يـمكن أن يثيـره رجل فى أعـصاب امـرأة .. إحسـاس نظيف كصفحة النور ..

إن كل ما تعلمـه عن الرجال ، هو أنها سـتتزوج يومـا ما .. وسـتمنح جـسدهـا يوما لزوجـها .. كـيف ؟ إنهـا لا تعلم كل التفاصيل .. ولا تعلم أيضـا أنه يمكن أن يكون فى حياتها رجل

غير زوجها .. إن المرأة لا تكون إلا للزوج .. هذه هى تعاليم الله.. وهذه هى الدنيا .. بل هذه هى الطبيعة البشرية .. وليس فى إحساسها ولا خيالها شىء أكثر من ذلك ..

وبعد ستة شهور عقد قرانها على عمر ..

وبمجرد أن عقد قرانها ، تخلت عنها أمها .. أفرجت عنها .. كأنها أدت رسالتها ، وانتهت .. لم تعد تختار لها ثيابها ، ولا تنتقى لها طعامها ، ولا تحدد لها خطواتها .. تركتها كلها لزوجها ..

وبدأ زوجها يخرج معها إلى الدنيا .. دنيا لم تتعودها من قبل .. النوادى ، والملاهى ، والحفلات الخاصة الراقصة .. وكان إسماعيل دائما معهما ..

وفى هذه الأثناء بدأت تحس بهذا الشىء الذى ينقصها .. ولم تكن تدرى ما هو هذا الشىء .. ولكنها كانت تحس بالارتباك عندما تجلس مع الناس .. لم تكن تستطيع أن تتكلم ، رغم كل محاولاتها .. كانت تتعمد أن تختزن فى رأسها كثيرا من الكلام ، ثم تعجز عن أن تعبر عنه بلسانها .. كانت تشك دائما فى أن ما يمكن أن تقوله يصلح للكلام .. فتسكت .. وأخذها الناس بسكوتها ، فكانوا يضمونها بينهم كشىء جميل يزين جلستهم .. كباقة ورد توضع فوق المائدة ، أو كمصباح أنيق يشع نورا جميلا .. ثم لا يلتفتون إليها .. وكانت تحس بكل ذلك .. تحس برأى الناس فيها .. فتتعذب ..

وكانت تحتار عندما تدخل أحد المحال التجارية لتشترى بعض لوازمها .. إنها لم تدخل محلا من قبل إلا فى صحبة أمها .. فكانت ترتبك أمام البائع .. وتخجل أن تفاصله فى السعر .. بل تخجل أن ترد ما يعرضه عليها من أصناف

البضاعة .. وتخرج من المحل لتكتشف أنها خدعت .. فتتعذب أيضا ..

ولم يكن زوجها يستطيع أن يعوضها عن هذا الشيء الذى ينقصها .. كان هو الآخر ينقصه نفس الشيء .. كان يعجز عن مجاراة الناس فى أحاديثهم .. مثلها .. وكان يرتبك عندما يدخل إلى المحال التجارية .. مثلها .. وكانا عندما يخلوان أحدهما إلى الآخر ، يصمتان .. لا يجدان حديثا يجمعهما .. إنما ينصرف كل منهما إلى دنيا خاصة من نفسه .. دنيا يبنيها من خياله .. دنيا ليس فيها ناس ..

ولكنها وجدت العوض فى إسماعيل ..

كانت شخصيته تكفى ثلاثتهم ..

وأصبح إسماعيل يشغل المكان الذى كانت تشغله أمها .. هو الذى يحدد خطواتها ، وهو الذى يرسم يومها .. هى وزوجها .. كان يتكلم بما يكفى لتغطية صمتها وصمت زوجها .. وكان إذا وجه إليها أحد سؤالا أسرع يجيب عليه نيابة عنها .. وهو الذى يختار سهرتهما .. وهو الذى يحل مشاكلها الصغيرة .. وإذا قررا الانتقال إلى الاسكندرية هو الذى يستأجر البيت الذى ستقيم فيه مع زوجها .. وإذا قررا السفر إلى أوربا هو الذى يعد جوازات السفر وتذاكر الطائرة .. وكان دائما بجانبها .. إنه يجلس بجانبها حول كل مائدة ، بينما زوجها يجلس بعيدا عنها كما تقضى تقاليد المجتمعات .. ولكنها تعودت أن تجلس بجانبه ، حتى عندما يكونون هم الثلاثة وحدهم وليسوا فى حاجة إلى التمسك بتقاليد المجتمعات .. كانت تجلس بجانبه كأنها تحتمى به .. كأنها تستعير شخصيته .. كانت تشعر بالاطمئنان وهى بجانبه ، كأنها بجانب أمها .

وكـان إسـمـاعيل أيـضـا هو الـذى يخـتار أصـدقـائهـا .. الأصدقاء !

لقد كان لـهما عندما تزوجـا كثير من الأصـدقاء .. عائلات كـثيـرة فـرحت بزواجـهـما وحـاولت أن ترتبط بهـمـا برباط الصداقـة .. وبنات من صديقاتهـا وشبان من زملاء زوجـها ، كانوا يتـبادلون معهـما الدعوات .. ثم بدأ كل هؤلاء الأصـدقاء يبـتعـدون شيـئا فـشيـئا .. لا تدرى كـيف . ولكنها وجـدتهم يبتعدون ، ووجـدت نفسها تبتعد عنهـم .. إن إسماعيل لم يكن يريدهم .. لم يكن يحـبـهم .. كان يسىء الظـن بهم .. وجعلهـا تشاركه فى سوء ظنه .. وهى تذكر أنه كان من بين أصدقائهما شـاب فنان .. رقـيق كـالنغم .. وكـان يروى لهـا كـثـيـرا من القصص التـى قرأها ، ويناقشـها فيـما قرأتـه من القصص .. وكانت تعجب به ، وتستريح إليـه .. إلى أن جاء إسماعيل يوما يسألها :

– مدحت ضرب لك تليفون النهارده ؟

وقالت فى بساطة :

– لا ..

وقال إسماعيل وهو يهز رأسه فى أسف :

– أمـا ولد سافل صـحيح .. تصـورى أنه قاعـد فى النادى بيـقـول إنه كـل يوم يضـرب لك تليـفـون .. الناس بقت زى التعابين .

وكرهت مدحت .. كـأنها تلقت أمرا خفيا من إسـماعيل بأن تكرهه .. أمـرا لا تستطيع أن ترده ولا أن تقـاومه ، ولا حـتى تناقشه .. وابتعد مدحت ، كما ابتعد غيره من الأصدقاء .

ولم تسىء الظن باسماعيل ..

ربما لاحظت فى عينيه نظرات لم تفهمها .. وربما لاحظت أنه يلتصق بها أحيانا أكثر مما يجب .. وربما لمحت فى بعض كلامه معانى يقف عقلها عندها مترددا .. ولكنها لم تسىء الظن به أبدا . كان إحساسها كصفحة الجليد النقى ، لا يتحرك .. ولا يستوعب شيئا من هذه النظرات أو هذه اللمسات ، أو هذه المعانى ..

لقد أصبح إسماعيل هو كل شىء .. هو الحياة .. هو الضحك ، وهو الكلام ، وهو الحركة ، وهو المفاجأة .. فإذا غاب عنهما - هى وزوجها - غابت الحياة ، وانعزل كل منهما فى دنياه الخاصة التى يبنيها من خياله .

شىء واحد لم يستطع أن ينزعه إسماعيل منها ، وهو حرصها على تأدية فريضة الصلاة .. لقد علمها أن تشرب الخمر .. كأسا أو كأسين على الأكثر .. وعلمها أن ترقص معه وتضع خده على خدها .. خد بارد برىء .. وعلمها الليالى بما فيها من صخب وضحك .. ولكنها ظلت تصلى .. وظلت تخاف الله .. وربما شغلتها حياتها الجديدة عن تأدية فروض الصلاة فى موعدها .. حاضرا .. ولكنها كانت تؤديها دائما .. قضاء ..

إلى أن كان يوم .. وكان قد مضى على زواجها قرابة عام .. وجاء إسماعيل إلى بيتها فى الساعة الحادية عشرة صباحا .. وزوجها فى عمله .. والخادم فى اجازته الاسبوعية .. وإسماعيل يعلم أن الخادم فى إجازة .. إنه يعلم كل شىء .

وفتحت له الباب بنفسها .. وكانت مرتدية قميصا من الحرير فى لون البنفسج .. و « روب دى شامبر » من الحرير ، فى لون البنفسج أيضا .. وشعرها الأصفر مسدل فوق كتفيها.. ولم تدهش عندما وجدته وراء الباب .. لقد تعود أن

يأتى إلى البيت فى أى وقت ، وفى كل وقت .. ومدت له يدها وهى تبتسم ابتسامة كبيرة ، تنتظر منه أن يتكلم كعادته .. أن يقول شيئا يضحكها ، أو يسليها .. ولكنه فى هذه المرة لم يتكلم .. أغلق الباب وراءه وهو لا يزال محتفظا بيدها فى يده .. وظل فى مكانه صامتا .. ينظر إليها .. إنها ترى فى عينيه السود شيئا لم تره من قبل .. شيئا مخيفا يثير فيها نوعا من الخوف .. ولكنها لا تزال تبتسم ابتسامتها الكبيرة .. ثم بدأت ابتسامتها تفقد معناها .. أصبحت ابتسامة شبه بلهاء .. ثم سمعته يهمس فى صوت مبحوح :

– صباح الخير ..

وردت عليه فى صوت طبيعى تخالطه بعض الدهشة من جدة الموقف عليها :

– يسعد صباحك ..

ثم لم يتكلم .. إنما اقترب منها .. واقترب أكثر .. ويدها لا تزال فى يده .. ثم مد شفتيه وقبلها فوق خدها ..

وازدادت ابتسامتها بلاهة .. إنها لا تدرى لماذا يقبلها .. ترى أى مناسبة تستدعى تقبيلها !

وقبلها مرة ثانية ، وأحست بشاربه هذه المرة .. لأول مرة وظلت بلهاء ..

ثم أحست بشفتيه فوق شفتيها .. وأسلمت له شفتيها فى بساطة وبراءة .. شفتين باردتين .. ساكنتين كالجليد .. إنها إلى تلك اللحظة لا تدرى .. ولا تسىء الظن .. كل ما نطقت به ، ان قالت فى دهشة :

– إسماعيل ..

قالتها كأنها تتعجب من تصرفاته ..

وفجـأة احتضنهـا بين ذراعيـه ، وقال وأنفاسـه تفح حول وجهها :

– أنا باحبك يا وفية .. باحبك .. باحبك من يوم ما شفتك !

وصاحت وهى تحاول أن تتخلص من بين ذراعيه :

– إسماعيل .. إسماعيل ..

ولم تستطع أن تتملص منه ..

وجدت فوقها شيئا عنيـفا ثقيلا ، لا قبل لها به .. لم تستطع أن تصده .. وكانت تعلم أنها يجب أن تقاوم .. شىء فى داخلها كان يحثها على المقاومـة .. ولكنها لم تكن تعرف كيف تقاوم .. هل تصـفعه .. هـل تصرخ مسـتنجدة .. هـل تخرمش وجـهه بأظافـرها .. إنهـا لا تدرى .. إنهـا مـرتبكة .. إنهـا مـذهولة .. لم تسـتطع حتى أن تنطق .. فـانبثـقت الدموع من عـينيـها .. واستسلمت !

وتركهـا وجسدها ملقى على الأرض ، كأنه ثوب فى حـاجة إلى كواء .. ونهران من الدموع قد جفا فوق خديها ..

وخرج قائلا :

– أنا حارجـع مع عمر السـاعة اتنين علـشان نطلع نتـغدى بره !

ولم تسـمع مـا قاله .. ظلت راقـدة على الأرض ، وعـيناها ملتـصقـتان فى السـقف .. كأنهـا تنظر بهمـا إلى الله .. إن الله غاضب .. إنه يزمجر فى وجهها .. سيحملها بالمرزبة ويلقى بها فى النار ..

إنها اخطأت .. نعم ، لا بد أن ما حدث خطيئة .

لا يا ربى .. إنهـا ليست خطـيئـتى .. لم أكن أريد .. لم أكن أعلم .. لم أسـتطع أن أقاوم .. لا تلق بى فى النار ..

وأحست بكراهية إسماعيل .. إنها تكرهه .. تكرهه .. تكرهه وتخافه .. تخافه بقدر ما تخاف الله ، وبقدر ما تخاف الجحيم ..

لن يحدث هذا مرة ثانية ..

لن يحدث أبدا ..

وبدأت تبكى من جديد .. بكت كثيرا .. كأنها تغسل خطيئتها بدموعها .. ثم هدأت أعصابها قليلا .. وقامت ودخلت الحمام .. واستحمت .. وأعادت الاستحمام ، وهى تتقزز من جسدها .. كأنه لن يعود نظيفا أبدا .. ثم خرجت ، وغطت رأسها بطرحة بيضاء ، ووقفت تصلى .. أربعين ركعة .. وكلما سجدت ركعة ، سقطت دموعها فوق سجادة الصلاة .. لعل الله يعفيها من الجحيم ..

وعاد إسماعيل بصحبة عمر ، وهى لا تزال تصلى ..

ودخل زوجها إلى حجرتها .. وأحست به وهى تصلى ، واقفا وراءها .. وارتبكت فى صلاتها .. لم تعد تستطيع أن تتلو آيات « الفاتحة » ، وخلطت بين سجودها وركوعها ، وضاعت منها « التحيات » .. وارتعشت .. خيل إليها أن زوجها قد عرف كل شىء ، وأنه يرى بصمات إسماعيل فوق جسدها .. وسقطت طرحتها البيضاء من فوق رأسها .. ثم سمعت زوجها يقول :

– ياللا يا وفية ، كفاية صلاة .. إبقى كملى بعدين .. أنا حاموت من الجوع !

وأنهت صلاتها ، والتفتت إلى زوجها وبين شفتيها ابتسامة حائرة مترددة ، وجفناها يرتعدان فوق عينيها .. ونظر زوجها فى وجهها بإمعان ، وقال :

– مالك ؟!

قالت وصوتها يختنق فى حلقها :

– ماليش .. أصلى صليت كتير ..

قال فى براءة :

– طيب البسى قوام علشان نروح نتغدى فى النادى ..

وتركها ترتدى ثيابها ..

وارتدتها وهى ساهمة .. إنها ستقابل إسماعيل الآن .. كيف ستقابله .. يجب أن تقابله بحزم .. يجب أن يشعر بأنها تكرهه .. يجب أن يشعر بقوتها .. ويجب أن يخافها ..

وأطلت فى داخل نفسها لتقيس مدى قوتها .. لا ، إنها ليست قوية .. إنها ضعيفة .. ضعيفة الشخصية .. يا رب أعنّى على ضعفى .. أعنّى لأحمى نفسى ..

وخرجت من غرفتها دون أن تضع الأصباغ على وجهها .. خيل إليها أن الأصباغ تضاعف من جرمها أمام الله .. ثم إنها لا تريد أن تبدو جميلة .. إنها تكره جمالها .. وتكره إسماعيل .. تكرهه ..

وسارت تدب الأرض بقدميها ، كأنها تحاول أن تقنع نفسها بأنها قوية .. وضمت شفتيها بقوة حتى لا تسقط من بينهما ابتسامة رغما عنها .. وقطبت ما بين حاجبيها لتبدو غاضبة .

ثم واجهته ..

وضعت عينيها فى عينيه ..

وارتعدت ..

لم تكن تدرى أن فى عينيه كل هذا الظلام المخيف .. بحر من الظلام يتماوج فى صمت .. وأرخت عينيها سريعا .. ولم تعد تواجهه بعينيها ..

نعم .. إنها ضعيفة !

وسمعته يقول ، وهى تحس بعينيه فوقها :

– كان حقك لبست فستان غير ده ..

وقالت دون أن تنظر إليه :

– لا .. ده كويس !

وسكت إسماعيل وهو يهز كتفيه .. ثم ذهب الثلاثة لتناول طعام الغداء فى النادى .. وقلبها ينبض بالخوف .. الخوف من الأيام المقبلة .. إن إسماعيل لن يكف عنها .. إنها تعلم أنه لن يكف عنها .. لقد تفتح وعيها فى لحظة واحدة عن دنيا جديدة.. دنيا مليئة بالاثام والشرور والخداع .. دنيا يحكمها إسماعيل ..

وتعمدت أن تغير أسلوبها مع إسماعيل .. لم تعد الفتاة البسيطة البريئة المغفلة .. أصبحت امرأة تقاوم فى سبيل الاحتفاظ بنظافة جسدها .. أصبحت لا تضحك لنكات إسماعيل كما تعودت .. ولكنه كان يظل يطلق نكاته حتى يفاجئها بنكتة تضحك لها ..

وكانت تتعمد ألا تجلس بجانبه ، ولكنه كان يلاحقها ، فإذا جلست بجانب زوجها ، صاح فيها وهو يغطى وقاحته ببساطته :

– تعالى اقعد هنا يا عمر .. ما حدش فى الدنيا يقعد جنب مراته .. بعدين الناس تضحك علينا ..

وينتقل عمر بسلامة نية ، ويترك مكانه بجانبها لإسماعيل..

وكانت تتعمد ألا ترقص معه ، ولكنه كان جريئا .. كان يشدها من يدها أمام الناس لترقص معه ، فإذا رقصت مع زوجها شق طريقه بين الراقصين وجاء إليهما ، وخبط على

كتف الزوج قائلا :

- تسمح ..

ويضحك الزوج الطيب .. ويتركها له ، ليلتقطها بين ذراعيه ..

ثم كانت تتعمد ألا تكون وحدها أبدا .. لن يستطيع إسماعيل أن يجدها وحدها أبدا .. كانت دائما مع زوجها ، فإذا كان زوجها فى عمله ذهبت إلى بيت أمها وظلت معها تحتمى بها ، إلى أن تتأكد أن زوجها قد عاد إلى البيت ..

ولكن ..

لقد كان إسماعيل يستطيع أن يبعد الزوج دائما كلما أراد .. كلما أرادها .. كانت حيله وأكاذيبه لا تنتهى .. وكانت هى وحدها التى تشعر بهذه الحيل والأكاذيب ، والزوج غافل .. وتحاول أن تنبهه ، أن تحول دون تخليه عنها للخطيئة .. ولكن ثقة الزوج فى صديق العمر ، وسيطرة الصديق على الزوج ، كانت تحبط محاولتها ، وتجد نفسها وحيدة مع إسماعيل .. ولا تملك أن تقاومه .. ويتجمع ضعفها وكراهيتها وخوفها فى صدرها ، ثم ينبثق كل ذلك دموعا من عينيها .. وهى تستسلم !

هل تعترف للزوج ؟

لا .. إنها لا تستطيع ..

هل تعترف لأمها ؟

لا .. إنها لا تستطيع ..

إن جريمتها أكبر من الاعتراف .. وهى أيضا أضعف من الاعتراف .. إنها لا تملك إلا أن تقاوم وحدها ، فإذا عجزت عن المقاومة ، فلا تملك إلا الاستسلام ..

ومضت الأيام ..

ووجدت نفسها تنتظر هذه اللحظات التى تنبثق فيها دموعها.. لحظات الاستسلام لإسماعيل .. تنتظرها كأنها آتية لا ريب فيها .. تنتظر فى خوف .. والخوف يدفعها إليها ..

لقد أدمنت هذه اللحظات .. وأدمنت هذه الدموع .. أدمنت ضعفها .. إن الخطيئة لم تعد تنصب عليها من إسماعيل ، بل أصبحت تنبعث من داخلها ..

لم تعد تكره إسماعيل وحده .. أصبحت تكره نفسها .. وتكره زوجها الضعيف الذى لا يستطيع أن يحميها من إسماعيل ومن نفسها ..

إن الحياة كلها أصبحت كراهية ..

النهار أسود .. والليل أسود .. وفى يدها سكين من حقدها ، تطعن به فى خيالها إسماعيل ، وتطعن به زوجها ، وتطعن به نفسها ..

إنها تكره .. تكره كل شىء ..

●●●

وتقلبت وفية فوق الأريكة داخل الكابين ..

وسمعت صوت زوجها يعود ، وإسماعيل يستقبله بالتهليل.

ثم جاء زوجها إليها وقال فرحا كأنه اكتشف أمريكا للمرة الثانية :

– أنا جبت لك فراخ ، ومكرونة فى الفرن ، وسلطة طحينة من اللى بتحبيها .. و ..

وقالت فى ضعف دون أن تلتفت إليه :

– أنا مش حاتغدى .. تعبانة !

قال فى لهفة :

– مالك ؟

قالت وهى تغمض عينيها :

– عندى مغص ..

وتقلص وجه الزوج كأن المغص قد انتـقل إلى معدته ، وقال فى حنان :

– تحبى نقوم نروح البيت ..

قالت :

– لأ .. اتغدوا انتم ، وبعدين نروح ..

وخرج عمر حزينا يائسا ..

وظلت هائمـة مع أفكارهـا .. إنهـا لا تزال تفكر فى وسـيلة تحمى بها نفسها من ضعفها .. من الخطيئة ..

وفجأة اعتدلت جالسة فوق الأريكة .. وبين شفتيها ابتسامة ماكرة ..

لقد وجدت فكرة ..

٣

□ وفى صباح اليوم التالى استيقظت « وفية » ونهر من النشاط يجرى فى عروقها .. وابتسامة كبيرة ترقص بين شفتيها .. ابتسامة تحمل ظلالا من خبث برىء ساذج .. تحس أنها قوية .. ذكية أن لها شخصية .. أنها فرحة بالفكرة التى وجدتها .. الفكرة التى ستتخلص بها من إسماعيل ، ومن سيطرة إسماعيل عليها وعلى زوجها .. إنها ستطرده خارج البيت .. ولن يعود أبدا ..

وبدأت ترتدى ثيابها وهى تكاد تغنى .. وجلست أمام المرآة وهزت شعرها الأصفر بعنف كأنها تنفض عنها ماضيها .. تنفض عنه خطيئتها .. تنفض عنها ضعفها .. ثم أمسكت بالمشط وبدأت تمشط شعرها ، وعيناها هائمتان وراء فكرها .. ثم ألقت المشط ، وأمسكت بأصبع « الروج » فوق الشفة السفلى ، وعادت تستعيد فكرتها .. إنها خطة كاملة ، لا يمكن أن تخيب .. وابتسمت لهذه الخطة كأنها تهنىء نفسها عليها .. وتحرك أصبع « الروج » فوق شفتيها ..

وقامت من أمام المرآة ، وقالت لزوجها فى صوت قوى حازم ، كأنها ليست هى التى تتكلم :

— عمر .. أنا نازلة رايحة بيت خالى ..

وأزاح عمر جريدة الصباح من أمام وجهه ، وقال فى دهشة

كأن نظـام حيـاته كلـه قـد اختـل :

– مش تستنى لما ييجى إسماعيل ، ونروح معاكى ؟

وقالت وهى أشد حزما :

– لأ .. حصلونى أنتم على البلاج ..

وظل عمـر يبحلق فـيها بعـينين دهشتـين كأنه يراها لأول مرة، ثم قال وهو يرفع جريدة الصباح أمام وجهه :

– حاضر ..

وخرجت وفية وهى تدب الأرض بقدميـها ، كأنها تسير فى طابور عـسكرى نحو أرض المعـركة .. وابتـسامـتهـا الكبيـرة لا تزال ترقص بين شفتـيها .. ولا شىء تراه أمامهـا أو حولها .. كل ما تراه هو الخطة التى فى رأسها ..

ووصلت إلى بيت خالها .. بيت كبـير يطل على البحر ، عند محطة زيزينيا .. وكان كل ما يهمها فى هذا البيت الكبير أن فيه آلة كاتبة .. إنها تعرف مكان هذه الآلة الكاتبة .. تعرفه بالضبط .. إنها فى غرفة المكتب ، فوق مائدة صغيرة .. وقد تعودت كلما اجتمعت ببنات خالها أن تلعب بأصابعـها فوق حروفها ، وكان خالها ينهـرهن دائما ، ويبعدهن عنهـا .. ولكنه لن ينهرها هذه المرة ..

وانحنت تقـبل خـالها .. وزوجـة خـالها .. وابـنة خالهـا .. وجلست بينهم وذكاؤها كله متـجمع فى مقدمة رأسهـا ، كأنها تهم أن تطلقه فى أى لحظة .. ثم قالت بعد فترة طويلة :

– تعرف يا خالى إنى ابتديت آخذ دروس تيبرايتر ..

وقال خالها بلهجته التركية :

– عال .. عال .. كويس خالص ..

قالت وهى تضحك :

- وأول ما حا أتعلم ، حاشتغل عندك سكرتيرة .

وقهقه خالها قهقهة كبيرة .. وقالت « دلبر » ابنة خالها :

- دى تقليعة جديدة .. ما كانتش تخطر على بال ..

وقالت وفية فى حماس كأنها تدافع دفاعا حقيقيا :

- مش بدل مـا أنا قاعـدة فاضـية .. زهقت من التـريكو .. وزهقت من الكانفاه .. وزهقت من البيانو .. قلت أتعلم تيبرايتر.

ثم قامت واقفة ، واستطردت وهى تبتسم :

- لما أقوم اتمرن شوية .. تسمح يا خالى ؟

وقال خالها وهو ينظر إليها فى حنان وإعجاب :

- اتفضلى يا بنتى ..

ودخلت غـرفةالمكتب وهى تشـد من صدرها نفـسا عـميـقا كأنها تتأهب للمعركة .. وتلفـتت حولها كأنها تدرس كل قطعة من قطع الأثـاث .. ثم نزعت غطاء الآلـة الكاتبـة ، ونظرت إلى الحروف المصطفة أمامها .. وشعرت بالخوف .. لا تدرى لماذا .. ولكنها أحـست بضعـفها يعـاودها .. إنها أضـعف من أن تقدم على هذه الخطة .. إنهـا مجازفة خـطيرة .. ولكن لا .. يجب أن تقدم .. يجب ألا تتراجع .. يجب أن تصمم .. وعادت تشد نفسا عميقا من صدرها .. ثم جلست أمام الآلة الكاتبة ، ونظرت فيها بعينيـن واسعتـين خائفتـين كأنهـا تنظر إلى قنبلة ذرية .. ثم مدت يدا مرتعشة والتقطـت فرخا من الورق ووضعته فى الآلة .. وبدأت تضغط على الحـروف بأصبع واحدة .. وكلمـا نقرت حرفا أحست كأنها تنقر بأصبعها فوق قلبها ..

وكانت تكتب أى شىء يخطر على بالهـا .. كتبت « بسـم الله الرحمن الرحـيم » .. وكتـبت اسمهـا .. وكتبت اسم زوجـها .. وكل كلمـة تكتبهـا فى دقيـقتـين .. وهى تعض على شفـتيـها بأسنانها .

ودخلت إليها « دلبر » ابنة خالها ، ووقفت وراءها تنظر فيما تكتبه ، ثم قالت وهى تضحك :

– ده انتى لسه خيبة خالص .. قومى يا شيخة نروح البلاج ..

وقالت وفية دون أن تلتفت إليها ..

– روحى انتى ، وأنا أجيلك بعدين .. بعد ما أتمرن شوية !

وعادت تعض شفتيها بأسنانها ، وتنقر بأصبعها فوق حروف الآلة الكاتبة ..

وقالت دلبر :

– قومى طاوعينى .. مافيش فايدة .. عمرك ما حاتتعلمى .. ولا عمرك حاتبقى سكرتيرة ..

وقالت وفية فى رجاء وهى ترفع رأسها إلى ابنة خالها :

– والنبى يا دلبر تسيبينى نص ساعة بس .. عايزة أتمرن شوية .. علشان خاطرى ..

وهزت دلبر كتفيها قائلة :

– طيب أنا حاروح البلاج ، وأبقى حصلينى .. بس ما تتأخريش !

وقالت وفية وهى تحنى رأسها فوق الآلة الكاتبة :

– حاضر ..

وخرجت دلبر ..

وانتظرت وفية بعض الوقت ثم مدت يدها والتقطت حقيبتها ، وفتحتها وهى تنظر إلى باب الغرفة ، ثم أخرجت منها ورقة زرقاء من الورق الذى يستعمل فى كتابة الخطابات ، ووضعتها فى الآلة الكاتبة .. ونظرت إليها برهة كأنها ترى فوق زرقتها غيوما سوداء .. وقلبها يخفق كأنه يدق طبول

الحرب .. واستجمعت كل قـواها ، ثم رفعت أصبعها وهمت أن تنقـر على الحرف الأول .. ولكنـها توقـفت .. وقامت من أمـام الآلة الكاتبة ، واتجـهت إلى باب الغرفة فأغلقـته ، ثم عادت إلى مكانها ..

ورفعت أصبعها مرة ثانية ، وقلبها يرتجف ..

وبدأت تكتب :

« عزيز عمر بك رأفت .. »

« احـتـرس من صديـقك إسمـاعـيل ، إنه يغـازل زوجـتك الشريفة جدا جدا ، ويحـاول أن يعتدى عليها .. يجب أن تطرده من بيتك حالا إذا أردت أن تحمى زوجتك وتحمى شرفك » .

وانتهت من كتابة هذه السطور فى أكثر من سـاعة .. كتبتها بحروف مفككة وأخطاء كثيرة .. ولم توقعها بأى إمضاء .. ثم رفعت الورقـة من الآلة الكاتبة وأعادت قـراءتها .. قرأتها أكـثر من عشر مرات .. وأصلـحت بعض أخطائها بالقلم الرصاص .. ثم جذبت حـقيبـتها وأخـرجت منها مظروفـا أزرق عليه طابع بريد ، ووضعته داخل الآلة الكاتبة .. وبدأت تكتب العنوان ..

عنوان زوجها ..

عنوان بيتها ..

ووضعت الخطاب فى الظرف وقـد توقف وعيهـا .. لم تعد تفكر .. كانت منسـاقة وراء خطتهـا كأن يدا مجـهولة تدفعـها إليها ..

وقامت وقد تهـدل شعرها الأصفـر فوق جبينهـا ، واحتقن وجهها من عنف انفعالها ، وعنف المجهود الذى بذلته ..

ثم خـرجت من البـيت دون أن تبـحث عن خالـها وزوجـة خالها ، لتحييهمـا .. وركبت سيارة أجرة .. ومرت فى طريقها

بصندوق بريد ، فنزلت من السيارة والقت فيه بالخطاب .. ثم عادت إلى السيارة واتجهت إلى الشاطىء ..

ووجدت زوجها وإسماعيل ينتظرانها فى الكابين .. ولم تنظر إلى إسماعيل .. إنها لا تجرؤ على النظر إليه .. لا تجرؤ .. أحست أنه لو التقى بعينيها فسيرى فيهما سرها .. سيكشف خطتها ..

وسمعت زوجها يقول :

– ده انتى اتأخرت قوى يا وفية ..

ولم ترد عليه ..

ثم سمعت إسماعيل يقول :

– دول بنات خالك جم البلاج من الصبح .

والتفتت إليه لفتة سريعة ، ثم أدارت عينيها عنه ، وقالت :

– كنت قاعدة مع خالى ومرات خالى !

وجلست فوق الأريكة ، وانتقل إسماعيل وجلس بجانبها كعادته وأخذ ينظر إليها كأنه يسبح بعينيه فوق صفحة وجهها .. وطير الهواء شعرها الأصفر الناعم كأنه قش القمح يذروه فلاح نشط ، وهامت بعينيها فى البحر .. هامت وراء خطتها .. إن زوجها سيجد الخطاب غدا ، وسيقرأه .. وسيحتقن وجهه غضبا وغلا .. سيثور .. إنها لم تره ثائرا إلا مرة واحدة منذ تزوجا .. عندما سرقت ساعته الذهبية الكبيرة التى ورثها عن أبيه .. إنها تستطيع الآن أن تتخيل وجهه الأحمر .. وعينيه الغاضبتين .. وتستطيع أن تراه وهو يدخل إليها مندفعا ، يهز الخطاب فى يده ، كأنه يلوح بسكين يهم أن يقتل به إنسانا .. وسيسألها : « هل صحيح أن إسماعيل يغازلها ويحاول أن يعتدى عليها ؟ وستجيبه : « نعم » .. لا ،

إنها لن تجيبه مباشرة .. ستتردد قليلا .. وستفتعل الارتباك .. ثم ستقول له ، إنها كانت تود ألا يزعج نفسه بهذا الموضوع لأنها كفيلة بأن تحمى نفسها .. ثم سترخى عينيها وتعترف له فى صوت ضعيف بأن إسماعيل يغازلها فعلا ، وأنه حاول أن يعتدى عليها مرة لولا أنها قاومته .. وسيثور زوجها لهذا الاعتراف .. سيهدد ، ويندفع محاولا أن يلحق بإسماعيل ليضربه .. ولكنها ستتعلق بعنقه وتستحلفه بحياتها ألا يضرب إسماعيل حتى لا يثير حولهما فضيحة .. وأن يكتفى بأن يقطع علاقته به ، ويحرمه من صداقته ، ويطرده من البيت .. وسيهدأ زوجها قليلا .. إنها واثقة من أنها تستطيع أن تهدئه .. وسيطرد إسماعيل من حياته ، وحياتها .. وترتاح .. ترتاح من ضعفها ، ومن خطيئتها .. ومن دموعها ..

وانطلقت ابتسامة كبيرة من بين شفتيها ، رغما عنها ..

وقال إسماعيل وهو لا يزال يسبح بعينيه فوق صفحة وجهها :

– بتضحكى على إيه ..

قالت وهى لا تزال تبتسم :

– ولا حاجة افتكرت حكاية سمعتها من خالى ..

●●●

ومر نهار شغلته بالتفكير فى خطتها .. ومر بها ليل طويل ، وهى تنتظر الصباح ..

ثم جاء الصباح .. وجاء معه إسماعيل .. جاد مبكرا كأنه خاف أن تفلت منه كما انفلتت فى اليوم السابق ..

ونزل ثلاثتهم متجهين إلى الشاطىء .. ونظرت فى صندوق البريد الخاص بالعمارة .. إن الخطاب فيه .. الخطاب الأزرق ..

ولكن .. شكرا لله .. إن زوجـها لم ينظر فى صندوق الـبوسـتة ولا إسماعيل .. إنها لا تريد أن يفتح زوجها الخطاب وإسماعيل معه ، حتى تستطيع أن تسيطر على الموقف وحدها..

وقضت الساعات على الشاطىء وقلبـها واجف ، تعد نفسـها للموقف الـذى ستواجـهه ، وتستـجمع كل قـواها وكل إرادتها لتـواجهـه .. ثم يخيل إليـها أنهـا ستـضعف .. سـتنهار .. قـد تعترف لزوجـها بأكثر مما يجب أن تعتـرف به .. وقد تخاف ، فتنكر أن أسماعيل غازلها أو حاول أن يعتدى عليها .. و .. و .. وتعجلت ساعة الغداء ، وانتفضت واقفة ، وقالت :

– ياللا بينا نروح نتغدى ..

وقال زوجها :

– ما لسه بدرى .. دى الساعة ما جتش واحدة .

قالت فى حزم :

– أنا جعانة .. خليكو أنتم وأنا حا أروح اتغدى ..

وقال إسماعيل :

– لا .. نيجى معاكى ..

وقام ثلاثتهم ، وعـادوا إلى البيت .. ولم تنظر إلى صندوق البـريد ، خافت أن تنظر إليـه فتـلفت نظر زوجهـا .. ولم ينظر زوجها إلى الصندوق فليس من عادته أن ينظر إليه ، وليس من عادته أن يتلقى خطابات من أحد ..

وتناولوا طعـام الغداء .. وذهب إسمـاعيل إلى بيـته ليـعود إليهما فى المساء .. وقالت لزوجها قبل أن يخلع ثيابه :

– أنا شفت جواب فى صندوق البوستة بتاعنا .. انزل هاته.

وقال عمر وهو يهم أن يشد قميصه :

– يعنى مين حايبعت لنا جواب ..

قالت :

- أنزل شوف ، يمكن جواب من الشغل ، ولا من العزبة .. ولا يمكن جواب لى ..

قال فى هدوء :

- ابعتى السفرجى يجيبه ..

قالت وهى تنظر إليه كأنها تغريه :

- بلاش كسل .. السفرجى بيغسل الصحون ..

ونظر إليها زوجها فى ضيق ، وعاد يضم قميصه حول جسده المترهل وقال وهو يزفر كلماته :

- طيب فين المفتاح ..

وأعطته مفتاح صندوق البريد ، ويدها ترتعش .. وظلت واقفة وسط الحجرة تنظر إليه وهو يخرج ..

وخرج .. ولكنها لم تغير وقفتها .. ظلت واقفة وسط الغرفة كأنها دقت فى الأرض بمسامير .. وأخذت تستعيد فى ذهنها كل ما أعدته لتنفيذ خطتها .. كل كلمة .. وكل حركة .. وخيل إليها أنها استعادتها آلاف المرات فى دقائق قليلة .. ثم خيل إليها أن زوجها غاب مدة أطول مما تنتظر .. ربما قرأ الخطاب وتوجه توا يبحث عن إسماعيل .. ربما قرأه وأغمى عليه ، وجسده الآن ملقى فوق السلم .. ربما .. ولكن .. إنها تسمع صوت أقدامه .. لقد عاد .. إنه يسير فى خطوات بطيئة كأنه يتحسس طريقه .. إنه يقترب .. يقترب أكثر .. إنه واقف أمامها.

ونظرت إليه بعينين مذعورتين .. إن أعصابها ترتعش تحت جلدها .. إنها لن تستطيع أن تمثل دورها فى الخطة ولكن ..

إن وجهه هادىء .. ليس محتقنا ، وعيناه ليستا غاضبتين ..

ونظرت إلى يده ..

ليس فى يده خطاب يلوح به .. ليس فى يده شىء ..

وتمايلت فى وقفتها كـأنها أصيبت بدوار .. ثم تحاملت على نفسـها ، وابتلعت ريقـها ، وتحـركت خطوتين ، ثم بدأت تخلع ثيابها وأصابعها لا تزال ترتعش ..

وزوجها صامت لا يتكلم ..

وفجأة التفتت إليه وقالت وكلماتها ترتطم بأسنانها :

– لقيت جوب .. من مين ؟

وقال فى هدوء :

– ولا حاجة .. ده إعلان عن أوكازيون ..

وسكتت وعيناها مـعلقتان فوق وجهـه .. إنه يكذب عليها .. إنها تعرف زوجها عندمـا يكذب .. إنه يخفى عنها عينيه .. لماذا يكذب عليها .. لماذا لا يسألها عما قرأه فى الخطاب ، كما قدرت أن تسير خطتها ..

وتعبت من التـحديق فى وجه زوجـها .. فأرخت عينيـها .. ووجدت نفسـها كأنها مطعونة الكبرياء .. مطعونة فى ذكائها .. هل فشلت خطتها ؟

ولكن لماذا فشلت خطتها ؟

هل زوجها لا يغار عليها ؟

هل تبلغ ثقـتـه باسـمـاعـيل إلى حـد لا يسـتطيع مـثل هذا الخطاب أن يزعزها ، أو ينتقص منها ؟

ولكن ..

ربما كان زوجها يعد خطة أخـرى ، غير التى قدرتها .. ربما قرر بينه وبين نفسه أن يراقب إسمـاعيل ، ويراقبها .. حتى إذا تحـقق من صحـة مـا جاء فـى الخطاب ، أعلن ثورته .. وطرد إسماعيل من بيته ..

نعم .. هذا هو الأرجح .. إنـهـا تعـرف زوجـهـا .. إنه طيب صـموت ، ولكـنه ذكى .. لا يحب أن يثـير مـشكلة إلا بعـد أن يتأكد منها ..

إنه سيراقب إسماعيل وسيراقبها ..

ويجب أن تجرى تعديلا فى خطتها .. يجب أن تجعل زوجها يكتشف بنفســه أن صديقه يغازلها .. لقـد كان خطابها الأزرق بمثابة بذرة القتها فى قلب الزوج ، وعليها أن ترعى هذه البذرة حتى تترعرع وتصبح شكا ، ثم تصبح حقيقة .. حقيقة تقضى على إسماعيل ، وتريحها منه .

ورقدت على الســرير وعقلها ســارح .. كيف تجعل زوجــها يغار .. كيف تقوده ليرى الحقيقة بعينيه ؟

واستــعرضــت فى ذهنها كل القــصص التى قرأتـهـا ، وكل الأفلام السينمائية التى شاهدتها ، لعلهـا تجد فيها مواقف تثير غـيرة الأزواج .. وتذكـرت قصــة « عطيل » والحيل التى لجــأ إليها « ياجو » ليثير غيرة الزوج على زوجته .. وفيلم « الشك » الذى أخرجــه هتشكوك ومثـلـه كارى جرانت .. و .. وأغـمضت عينيها وهى لا تزال يقظى ..

●●●

وفى المساء وقفت امام المرآة وقـد قررت أن تبدو أجمل من أى مساء مـر بها .. أرتدت ثوبا أبيض واسـعـا ، ووضـعت فوق شـعرها الأصـفر تاجـا من الماس ، فبـدت كأمـيرة الأحـلام .. حلوة .. غالـية .. مثـيرة .. وخـرجت إلى الصالون حـيث كان ينتظرها زوجها وإسماعيل .

وأطلق إسـماعـيل صفـيرا حـادا بمجرد أن رآها .. صــفيـر

الذئب .. ورفع زوجها حاجبيه وابتسم ابتسامة كبيرة كأنه فرح بلعبة يملكها ، وقال :

– ده انتى حلوة قوى الليلة ..

وقالت فى دلال مصطنع كأنها تقلد امرأة أخرى :

– أنا الليلة عايزة أروح الرومانس .. قوم احجز ترابيزة يا عمر ..

وقام عمر ليحجز مائدة بالتليفون .. وسارت وفية فى خطوات بطيئة متمايلة ، ثم ألقت نفسها بجانب إسماعيل .. وتعمدت أن تلتصق به .. وأحست بعينيه تسبحان فوق وجهها .. وأحست بالرعدة تزحف على قلبها .. ولكنها قاومت .. قاومت بكل إرادتها .. ثم رفعت إليه عينيها ، وقالت وصوتها يكاد يرتعش ويفضح رعدتها :

– عاجباك ؟!

وقال إسماعيل هامسا وهو يزحف بيده إلى أن أمسك بيدها :

– عاجبانى بس .. ده انتى مجننانى ..

وابتسمت وفية ، وقلبها ينضح بالكراهية .. إنها تكرهه .. وتزداد كراهية له كلما لمس قطعة من جسمها ، وكلما أحست بعينيه فوق وجهها ، وكلما أطلق كلمة غزل ..

ودخل الزوج .. وسحب إسماعيل يده من يدها بسرعة .. ورفعت عينيها إلى زوجها كأنها تسأله عن هذا الوضع الذى يراه .. وضعها بجانب إسماعيل ملتصقة به ..

ولم يبد على الزوج أنه لاحظ شيئا ، وقال فى بساطة :

– يدوبك لحقت ترابيزة على البيست .. مش ياللا بينا بأه !

وقالت وفية فى جرأة :

– لا .. استنى لما نشرب كاس هنا !

ونظر إليها إسماعيل دهشا .. إنها لم تكن ابدا بمثل هذه الجرأة .. وبحلق فيها زوجها كأنه لا يصدق اذنيه .. ثم هز كتفيه وفتح « البار » ، وأخرج زجاجة الويسكى ، وقال وهو يصب لها كأسا :

– كاس واحد بس ، أحسن الترابيزة محجوزة لغاية الساعة عشرة وبعد كده حاتروح مننا ..

وشربت وفية الكأس بسرعة وعصبية ، كأنها تذيب فيه أعصابها .. وانتهت منه قبل أن ينتهى إسماعيل وزوجها من كأسيهما .. ثم هبت واقفة وقالت كأنها تصدر أمرا عسكريا :

– ياللا بينا ..

وخرجت .. والرجلان يتبعانها .. إنها ثائرة .. ثائرة على نفسها .. إنها تحس بنفسها كأنها امرأة أخرى .. امرأة لا تحبها .. تتقزز منها .. وكادت فى غمار هذا الاحساس تنسى خطتها ، وتنسى الدور الذى قررت أن تقوم به .. وركبوا جميعا سيارة إسماعيل .. ثلاثتهم فى المقعد الأمامى .. إسماعيل يتولى القيادة وهى بجانبه ثم الزوج ..

وتنبهت وفية إلى خطتها ، وعادت تتمسك بها .. فازدادت التصاقا بإسماعيل .. وهى تنظر من تحت جفنيها إلى زوجها لترى التعابير التى ترتسم على وجهه .. ثم قالت فجأة :

– خلينى أمسك الدركسيون شوية يا إسماعيل ..

ورفعت ذراعيها ، ووضعت يديها فوق عجلة القيادة .. وأصبح نصفها فوق إسماعيل .. ونظرت أمامها ، وكل حواسها متجهة إلى زوجها .. هل غضب .. هل احتقن وجهه غلا ، كما احتقن يوم اكتشف سرقة ساعته التى ورثها عن أبيه .. لعله

سيصرخ فى وجهها الآن .. على الأقل سينهرها .. إن إسماعيل يلصق ساقه بساقها .. ويده خلف ظهرها تضغط على كتفها .. هل لاحظ الزوج شيئا .. لابد أنه لاحظ .. لابد أنه سينفجر والتفتت إليه ..

لا شيء ..

إن وجهه هادىء . سعيد ..

ولاحظ لفتتها فقال فى مرح :

– أنا نفسى إنك تتعلمى السواقة علشان بعد كده ما تفضليش تقولى لى سوق على مهلك ..

وتهدلت تعابير وجهها ..

أحست باليأس يزحف على قلبها .. لابد أنها غبية إذ فكرت فى أن تثير غيرة مثل هذا الزوج .

ورفعت يديها من فوق عجلة القيادة ، وابتعدت عن إسماعيل ، وقالت وهى تتنهد :

– طيب مش حاتعلم السواقة .. علشان أفضل أقول لك سوق على مهلك .

وقال إسماعيل فى خبث :

– ما تتعلمى أحسن .. علشان ما تحتاجيش لسواق !

وقالت وهى لا تنظر إليه :

– لأ ..

ووصل الثلاثة إلى ملهى الرومانس . واليأس يرتسم فوق وجه وفية .. لم تعد تحس بجمالها ، ولا بذكائها ، ولا بقوتها .. عادت كما كانت مرتبكة ، حائرة ، منطوية ، ضعيفة الشخصية ، واستسلمت لسيطرة إسماعيل .. ولكنها شربت كأسا .. وكأسا ثالثا .. وتذكرت عذابها .. وبعثت الخمر الدفء

فى أعصـابها ، وحرضتـها على أن تعاود خطتهـا من جديد ..
وزمت شفتيـها كأنها انتوت امرا خطيرا ، ثم التـفتت فجأة إلى
إسماعيل وقالت وهى تكاد تصيح :

- إسماعيل .. تعالى نخرج فى الجنينة شوية .. أنا تعبانة !

ونظر إليها إسماعيل ، كأنه لا يفهمها .. ثم قام معها وخرجا
إلى الحديقة .. ووضعت ذراعها فى ذراعه .. ثم توقفت وأوقفته
معـها ، وقالت فى صـوت حزين دون أن تدع عينيـها تلتقـيان
بعينيه :

- بوسنى !

وقال إسماعيل والمفاجأة تكاد تخلعه من على الأرض :

- إيه ؟

قالت كأنها تبكى :

- با أقولك بوسنى .. بوسنى .. دلوقت .. دلوقت حالا !

واحتضنها إسماعيل وهو لا يزال مأخوذا بالمفاجأة .. وقبلها
فوق خدها .. ثم قبلها فوق شفتيها ..

ثم ..

ثم مسحت شفتيها فى خده ، وابتعدت عنه ..

وقال إسماعيل وهو مبهور الأنفاس :

- انتى النهاردة مش طبيعية !

قالت وهى تدير رأسها عنه :

- هوه لما أقول لك بوسنى .. ابقى مش طبيعية ..

وقال إسماعيل فى غباء :

- أبدا .. تبقى طبيعية ونص ..

وقالت وهى تخطو نحو الملهى :

- طيب يا للا نرجع ، قبل عمر ما ييجى يدور علينا .

قال وهو يلحق بها :

– ما تخليكى طبيعية كمان مرة !!

وأحست بمعدتها تنقلب .. إنها تكرهه ..

وعادا إلى المائدة .. وكان عمر منصرفا إلى متابعة الراقصين ، وينقر بأصابعه على المائدة متابعا الموسيقى ..

وانتهزت وفية فرصة تنبه زوجها ، وأشارت إلى إسماعيل بأصبعها على خدها ، تنبهه إلى شىء فى خده .

وفهم إسماعيل إشارتها .. لقد كان على خده رقعة كبيرة من أحمر الشفاه .. فاخرج منديله بسرعة ووضعه فوق الرقعة الحمراء ..

لقد تعمدت أن تمسح شفتيها فى خده .. وتعمدت أن تشير إليه وزوجها منتبه إليها ، حتى يعلم .. يعلم أن إسماعيل كان يقبلها فى الحديقة ..

وقال الزوج وهو لا يزال مبتسما :

– إيه .. فيه إيه .. مالك ؟

وقال إسماعيل وهو لا يزال محتفظا بمنديله فوق خده :

– أصلى يا سيدى اتخبطت فى شجرة وأنا ماشى فى الجنينة .. يظهر اتجرحت .. أما أقوم أشوف جرى لى إيه .

ولم يرد عليه الزوج .. عاد يتابع الراقصين ، وينقر بأصابعه على المائدة ..

وقام إسماعيل ، ليمسح آثار شفتيها على خده ..

وكادت وفية تبكى .. إنها غبية .. إنها حمارة .. إنها لا تستطيع أن تضع خطة .. ولا أن تنفذ خطة .. ونظرت إلى زوجها .. إنه أغبى منها .. إنه مغفل .. إنه أعمى .. وهى تكرهه .. تكرهه أكثر مما تكره إسماعيل .. وأحست كأنها تهم

بأن تنشب أظافرها فى عنق زوجها .. تنشب أظافرها فى عينيه اللتين لا تريان ..

وعاد إسماعيل يضحك قائلا :

- الحمد لله .. ما فيش حاجة .. خدش بسيط ومش باين !

وقامت .. أصرت على أن تقوم وتعود إلى بيتها ..

وتركهما إسماعيل عند باب البيت .. كأنه سجان يوصلهما إلى السجن ، ويغلق عليهما باب الزنزانة ..

وقالت لزوجها وهى تخلع ثيابها ، وصدرها ينطبق بعضه على بعض :

- إسماعيل النهارده زودها قوى !

وقال عمر وهو يضحك :

- إسماعيل طول عمره كده .. مظهره وحش ، إنما قلبه طيب .. ده طول عمره صاحبى ، وعارفه كويس .. وياما ناس حاولوا يوقعوا بينى وبينه ، إنما كنت دايما اكتشف أن الناس كدابين ، وإسماعيل أحسن منهم ..

وأحست وفية كأن نارا تشتعل فيها ..

هذا المغفل ..

هل تعترف له ..

هل تقول له أن صديقه الذى يفخر به قد اعتدى عليها .. على زوجته .. وأن زوجته قد أدمنت اعتداءه عليها ..

وهل يصدقها إذا اعترفت له ؟

وأحست باعترافها يتجمع فوق لسانها ويكاد ينطلق فى وجه الزوج رغما عنها .. ولكنها حبست لسانها خلف شفتيها .. وسكتت .. ولم يسكت فيها شىء آخر ، غير لسانها .. كل شىء فيها كان يصرخ فى غيظ وحنق ..

●●●

وذهبت فى اليوم التالى إلى بيت خالها .. وأدعت مرة ثانية أنها جاءت لتتمرن على الآلة الكاتبة .. وكانت أكثر جرأة .. دخلت مباشرة إلى غرفة المكتب ، ونزعت غطاء الآلة ، ثم أخرجت من حقيبتها خطابا أزرق وضعته فيها .. وجلست تكتب :

« عزيزى عمر بك ..... »

« إن زوجتك تخونك مع صديقك إسماعيل ، وإذا أردت أن تتأكد من خيانتهما تظاهر بأنك ستتركهما وحدهما لمدة نصف ساعة ، ثم عد إليهما بعد خمس دقائق ، وسترى الفضيحة بعينيك .. »

ونزعت الخطاب من الآلة الكاتبة وأعادت قراءته ، ثم وضعته في ظرف .. ولم تكتب على الظرف أى شيء .. لا الاسم ولا العنوان .. إنما حملت الخطاب معها وعادت إلى بيتها .. ودخلت والخطاب فى يدها .. ووجدت زوجها ، ومعه إسماعيل ..

ونظرت إلى زوجها فى جرأة وقالت :

– خد .. البواب بيقول فيه واحد فات وساب لك الجواب ده!

وأعطته الخطاب .. ودخلت إلى غرفتها .. إنها لا تريد أن تراه وهو يقرأ السطور التى كتبتها له .. ولا تريد أن تراه وهو ينظر إلى إسماعيل كأنه يعيد قراءة السطور فوق وجهه .. إنها تحس بأنها تنتحر .. تلقى بنفسها من فوق أعلى عمارة فى مصر ، وهى تغمض عينيها حتى لا ترى مصيرها .. نعم ، إنها تنتحر .. لم يعد يهمها مصيرها إذا ضبطها زوجها مع إسماعيل .. كل ما تريده الآن هو أن تحطم إسماعيل وزوجها ..

تحطم الخدعة الكبرى التى تربطهما ويسميانها صداقة .. تريد أن تنتقم منهما .. على جثتها .

ومضى وقت كاف ليقرأ زوجها الخطاب ، ولم يلحق بها .. وخرجت إليه .. وكان وحده ، كان إسماعيل قد ذهب .. وأطلت فى وجه زوجها .. إنه كما هو .. ولكنه لا يبتسم .. وربما كان وجهه مكفهرا قليلا .. ولكنه ليس غاضبا .. وليس حانقا .. ونظرت إليه بعينين مبحلقتين وقالت وهى ترتعش :

– الجواب كان من مين ؟

وأجاب دون أن يبتسم :

– ده برضة إعلان عن مزاد ..

قالت وهى تنظر فى عينيه كأنها تتحداه :

– طيب فين هوه .. عايزة اقراه !

قال فى هدوء :

– قطعته ، ورميته من الشباك ..

وسكتت ..

هل يهمل زوجها هذا الخطاب أيضا .. هل لا يزال محتفظا بثقته فى إسماعيل .. ألم يداخله شك .. مجرد شك .. ألا يضع هذه الثقة موضع اختبار ..

ولكنه لا يبتسم كعادته ..

لعله يكتم شيئا .. لعله يحاول أن يختبر صديقه .. لعله يتحرك ، هذا اللوح ، هذا الثلج ، هذا المغفل ..

وقضت يومها وهى بين اليأس والأمل ..

وفى المساء عاد إليهما إسماعيل فى الساعة السابعة .. وقال الزوج فجأة :

– أنا نازل أتكلم فى التليفون مع مصر وراجع لكم بعد نص ساعة ..

ونزل ..

وخفق قلب وفية ..

إن زوجها يختبر صديقه .. إنه ينفذ التعليمات التى حملها له الخطاب ..

لقد حانت ساعة الانتحار ..

واقترب منها إسماعيل .. واقترب أكثر .. وأحست بشفتيه فوق خدها .. وأحست بشاربه يدغدغ أعصابها .. وارتجفت .. لا .. إنها لا تريد أن تنتحر .. ستبعد إسماعيل عنها .. ستفضح له خطتها .. ستقول له إن عمر سيعود ليفاجئهما بعد خمس دقائق .. بعد أربع دقائق ..

ولكنها سكتت .. إن دافعا آخر يدفعها إلى أن تستمر فى خطتها .. ستكون هذه هى آخر مرة يعتدى فيها عليها إسماعيل .. وبعدها ستتخلص منه .. وستتخلص من خطيئتها .. وتعود طاهرة كما كانت ..

والتفت ذراعا إسماعيل حول خصرها .. وحواسها كلها متجهة إلى الباب .. لعل عمر واقف الآن خلفه ..

واشتدت رعدتها ، وقالت فى صوت خافت :

- لا يا إسماعيل .. لا ..

وقال إسماعيل وهو يضمها بقسوة :

- إنتى وحشانى يا وفية .. وحشانى موت ..

وحواسها كلها متجهة إلى الباب .. إن زوجها سيدخل الآن .. بعد دقيقة واحدة .. لعله وضع المفتاح فى القفل ..

وامتدت أصابع إسماعيل تعبث بأطراف ثوبها ..

إن زوجها لم يدخل ..

لقد تأخر ..

وازاحت إسماعيل عنها برفق ، وعادت تقول :

- لا يا إسماعيل .. مش وقته !

وقال إسماعيل وهو يلتقط شفتيها :

- علشان خاطرى يا وفية ..

إنها تريد أن تعطى فرصة أكثر لزوجها .. ولكنه تأخر .. هذا المغفل يجب أن يدخل الآن .. إنها تحس بالضعف يسرى فى أعصابها .. تحس بأنفاس إسماعيل تذيبها .. يجب أن يأتى زوجها .. لينقذها .. ليحميها .. و ..

وازدحمت أعصابها بالخوف .. والضعف .. والتربص .. وحواسها موزعة بين انتظار زوجها وأنفاس إسماعيل .. فانبثقت الدموع من عينيها .. ودموع أكثر .. وأكثر .. وأكثر ..

ولم يدخل الزوج ..

وتركها إسماعيل ملقاة على الأرض كأنا ثوب فى حاجة إلى كواء ، ونهران من الدموع قد جفا فوق خديها ..

وقال وهو يساوى شعره ويلتقط أنفاسه :

- أنا حانزل دلوقت .. وأبقى قولى لعمر إنى مستنيه فى أتنيوس .

ولم ترد ..

وخرج ..

وانكفأت على وجهها تبكى .. بكت كثيرا .. ثم قامت وأمارات تصميم أهوج تملأ عينيها وتكسو وجهها بطابع الثورة .. ودخلت إلى غرفتها ، وأخرجت حقيبة السفر ، والقت فيها ببعض ثيابها ، ثم أغلقتها وحملتها فى يدها ، وخرجت .. وما كادت تقترب من باب الشقة حتى التقت بزوجها داخلا ..

ونظر إلى الثورة المرتسمة على وجهها ، وإلى الحقيبة فى

يدها ، وإلى ثوبها الذى يحتاج إلى كواء ، وقال فى دهشة :

– على فين .. إيه اللى حصل !

قالت فى حدة :

– مالكش دعوة !

وازاحتـه من طريقهـا وخرجت من الباب ، فلـحق بها وهو يصيح في ذعر :

– مش بس تفهمينى إيه اللى حصل ؟

قالت وهى تجرى على السلم :

– مش حاتفهم .. وعمرك ما حاتفهم ..

وجرى وراءها صائحا :

– وفية .. وفية !

ووقفت على السلم تنظر إليه بعينين مجنونتين وقالت :

– خليك عندك .. لو قربت خطوة واحدة بعـد كده .. حارمى نفـسى من السلم .. حامـوت نفـسى .. وحيـاة مامـا حامـوت نفسى !

قال وهو يكاد يبكى :

– بس قولى لى رايحة فين ؟

قالت وهى تجرى على السلم :

– رايحة عند ماما .. مسافرة مصر ..

●●●

وفى اليوم التالى دق جرس التليفون فى بيت أمها ، ورفعت وفية سماعة التليفون وسمعت صوت زوجها .. وهمت أن تلقى بالسماعة فى وجهه ولكنها سمعته يقول :

– وفية .. أنـا جيت دلوقت من اسكندرية ، وإسماعـيل قال لى على كل حاجة ..

وخفق قلبها .. ارتجفت .. هل اعترف له إسماعيل ؟

وقالت فى صوت مبهور برجفتها :

– قال لك إيه ؟

قال كأنه يتوسل إليها :

– قال لى إنك افتكرت إن الجواب الأزرق اللى جالى كان من واحدة ست .. وعلشان كده زعلت .. وأحلفلك يا وفية إن ..

وظلت ممسكة بسماعة التليفون ، وهى تقاوم فى بحر من الغيظ والحنق ، ثم صرخت :

– ابعد عنى .. مش عايزة أسمع صوتك .. مش عايزة أشوفك .. طلقنى .. طلقنى .. طلقنـ .. ى .. ى .. ى ..

وألقت سماعة التليفون من يدها كأنها تلقى بجمرة نار ..

وجاء زوجها إلى البيت ، ورفضت أن تقابله ..

وجاء فى المساء ومعه إسماعيل ، فرفضت أن تقابلهما .. ورفضت أن ترد على أحدهما فى التليفون ..

إنها تريد الطلاق .. وأمها وأبوها وكل من حولها فى ذهول .. إنها لا تقول أسبابا تكفى للطلاق .. إنها فقط لا تحبه.. لا تحتمله .. لا تطيقه ..

وقررت عائلتها أن تتركها فترة لعلها تهدأ .. ولعل ازمتها تخف .

ومضى أسبوع وهى سجينة غرفتها .. لا تخرج .. ولا تلتقى بأحد إلا بصديقتها عفت .. كانت تبكى .. تبكى كثيرا .. ولم تكن تبكى زوجها .. ولا تبكى إسماعيل .. إنها تكرهه . ولكنها كانت تبكى شيئا تعرفه جيدا .. كانت تبكى حنينها إلى ضعفها .. إنها أشبه بمدمن المخدرات الذى حرم من المخدر .. إنها تتعذب .. وتتألم .. تمر عليها فترات تكاد تجن

فيها ، وهى تعلم سر عذابها ، تعلم ما تحتاج إليه . ولكنها تقاوم ..وتقاوم .. إلى متى تستطيع أن تقاوم .. إلى متى ؟ إنها أحيانا تحس بأنها على وشك أن تخرج من البيت وتجرى فى الشارع إلى بيت زوجها .. هناك ، حيث تجد الزوج الذى تكرهه ، والعشيق الذى تكرهه ، ونفسها التى تكرهها .. تجد الغيظ ، والندم ، والمهانة ، والضعف ، والدموع التى تنبثق من عينيها قبل أن تستسلم ..

ولكنها تقاوم .. وقد عادت تصلى ، وتسقط دموعها فوق سجادة الصلاة كلما سجدت .. لعل الله يرحمها ، يرحمها من ضعفها ..

واتصلت بها صديقتها عفت فى التليفون ، وقالت :

– انتى النهاردة تجيلى .. أنا زرتك ميت مرة ، وأنتى مازرتنيش ولا مرة ، وكمان أنا مش عاجبانى الحبسة الى انتى حابسة نفسك فيها دى ..

وقالت وفية فى ضعف :

– حاضر ..

وقالت عفت :

– حاتيجى أمتى ؟

قالت وهى تزداد ضعفا :

– النهارده بعد الضهر ..

وذهبت إلى صديقتها عفت .. وكانت المرة الأولى التى تخرج فيها من البيت منذ عادت من الإسكندرية ، وكانت ضعيفة باهتة ، كأن دماءها صفراء .. وكانت تسير فى هزال كأن الأرض من تحتها حبل رفيع تهتز فوقه ..

واستقبلتها عفت مهللة .. وقادتها إلى الصالون ، وما كادت

تجلس ، حتى دخل إسماعيل ، وما كادت تراه حتى انتفضت واقفة وصاحت كأنها رأت شبحا :

– لأ .. لأ ..

وقالت عفت وبين شفتيها ابتسامة طيبة :

– أنا اتفقت مع إسماعيل أنه ييجى يقنعك ترجعى بيتك .. بس ما تبقيش عنيدة .. كفاية بأه ..

وظلت وفية واقفة تتلفت حولها كأنها تبحث عن ثغرة تهرب منها وإسماعيل واقف قبالتها ، وبين شفتيه ابتسامة ثابتة لا تهتز .. واستطردت عفت قائلة :

– أنا حاسيبكم مع بعض .. ومش حارجع إلا لما تقولى لى إنك راجعة بيتك ..

وعادت وفية تصيح :

– لأ .. لأ يا عفت ، ما تسبنيش لوحدى إعملى معروف ..

وابتسمت عفت ابتسامتها الطيبة وخرجت وأغلقت الباب وراءها ..

واقترب إسماعيل ..

واقترب أكثر ..

ونظرت فى عينيه السود .. بحر من الظلام يتماوج فى صمت ..

وانبثقت الدموع من عينيها قبل أن يلمسها .. وقالت فى توسل وضعف :

– حرام عليك يا إسماعيل .. حرام عليك ..

وكانت تعرف أنها ستستسلم ..

●●●

وعادت فى سيارة إسماعيل ، وجسدها ملقى بجانبه كأنه

ثوب فى حاجة إلى كواء ، ونهران من الدموع قد جفا فوق خديها ..

عادت إلى بيت زوجها ..

ودخلته وهى تبكى ..

تبكى ضعفها ..

ونظر إليها زوجها بعينين ملؤهما الحب وتركها تدخل غرفتها دون أن تحييه ، ثم نظر إلى صديقه نظرة امتنان ، وشد على يده هامسا :

– متشكر يا إسماعيل .. متشكر .. أنا مش عارف أشكرك إزاى ..



البنات والصيف



البنت الرابعة

١

كانت العائلة تسير كالطابور العسكرى فى طريقها إلى شاطىء سبورتنج ..

فى المقدمة ، تسير فتحية الخادمة .. فتاة سمراء فى الثامنة عشرة ، يرتع الشباب والصحة في أعطافها .. تحمل فوق رأسها شمسية كبيرة مطوية ، وتعلق فى ذراعها اليسرى مقعدين صغيرين من مقاعد الشاطىء ، وتمسك بيدها اليمنى ، يد طفل فى الخامسة من عمره .

وخلفها ، تسير الزوجة .. سيدة فى الثامنة والثلاثين .. ترتسم الطيبة على وجهها الخالى من المساحيق .. سمينة ، تكاد تعجز عن حمل جسدها .. وقد ارتدت ثوبا من « البوبلين » يصلح للصباح والمساء ، وللنوم .. وضعت فى قدميها حذاء بلا كعب .. وأمسكت بإحدى يديها حقيبة كبيرة تبدو منها « مايوهات » العائلة ، وفوط الاستحمام ، وعلبة كبيرة من الصفيح تفوح منها رائحة الكعك والبكسويت و « المنين » .. وارتكزت بذراعها الأخرى فوق كتفى ابنتها .. فتاة رفيعة هزيلة فى الحادية عشرة من عمرها ، تحمل مقعدين آخرين من مقاعد الشاطىء ..

وفى المؤخرة يسير الزوج .. رب العائلة .. الاستاذ محمد محمد فرغل .. فى الخامسة والأربعين من عمره .. يرتدى

قميصا أبيض ، وبنطلونا قصيرا يبرز خطوط كرشه الضخم .. ووجهه منتفخ .. كل شيء فيه منتفخ .. جفناه منتفخان ، وأنفه منتفخ ، وشفتاه منتفختان ، ووجنتاه كبالونتين حمراوين من « البالون » الذى يلعب به الأطفال .. وفى يده منشة ، وتحت إبطه جريدة الأهرام .. وعيناه تتبعان ساقى فتحية الخادمة ..

وصاح الأستاذ فرغل وعيناه لا تزالان فوق ساقى فتحية .. صاح كأنه ينهر نفسه :

– إمشى كويس يا بت يا فتحية .. مالك ماشية زى العامية كده .. حاسبى الشمسية تتخبط فى وش حد ..

ولم ترد فتحية ، ولم تلتفت إليه ، إنما جذبت الطفل الصغير من يده جذبة قوية قاسية ، وصاحت فى همس حتى لا يسمعها أحد :

– ما تمشى كويس يا سى ميمى .. ما تتعبش قلبى !

ووصلت العائلة إلى شارع الكورنيش ، وصاح الأستاذ فرغل كأنه يصدر أمرا عسكريا :

– استنوا شوية !

واصطف أفراد العائلة على حافة الرصيف ، الواحد بجانب الآخر ، وعيونهم تلهث وراء السيارات الغادية والرائحة فى جنون ! وقد كتموا أنفاسهم كأنهم مقبلون على مجازفة كبرى .. وأدار الاستاذ فرغل رأسه يمينا ويسارا ، وفى عينيه نظرات ساخطة كأنه يلعن كل سيارة تمر به .. ثم أمسك بذراع زوجته،وصرخ فجأة كأنه يلقى أمرا للجيش الصغير بالهجوم :

– عدّوا ..

وجرى أفراد العائلة فى إرتباك يعبرون الشارع ، والاستاذ فرغل لا يزال يصيح :

– أجرى يا بت يا فتحيـة .. أمسكى ايد الواد كويس .. مدى شوية يا زهيرة .. حاسبى على الشنطة اللى فى إيدك ..

ووصل أفراد العائلة سالمين إلى الرصيف المقابل .. وتبادلوا الابتسـامات كـأنهم يهنئون بعـضـهم البعض .. والتـفت الطفل الصـغيـر إلى الشـارع الذى عبره فى تطلع وخـوف كأنه يبحث عن آثار أقدامه ليـستدل بها عندما يعبـر الشارع مرة أخرى .. ثم اتجـه الجمـيع إلى السـلم الذى يؤدى إلى رمال الشـاطىء ، ولا يزال كل منهم يهنىء نفسه فى أعماقه بالسلامة ..

ورفعت فتحية الشمسـية الكبيرة من فوق رأسها والقت بها على الرمل كأنهـا تتخلص من شىء يكتم أنفاسـها .. ثم نزعت عن ذراعها المقعدين اللذين كانت تحـملهما ، ثم شدت جسدها ، وصوبت نهـديها إلى الأمام كـأنها تسـترد شبـابها .. ثم علت شفتيـها ابتسامة صغـيرة ، وانحنت تلتقط عامود الشـمسية ، وهمت أن تغرزه فى الرمل ، فصاح الاستاذ فرغل :

– مش هنا .. قدام شوية .

واختـفت ابتسـامة فـتحيـة ، ورفعت إليـه عينين تضـجان بالغيظ ، وقالت :

– ما هو هنا كويس يا سيدى ..

وصاح الاستاذ فرغل :

– اسمعى الكلام يا بت .. باقول لك قدام شوية ..

وتقلص وجه فتـحية كأن ريحا كريهة هبـت عليها ، وعادت تنحنى على الأرض وترفع الـشمـسيـة والمقـعدين .. وسـارت بضع خطوات ، ثم التـفتت إلى الأسـتـاذ فرغل وقالت فى حـقد يكاد يكون صراخا :

– فين ؟!

وتقدم الاستاذ فرغل بضع خطوات ، ثم أشار بقدمه إلى مكان من الرمل ، وقال وهو يهز المنشة فى الهواء :

– هنا بس تبتيها كويس ..

وأسقطت فتحية الشمسية على الأرض كأنها تسقطها فوق رأس فرغل ، ثم ألقت بالمقعدين ، وتعمدت أن يسقط أحدهما فوق قدمه .. فسحب الأستاذ فرغل قدمه بسرعة ، وصرخ فى وجهها :

– ما تفتّحى يا بت .. ولا عميتى خلاص .. داهية تاخدك وتاخد أمثالك ..

وقالت فتحية وهى تلتقط عامود الشمسية وتبتسم فى سرها :

– معلهش يا سيدى .. غصب عنى ..

ثم أخذت تغرز عامود الشمسية فى الرمل ، وبقية أفراد العائلة ملتفون حولها دون أن يحاول أحد منهم مساعدتها .. ثم ثبتت الشمسية فى العامود ، وفتحتها ، ووضعت تحتها المقاعد الصغيرة ..

وجلست زهيرة وقد وضعت حقيبتها الكبيرة بين قدميها ، وعرضت وجهها لهواء البحر ، وابتسمت ابتسامة كبيرة ساذجة كأنها أسعد امرأة فى العالم .. وجلس بجانبها الأستاذ فرغل بعد أن ضرب ساقى فتحية بلمحة سريعة من عينيه المنتفختين .. وجلست سميرة بجانب أمها .. وأخذ الطفل الصغير يلعب بالرمل .. ووقفت فتحية تصلح من وضع المنديل فوق رأسها وتساوى خصلات شعرها ، وتتمايل بقوامها الممشوق مع الهواء ، ثم جلست على الرمل وطوت ساقيها تحتها ، وأخذت تتلفت حولها ، وتنظر إلى بعيد كأنها تبحث عن

شيء .. ثم ركزت عينيها فوق خيال منتصب في آخر الشاطيء كعامود من الدخان ، وابتسمت ابتسامة صغيرة كأن قلبها ارتجف وقذف برجفته إلى شفتيها ..

وأسقط الاستاذ فرغل عينيه فوق وجه فتحية .. وشرب بهما من بشرتها السمراء ، ومن عينيها المشروطتين ، ومن وجنتيها اللتين تضجان بالصحة والشباب ، ثم انزلق بعينيه إلى عنقها ، ثم إلى نهديها .. ثم أفاق إلى نفسه ، وأدار عينيه عن فتحية وقد اكتسى وجهه بخطوط اليأس والسخط .. وأخذ ينظر إلى مواكب المصيفين التي تمر أمامه .. إلى البنات .. عشرات من السيقان العارية .. والظهور العارية .. والصدور العارية .. وأبتلع ريقه ، وبلل لسانه بشفتيه .. إنه يحس بشيء يتلوى في صدره .. يحس بأن خلف ضلوعه سجينا يصرخ ويحاول أن يحطم القضبان .. يحطم ضلوعه .. وينطلق .. ينطلق وراء العرايا .. يقبل كل ساق ، ويقبض على كل نهد ، ويذوب في الأجساد ..

إنه لم يعد يحتمل .. وإذا كان يستطيع أن يحتمل كل هؤلاء العرايا ، فهو لا يستطيع أن يحتمل فتحية .. إنها معه في البيت ، تتمايل أمامه كبندول الساعة ، وتدق الثواني على أعصابه دقات منتظمة .. رتيبة .. تبعث الجنون في رأسه ..

والتفت إلى زوجته .. إلى جسدها المترهل ولحمها الساقط من فوق ذراعيها ، ثم اجتاحت نفسه موجة من الاشفاق والقرف .. الشفقة على نفسه ، والقرف من نفسه ..

وقالت سميرة وهي تكاد تهمس :

– أقوم أتمشى شوية يا ماما ؟

وسمع الأستاذ فرغل همسة ابنته فصاح في حدة :

- تتمشى تروحى فين ؟

وقالت سميرة وعيناها مذعورتان :

- أتمشى على البحر يا بابا ..

وقال فرغل وهو لا يزال محتدا :

- ما البحر قدامك أهو .. هو البحر اللى فى الناحية التانية ، غير البحر اللى هنا ..

وقالت زهيرة وهى تصد غضب زوجها بابتسامتها الطيبة :

- ما أنت قاعدة يا سميرة .. وبلا تعب رجلين .. وآدى انتى بتتمشى على الكورنيش بعد الضهر ..

وانطوت سميرة صامتة ..

ومضت فترة ، وقد عادت عينا الأستاذ فرغل تتبعان العرايا ، وتسقطان على وجه فتحية ..

وشدت زهيرة العلبة الصفيح من حقيبتها ، وبدأت تفتحها .. وقالت وهى تحاول إغراء زوجها :

- تاخد شوية منين يا محمد ..

وامتعض وجه الاستاذ فرغل ، وقال فى قرف :

- يا شيخة ، هوه أحنا لحقنا نهضم الفطار ..

وقالت زهيرة وهى تمد يدها إليه بقطع المنين :

- هوه هوا البحر بيخلى حاجة .. خد دول من إيدى ، ما تكسفنيش !

ومد الاستاذ فرغل يده ، وأخذ قطع المنين ، وألقى واحدة منها فى فمه ، دون أن يبدو عليه أنه يذوق لها طعما .. إنه لم يعد له من حياته سوى أن يأكل .. يأكل الافطار .. ويأكل بعد الافطار .. ويأكل الغداء .. ويأكل بعد الغداء .. ويأكل العشاء .. ويأكل بعد العشاء .. إن طريق المتعة الوحيدة فى

حياته أصبح الطريق إلى معـدته .. وقد سئم هذه المتعة .. حتى زوجتـه أصبـحت وجبـة منتظمـة من الطعام يقـبل عليهـا بلا نفس .. اصـبحت كـالعيش البـايت ، يأكله لأنه لا يسـتطيع أن يلقى به فى صفيحة الزبالة .

وأعطت زهيـرة قطـعـة من الكعك لكل من ابنـتـهـا وابنهـا الصغير .. ثم مـدت يدها بكعكة كاملة لفتحية وهـى تبتسم لها ابتسامتها الطيبة .. وأخذتها فتحية فى لهفة ، واحتفظت بها فى يدها .. وصاح الأستاذ فرغل وهو ينظر إلى فتحية :

– ما تاكلى يا بت ..

وقالت فتحية فى خوف :

– معلهش يا سيدى .. حاكلهـا كمان شوية .. أصلى ماليش نفس ..

وصرخ فرغل :

– مـالكيش نفس للكـعك .. أمـال لك نفس لايه .. للفـجل .. للطين .. للزفت ..

وسكتت فتحية ..

وقـالت زهيـرة وهى تحاول مـرة أخـرى أن تهـدىء ثائرة زوجها :

– قومى يا فتحية لبسى ميمى المايوه ، وانزلى بيه البحر ..

والتمـع وجه فتـحيـة فرحـا .. وقفـزت واقفة فـى نشاط ، واخذت « المايوه » من يد سيدتها ، ثم احـتضنت الولد الصغير وضمـته إلى صـدرها فى حنان ، وأخذت تخلع عنه ثـيابه فى رقة ورفق ، ثم البـسته المايوه .. وأخـذته فى يدها متجـهة إلى البحر ، كأنها تسير مع حبيبها ..

وصل فرغل وراءها :

– ما تروحيش بعيد .. خليكي قدام عنينا ..
وقالت فى صوت روتينى دون أن تلتفت إليه :
– حاضر ..
وصاحت زهيرة :
– أوعى تسيبى الواد من إيديك ..
وقالت فى نفس الصوت الروتينى :
– حاضر ..
وظل فرغل يتبع فتحية ويمسح ظهرها بعينيه ، ثم التفت إلى زوجته فجأة وقال :
– البت دى ما بقتش تنفع خلاص .. بقت ممرقعة ولعبية ومش ناوية تجيبها البر ..
ونظرت إليه زهيرة نظرة مسكينة ، وقالت فى توسل :
– والنبى ابدا يا خويا .. دى بت شاطره وزى اللهلوبة .. أنا عمرى ما استريحت فى واحدة زى ما استريحت فى البت دى..
وقال فرغل وهو يضرب الهواء بمنشته :
– انتى اللى قلبك طيب .. أنا متأكد أنها حرامية كمان .. بتسرق الأكل .. مش شايفاها بتتخن إزاى .. تلاقيها بتاكل أكل العيال ..
وقالت زهيرة :
– حقه كله إلا أمانتها .. ده أنا باسيب لها الدواليب كلها مفتحة ، وعمر ما إيديها اتمدت على حاجة .. والنبى دى بنت لقطة .
وقال فرغل وهو يدير وجهه إلى الناحية الأخرى :
– أنا مش مستريح لها .. وبكره حاتشوفى .
وقالت زهيرة :

- هوه حد لاقى خدامين اليومين دول يا محمد .. ده أنا باحسد نفسى عليها ..

ورفع فرغل عينيه المنتفختين ، وأخذ يبحث بهما عن فتحية..

●●●

ورفعت فتحية ثوبها وضمته فى يدها التى لا تزال ممسكة بالكعكة ، ثم خاضت بساقيها العاريتين فى مياه البحر ، وفى يدها الأخرى الطفل الصغير .. ثم رفعت رأسها ونظرت ناحية شمسية العائلة ، وخيل إليها أن أحدا لا يرقبها .. فجذبت الطفل وسارت به عدة خطوات إلى الناحية الأخرى من الشمسية ، ثم أخذت تبحث بعينيها عن شىء .. عن وجه بين وجوه الناس .

وفجأة ارتفع من خلفها صوت قوى :

- صباح الخير يا فتحية ..

وأحست كأن الصوت ينبعث من داخلها .. ثم يرتفع حتى يستقر خلف أذنيها .. وارتبكت .. واهتزت ساقاها العاريتان وسط الماء .. وطأطأت رأسها ، ثم قالت مخاطبة الطفل :

- أقعد كده فى الميه يا سى ميمى .. أيوه كده !

ثم رفعت رأسها فى بطء ، واستدارت قائلة :

- صباح الخير يا سى حسنين ..

ووقفت قبالته وعيناها ترتعشان فوق وجهه .. وخيل إليها أنه طويل .. طويل جدا .. وأسمر جدا .. وسرواله الأسود ، وفانلته الزرقاء ، والقبعة البيضاء المصنوعة من القماش التى يضعها فوق رأسه .. إنه حلم .. إنه قوى .. إنه موظف حكومة .. إنه عامل الإنقاذ .. وأحست كأنها تهم أن ترتمى فوق صدره ، وتصيح : « والنبى تنقذنى يا سى حسنين » ..

- يعنى ما حدش شافك إمبارح يا فتحية ..

وقالت وعيناها لا تزالان ترتعشان :

- والنبى ما قدرتش يا سى حسنين .. أصل الأفندى بتاعنا لما بيقعد فى البيت بيكتم نفس كل اللى فيه ..

وقال حسنين وهو يمط شفتيه كأنه يهم بأن يبصق على الأرض :

- ده باين عليه أفندى كشر ومعقد .. يعنى ما لقيتش إلا الناس دول اللى تشتغلى عندهم .. هم بيدوكى كام ؟

قالت وكأنها تهبه كل ما تملك :

- ميتين وخمسين قرش .. إنما الست طيبة قوى !

وقال حسنين فى قرف :

- ميتين وخمسين قرش بس .. حد اليومين دول يشتغل بميتين وخمسين .. تعالى وأنا أوديكى عند ناس يدوكى أربعة جنيه ..

وقالت فتحية وهى ترخى عينيها :

- زى ما أنت عاوز يا سى حسنين .. إنما والنبى الست بتاعتنا طيبة قوى ..

وقال حسنين فى كبرياء أشبه بالقسوة :

- وحانشوفك النهاردة بعد الضهر ، ولا إيه ؟

قالت كأنها تتباهى بذكائها :

- أيوه .. بإذن الله .. أصلى النهاردة حانزل أجيب المكوا من عند المكوجى ، وحابقى أفوت عليك ..

وقال حسنين :

- طيب .. لما نشوف ..

وسكتت فتحية برهة ، ثم مدت يدها بالكعكة التى احتفظت بها ، وقالت فى حياء :

– خد دى منى والنبى يا سى حسنين .. ده أنا اللى عاملاها بايدى ..

وأخذ حسنين الكعكة فى يده وقلبها بين يده ، ثم قربها من أنفه وشمها ، وقال وهو يبتسم ابتسامة صغيرة :

– حلوة من إيدك يا فتحية .. متشكرين ..

ووضع الكعكة بين أسنانه القوية ، وقضمها .. ثم أدار ظهره لها وسار فى خطوات منتظمة كأنه يسير على دقات قلبها .. وأخذت تتبعه بعينين مبهورتين ، كأنما تتبع حلما يطل عليها من طاقة السماء فى ليلة القدر .. ثم تنهدت وأستدارت والتقطت يد الطفل قائلة :

– كفاية بأه يا سى ميمى .. ياللا .. أحسن بابا زمانه بيزعق !

وشدت الطفل من يده وعادت إلى الشمسية ، واستقبلها الاستاذ فرغل صارخا :

– كنتى بتتمرقعى مع الغطاس بتقولى إيه ؟

قالت :

– أبدا والنبى يا سيدى .. ده كان بيوصينى على سى ميمى .. وبيقول لى آخد بالى منه .. كل الغطاسين كده .. بياخدوا بالهم من العيال ..

وعاد الأستاذ فرغل يصرخ :

– بياخدوا بالهم من العيال ، ولا من خدامات العيال .. الله يقطعهم ويقطعكم .. تانى مرة أشوفك بتتمرقعى حا أقطم رقبتك .. فاهمة !

وقالت زهيرة وهى تفرد فوطة الاستحمام :

– خدى نشفى ميمى قبل ما يبرد ..

وشدت فتحية الفوطة من يد سيدتها فى عنف ، وأخذت تنشف الماء من فوق جسد الولد الصغير ، ثم بدأت تلبسه ثيابه !

وصاح الأستاذ فرغل :

– يا للا بينا .. كفاية كده !

وجمعت العائلة حوائجها ، وطوت فتحية الشمسية وحملتها فوق رأسها ، وعلقت المقعدين فى ذراعها ، وأمسكت بيدها الأخرى يد الطفل الصغير ..

وسارت العائلة فى طابور عسكرى .. والاستاذ فرغل فى المؤخرة ، وعيناه ساقطتان فوق ساقى فتحية .

●●●

وفى الساعة الرابعة بعد الظهر كانت فتحية جالسة فى المطبخ ، وأذناها مصوبتان إلى حجرة النوم حيث تجلس سيدتها .. إنها تنتظر أن تسمع نداءها ، لتأمرها بأن تذهب إلى المكوجى وتعود بقمصان الأستاذ فرغل ..

ومضت ربع ساعة .. ونصف ساعة .. وسيدتها لا تناديها ، وهى لا تريد أن تنبه سيدتها إلى ضرورة ذهابها إلى المكوجى ، حتى لا تثير شكوكها .. ولكنها لم تعد تستطيع الصبر .. يجب أن تخرج من البيت حالا .. إن حسنين فى انتظارها ..

وقامت تتسلل على أطراف أصابعها .. واتجهت إلى غرفة النوم ، وأطلت فيها .. إن الاستاذ فرغل نائم وسيدتها جالسة على الأريكة ترتق فى جورب ..

وأشارت لسيدتها بيدها ، وهى تقول فى همس :

– ستى .. ستى .. تسمحى فى كلمة .. ونظرت إليها

سيدتها ، وهمست حتى لا توقظ زوجها :
– عايزة إيه يا بت ..
وهمست فتحية :
– كلمة واحدة بس ..
وقامت زهيرة فى تثاقل ، كأنها صنعت فى عروقها « ونشا » يرفع جسدها الثقيل ، واقتربت من فتحية وهى تهمس:
– عايزة إيه ..
وقالت فتحية :
– مش أروح أجيب قمصان سيدى ، قبل ما يقوم من النوم ويزعق لنا .. ده ما بقاش عنده ولا قميص ..
وقالت زهيرة فى فرحة كأنها تذكرت شيئا هاما :
– آه والنبى ، فكرتينى .. أخطفى رجلك روحى للمكوجى ، وافضلى واقفة على أيده لغاية ما يخلص القمصان .. بس ما تتأخريش .. أحسن لو صحى الأستاذ وما لقاش القمصان حايهبب عيشتنا كلنا ..
وانطلقت الفرحة على وجه فتحية .. وعادت إلى المطبخ ، وخلعت ثوبها وارتدت الثوب الوحيد الآخر .. ثوب أزرق فيه ورود بيضاء .. ووضعت فى قدميها الحذاء الوحيد الذى تملكه .. حذاء قديم أسود ، ذو كعب مرتفع نصف ارتفاع .. وقد انثنت أطرافه من كثرة اهتزازها فوقه كلما سارت به .. ثم دخلت الحمام ووقفت أمام المرآة المشروخة المعلقة فوق الحوض ، وأخذت تساوى شعرها ، وتقرص وجنتيها حتى تزدادا إحمرارا .. ثم وضعت المنديل « أبو أويه » فوق رأسها ، دون أن تربطه ..
ونزلت .. وقبل أن تخرج من باب العمارة ، رفعت المنديل

عن رأسها ، وكورته في يدها .. وسارت في الشارع مكشوفة الرأس .. واتجهت إلى المكوجى ، وجسدها الناضج يهتز فوق حذائها البالى ذى الكعب العالى .

ووقفت أمام دكان المكوجى ، وقالت فى دلال :

– العواف يا أسطى إبراهيم ..

ولعبت حواجب الأسطى إبراهيم فوق عينيه ، وقال :

– يا ميت فل على شربات الخروب .. يا أسمر يا أسمرانى.. يا طعم ..

وقالت وهى تشيح بوجهها كأنها ترفض غزله :

– خلصت القمصان بتوعنا ؟

وقال الأسطى إبراهيم بلهجته الاسكندرانية وهو يلقى المكواة من يده :

– ده انتي اللى خلصتينى .. ما يللا بأه يا جميل .. نجيبو المأذون ؟!

وقالت فتحية وهى تتثنى :

– والنبى بلاش كلام من ده يا أسطى إبراهيم .. قول لى .. خلصت المكوا !

وعاد إبراهيم يقول :

– آه منك يا كاوينى .. تخلص علشان العيون السود !

وقالت فتحية :

– طيب حافوت عليك بعد عشر دقايق .. بس تكون خلصت .. أحسن البيه بتاعنا مستعجل قوى ..

وقال إبراهيم فى يأس :

– ما تخليكى واقفة علشان المكوة تسخن قوام ..

قالت :

– لا والنبى .. أصل لسه ورايا مشوار ..

وقال إبراهيم :

– أمتى بأه حا أبقى مشوار من مشاويرك ..

وابتعدت فتحية وهى تبتسم ، وأطل وراءها الأسطى إبراهيم من باب دكانه .. وسارت إلى شارع الكورنيش .. إنها تحس أنها سيدة .. إنها حرة .. تحس أنها مهمة .. الأسطى إبراهيم يغازلها .. وبائع اللب يبحلق فيها .. وعسكرى البوليس يبرم لها شواربه .. إنها ملكة فى هذا العالم .. عالم ليس فيه اسياد ..

وخفت قلبها وهى تقترب من السلم المؤدى إلى الشاطىء ، ونزلته فى خفة وحياء ، كأنها عروس تزف إلى عريسها .. ثم رفعت عينيها تبحث عنها .. عن حلمها .. إنه واقف بعيد بجوار قارب النجاه ، منتصبا كعمود الدخان ..

واقتربت من القارب ، ولفت حوله ثم واجهت حسنين وقلبها يضرب فى صدرها ويقذف الدماء إلى وجنتيها ، ثم قالت فى صوت خفيض :

– مسا الخير يا سى حسنين ..

والتفت حسنين إليها ، وارتفعت ابتسامة صغيرة إلى شفتيه ، وقال فى صوت قوى :

– مسا النور يا فتحية .. ده أنا كنت خايف ما تجيش ..

ثم مد يده والتقط يدها .. ونظرت إليه تقبله بعينيها ، وقالت :

– ده والنبى لو كان على قطع رقبتى ، برضه كنت جيت ..

وقال حسنين وهو ينظر إليها فى حنان :

– سلامة رقبتك .. أقعدى يا فتحية !

وجلست فتحية ؛ وطوت ساقيها تحت قدميها ، واستندت إلى جدار قارب النجاة .. وجلس بجانبها حسنين .. وأخذ كلاهما يعبث بأصابعه في الرمل ..

ومرت بينهما فترة صمت .. ثم قالت فتحية :

– وإزاى الحال يا سى حسنين ..

وقال حسنين وهو لا ينظر إليها :

– زى ما هو يا فتحية .. يعنى حيكون حالى إيه .. تلاتة جنيه فى الشهر ، وبعد شهرين ينتهى الموسم والبلدية تستغنى عنا ، وأبقى خالى شغل .. يبقى ده حال ده ..

وقالت فتحية وهى تحيطه بأنفاسها كأنها تحميه من حاله :

– بكره تلاقى شغل يا خويا .. ده انت تشتغل أحسن شغلانة !

وقال فى يأس :

– يعنى حاتشغلينى عندك يا فتحية .. انتى ما تعرفيش حال الدنيا إيه .. الدنيا وحشة يا فتحية .. لو كان الواحد يقدر يتلم على عشرة جنيه بس ، كنت فتحت دكان سجاير ، وجبت صندوق كوكاكولا .. وكسبت تلاتين قرش فى اليوم .. وكنت قدرت أتجوز ويبقى لى بيت .. إنما لو قعدت أحوش عشر سنين مش حاقدر أحوش عشرة جنيه ..

وقالت فتحية وهى تمصمص شفتيها فى إشفاق وتضع يدها تحت ذقنها :

– بكره تلاقيهم يا حسنين .. وتتجوز !

وقال حسنين :

– واللى حاتجوزها حاتقدر تستنى لما ألاقى العشرة جنيه ..

وقالت فتحية فورا :

– تستناك يا حسنين .. تستناك طول العمر !
وابتسم حسنين ابتسامة ساخرة ، وقال وهو يهز كتفيه :
– أهو كلام ..
وقالت فتحية وهى تنكس رأسها :
– والنبى تستناك ..
ولم يجب حسنين .. سادت بينهما فترة صمت .. وسرح عقل فتحية .. إنها ليست المرة الأولى التى تسمع فيها حسنين يشكو حاله .. وليست المرة الأولى التى يطلعها على مشروعه .. مشروعه الذى يحتاج إلى عشرة جنيهات .. وبعدها يتزوج ..
وأخذ عقل فتحية يدور باحثا عن عشرة جنيهات تعطيها لحسنين ، لينفذ مشروعه ويتزوجها .. هل تبيع جسدها بالثمن حتى تجمع من ورائه عشرة جنيهات .. إنها تعرف بنات كثيرات مثلها يشتغلن خادمات ويبعن أجسادهن .. بل إن لها صديقة تلح عليها بأن تصحبها فى سوق الأجساد .. ولكن .. هل يرضى حسنين أن يتزوجها بعد أن تبيع جسدها من أجله .. لا .. لا ، قطعا ..
ودار عقلها يبحث عن وسيلة أخرى لتحصل على العشرة جنيهات .. ثم استقر – كما استقر من قبل – على الساعة الذهبية الكبيرة ذات السلسلة العريضة التى يملكها الأستاذ فرغل .. وحاولت أن تطرد شبح هذه الساعة من ذهنها .. إنها لا تريد أن تكون لصة .. إنها لن تسرق .. ولكن شبح الساعة لا يزال فى ذهنها .. إنها تراها كأنها فى يدها .. وتراها معلقة فى صدر الأستاذ فرغل .. وتراها وهو يضعها تحت وسادته عندما ينام .. وتراها وهو يضعها فى درج الدولاب ويغلق عليها بالمفتاح قبل أن ينزل إلى الشاطىء.. و .. و .. ولكن ، لا ..

لا .. إنها لن تكون لصة .. إنها لن تسرق ..

وسمعت حسنين يقول لها ونبرات اليأس فى صوته :

– اللى زينا محكوم عليه يعيش عازب .. يفضل طول عمره لوحده .. ينام لوحده ، ويشقى لوحده ..

وقالت فى حب :

– ماتقولش كده يا حسنين ، بكره تتجوز ..

وقال كأنه يضايق من غبائها :

– نتجوز إزاى بس يا فتحية .. التلاتة جنيه حيعملوا لنا إيه.. وياريتهم تلاتة جنيه ، إلا بيفوت علينا تمان أشهر من غير شغل ..

وتنبهت فتحية إلى أنه قال « نتجوز » .. إنها المرة الأولى التى يصارحها فيها بأنه يعنيها هى بالذات بالزواج .. وعاد شبح الساعة الذهبية التى يملكها الأستاذ فرغل يهتز أمام عينيها ..

وقالت وهى ساهمة :

– ربنا معانا يا حسنين .. خللى عندك ثقة بالله ..

وقال حسنين وهو يجمع بيده حفنة من الرمل :

– ربنا ناسى الفقرا اليومين دول ..

قالت كأنها خافت الله :

– ماتقولش كده .. استغفر الله ..

– قال متهكما :

– وانتم حاتنزلوا من المصيف امتى !

قالت :

– آخر الشهر ..

قال وهو لا يزال يتهكم :

- كل سنة وانتى طيبة .. نشوفك السنة الجاية بخير ..

قالت وهى تميل عليه كأنها ستسقط فوق أحضانه :

- ما تخليش عندك فكر .. ربنا معانا ..

ثم قامت واقفة وهى تقول :

- أما أقوم بأه .. زمان الأستاذ صحى من النوم .. خليتك بعافية يا سى حسنين ..

وقال حسنين وهو يقوم معها :

- جته البلا أستاذ ..

ثم نظر إليها وأمسك بيدها ، وقال وهو يضغط عليها :

- نفسى يا فتحية .. نفسى موت ..

وقالت فتحية ووجهها يحتقن حياء :

- وأنا كمان والنبى يا سى حسنين ..

ثم جذبت يدها من يده ، وجرت فى دلال .. بعيدا عنه .. ثم سارت فى شارع الكورنيش متجهة إلى دكان المكوجى ، وشبح الساعة الذهبية يهتز أمام عينيها ..

ومد الأسطى إبراهيم يده بالقمصان المكوية إلى فتحية ، وحاجباه يلعبان فوق عينيه كأنه يتكلم بهما .. وقال :

- علشان خاطرك بس يا جميل .. الدور الجاى لما تيجى حتلاقيه هنا ..

وقالت فتحية :

- إيه هوه ده !

وقال الأسطى إبراهيم وضحكة كبيرة تملأ فمه :

- إحنا مش خلاص اتفقنا ..

وأطلق قهقهة ضخمة يودع بها فتحية ..

وسارت فتحية تحمل القمصان بين يديها .. وعاد شبح

الساعة الذهبية يهتز أمام عينيها ..

ودخلت العمارة ، وتمهلت قليلا إلى أن وضعت المنديل فوق رأسها ، ثم صعدت إلى الشقة ..

واستقبلها الأستاذ فرغل صارخا :

– كنت فين يا بت ..

وأحست أنها انتقلت من عالم الأحرار إلى عالم العبيد ، وقالت وهى لا تأبه بصراخ سيدها :

– ستى بعتتنى أجيب القمصان من عند المكوجى ..

وقال وهو لا يزال يصرخ :

– كل ده عند المكوجى .. ولا كنتى بتتمرقعى مع الرجالة .. بنات فاسدانين .. قليلات الحيا .. بايظين ..

ووضعت فتحية القمصان فوق السرير .. ثم خرجت من الغرفة دون أن ترد عليه .. وقبل أن تخرج لمحت الساعة الذهبية موضوعة بجانب السرير ، وأحست بقلبها يسقط فى معدتها ..

والتفت الأستاذ فرغل إلى زوجته وقال وهو يحاول أن يخفض من صوته :

– أنا مش مستريح للبت دى .. متهيألى أقوم انزلها مصر دلوقت حالا ..

وقالت زهيرة وهى تبتسم لزوجها فى توسل :

– ما تزعلش نفسك يا اخويا .. أهو نستحملها لغاية الصيف ما يخلص .. بدل ما نلوص ونفضل ندور على واحدة غيرها ..

●●●

وخرجت العائلة فى الساعة السابعة مساء .. وفتحية تسير فى المقدمة ممسكة بيدها يد الطفل الصغير .. وشبح الساعة

الذهبيـة لا يزال يهتز أمام عـينيها .. إن السـاعـة الآن فى جيب بنطلون الأسـتـاذ فـرغل .. فى الجيب الصـغيـر .. وسلسلتـها الذهبية العريضة ترسم نصف دائرة حول كرشه ..

وجلست العـائلة فـوق سـور الكورنيش .. الواحـد بجـانب الآخر .. وفتحية واقفة فى آخر الصف ، بجانب الولد الصغير..

ونادى الأسـتـاذ فرغل على بائع اللب ، واشـترى منه ثلاثة قراطيس ، وزعها على أفراد العائلة كل بحسب عمره .. وصرخ فى فتحية وهو يناولها نصيبها :

– خدى بالك أوعى سيدك ميمى ياكل القشر ..

وقالت فتحية :

– حاضر ..

وبدأت أسنان العـائلـة تقـزقز الـلب فى حـركـة منتظمـة ، وتبـصق القـشـر كأن أفـواههم مـتـرليـوزات فى أيدى جنود مـدربين على حسن الـنظام .. والأسـتـاذ فرغـل يتبع سـيقـان النسـاء .. ثم تنحرف عـيناه فتسقطان فـوق ساقى فـتحـية ، فيصرخ كأن ساقيها تنغرزان فى عينيه :

– أقفى كويس يا بت .. بلاش مرقعة .. جاتك البلا ..

وفرغت العائلة من قزقزة اللب ..

وانتظر الأسـتـاذ فرغل قليلا ، ثم هب واقفـا واتجه إلى بائع الأذرة المشـوية ، الذى يجلس على الأرض يشـوى الأذرة على موقد الفحم .. ووقف أمامه ينتقى كيزان الأذرة باهتمام بالغ .. كأنه ينتـقى حبـات من الماس .. ثم وقف يراقب عمليـة الشواء باهتمام أكـثر .. ثم عاد إلى العائلة يحمـل الكيزان المشوية بين يديه .. ووجهه صـامت .. لا تبـدو عليه فرحة ، ولا حزن .. إنه يعيش فى روتين كل يوم .. يأكل .. ثم يأكل .. وقد انتهى دور

اللب ، وسـيـنتهى دور الأذرة المـشوية .. وبعـد ذلك يأتى دور سندويتشات الفول .. ثم ينام ..

وقضم الأستاذ فرغل حـبات الأذرة بأسنانه ، وأخذ يمضغ فـيهـا ، كأن فى فـمـه آلة طحين .. لا تـحس لمـا تطحنه طعمـا ولا تتحمس لما تطحنه ..

ومر بائع البسميط والجبن ، وأشار الطفل بيده ، قائلا :

– عايز من ده !

ونقلت فتحية الرسالة إلى الأستاذ فرغل ، قائلة :

– سى ميمى عايز سميط ..

وقال الأستاذ فرغل :

– لا .. بلاش وجع بطن !

وقالت زهيرة :

– يا اخويا هات له سميطة من نفسه .. خليه يسمن شوية !

وقال الأستاذ فرغل :

– يا ستى السميط يوجع بطنه ..

قالت زهيرة :

– يعنى الـسـمـيط مـش زى سـاندويتش الفـــول .. ده أنا ما صدقت إن نفسه انفتحت على حاجة ..

وزفـر الأسـتـاذ فـرغل ، ثم دب يده فى جيـبـه ، واشـتـرى السميطة .. ثم ..

أكلت العـائلة سندويتـشــات الفول .. وعـادت إلى البـيـت .. وتتبعت عينا فـتحية الأستاذ فرغل وهو ينزع السـاعة الذهبية من جيب بـنطلونه ، ويضعهـا بجانب السـرير .. ثم دخلت إلى المطبخ ، وخلعت ثوب الخروج .. وارتدت الثـوب الذى تعمل به .. ثم فرشت لحافا قديما فوق بلاط المطبخ ، ونامت .. والساعة

الذهبية لا تزال تهتز أمام عينيها .. ووجه حسنين ..

وساد الهدوء في الشقة الصغيرة ..

الكل نيام .. ما عدا الأستاذ فرغل ..

إنه جالس في الشرفة مرتديا جلبابه .. وعشرات من السيقان التي رآها على الشاطيء تملأ خياله .. ثم تنحسر كل هذه السيقان من خياله ، ولا تبقى إلا ساقا فتحية .. إنها قريبة منه .. قريبة جدا .. إن هذه الشقة الصغيرة تكاد تلصقها به .. إنه يكاد يشعر بأنفاسها وهي نائمة في المطبخ .. إن أنفاسها تهب على وجهه وتحرق أعصابه .. أنفاس شابة .. فيها رائحة زكية .. أنفاس ساخنة ، فيها سخونة الشباب ، ودفئه .. ولذته ..

ونظرت وهو جالس في الشرفة إلى زوجته المكومة فوق الفراش كجبل من اللحم .. وتقززت نفسه .. أحس بالشفقة على نفسه .. إنها « كالعيش البايت » ومحكوم عليه أن يأكل هذا العيش البايت طول عمره ..

وأدار رأسه .. وعادت سيقان فتحية تهتز في خياله .. بشرتها السمراء الساخنة .. وعيناها المشروطتان .. وشفتاها المكتنزتان .. ووجنتاها اللتان تضجان بالصحة .. إنها أكلة شهية .. أكلة لذيذة ..

وهب واقفا ، وخرج من الشرفة ، واجتاز الغرفة ، وقبل أن يخرج منها ، سمع زوجته تقول :

– رايح فين يا محمد .. ما تيجى تنام بأه !

وقال وصوته يرتعش :

– رايح أشرب ..

ثم خرج من الغرفة .. وسار على أطراف أصابعه .. لا يدرى

لماذا .. ولكنه وجد نفسه يسير على أطراف أصابعه .. وفتح باب المطبخ .. وحاول ألا ينظر حوله .. إنه يعلم أن فتحية راقدة على الأرض .. ولكنه لن ينظر إليها .. وأمسك بالكوب ، وفتح صنبور الثلاجة .. وامتلأ الكوب .. وأغلق الصنبور .. وحاول أن يرفع الكوب إلى شفتيه .. ولكنه لم يفعل .. ظل ممسكا بالكوب فى يده .. ثم أدار عينيه .. إليها ..

ورآها ..

راقدة على الأرض وسط بلاط المطبخ .. كالفرخة المحمرة مقدمة فى طبق من الصينى .. وعيناها مسبلتان فى هدوء واستسلام .. وقد انكشف عنها الثوب حتى أعلى ساقيها ..

واهتز الكوب فى يده ..

وأدار الأستاذ فرغل رأسه وقد احتقن وجهه حتى أصبح فى لون الجزرة .. الكوب لا يزال يرتعش فى يده ..

إنه لا يستطيع .. لا يستطيع !

ورفع الكوب بيده المرتعشة وشرب ، كأنه يسكب الماء فوق نار تندلع فى جوفه .. وعيناه زائغتان كأنه يشاهد أمامه حريقا .. ثم وضع الكوب فوق الثلاجة، وهو يتمتم : « اللهم اخزيك يا شيطان » .. وشىء فى نفسه يتمنى ألا يخزى الله الشيطان .. شىء فى نفسه يتمنى أن ينتصر الشيطان .

وحاول أن ينظر إليها مرة أخرى ..

ولكن ، لا .. عيب ..

وشد ساقيه كأنه ينزعهما وسط عاصفة تهب حوله .. وخرج من المطبخ وهو يلهث ، وصدره يتهدج .. وعاد إلى غرفته .. وزوجته نائمة فوق السرير كجبل من اللحم .. وانفاسها شخير .. وانقطع صوت شخيرها فجأة وسمعها تقول كأنها تتكلم فى حلم :

تقـول كأنهـا تتـكلم فى حـلم :

– ما تيجى تنام بأه يا محمد ..

وقال دون أن ينظر إليها :

– مش جاى لى نوم .. حاقعد فى البلكون شوية ..

وسكتت زوجته ، وعادت أنفاسها تنتظم فى شخير ..

واتجه إلى الشــرفة ، وجلس على المقعد ، وهو يلتــقط بأنفه هواء البحر .. الهواء الرطب .. لعل ناره تخبو ..

إنه رجل شريف ..

رجل يتــعفـف عن الخادمــات ، ولا يدنس بيتــه بشهـواته القذرة ..

ولكن .. هل هو رجل شريف حقا ؟

لقــد عــاش طول حــياته يحــاول إقنــاع نفـســه بأنه رجل شريف .. وعندما كان زملاؤه يتقدمـون عليه فى الترقية ، كان يتــهمــهم بأنهم منافــقــون وصوليــون وأنه هو وحــده الرجل الشريف .. ولأنــه رجل شريف فاتتــه الترقــية .. وعندمــا كان يسمــع عن واحد من زملائــه فى المدرسة قد أصــبح وزيرا أو ثريا أو مشـهـورا ، كان يتهمه بأنــه رجل مذبذب ولص وعديم الشرف .. وأنه هو وحده الرجل الشريف .. ولو لم يكن شريفا لأصبح وزيرا وثريا ومشـهورا ..

ولكن هذا الكلام ليس صحيحا ..

وهو يعلم أنه ليس صحيحا ..

لقد حــاول مرات عــديدة أن ينافق .. ولكن نفاقــه لم يؤد به إلى شىء .. وحاول مــرات عديدة أن يخادع ولكن خداعــه كان ساذجا ، فلم يســتطع أن يستفيد مــنه بشىء .. إنه عاجز .. إنه جبان .. وهو الآن ليس متعففا عن فتحية ، ولكنه عاجز عنها .. جبان .. جبان ..

وضاقت أنفاسه ، وشعر كأنه يتجمع للبكاء .

ولكنه لم يبك ..

وقام من الشرفة ، ودخل الغرفة .. وألقى بنفسه فوق السرير ، راقدا على ظهره وكرشه مرتفع أمام عينيه .. ثم مد يده وعدل رأس زوجته فوق الوسادة ، حتى تسكت عن الشخير .. وأطفأ النور .. وظل مفتح العينين ينظر بهما فى الظلام .. كأنه ينظر إلى داخل نفسه .. ثم سقط جفناه فوق عينيه ، اعياء .. ونام .. نوما قلقا .. نصفه نوم ، ونصفه يقظة.. وراوده حلم .. حلم لذيذ .. إنه يحلم بأن فتحية راقدة بجانبه .. جسدها الصبى .. وبشرتها السمراء .. وعيناها المشروطتان .. وشفتاها المكتنزتان .. والصحة والشباب .. والأنفاس العطرة .. وتجسد له الحلم حقيقة .. ومد يده وتحسس ذراع زوجته .. نعم ، إنه لا يحلم إنها حقيقة .. إن فتحية بجانبه .. ومسح بيده فوق جسد زوجته .. وخيل إليه أنه الجسد الصبى .. والبشرة السمراء .. وتهدجت أنفاسه فى نومه وتيقظت أعصابه .. ولكنه لا يستطيع أن يصدق .. شىء يطن فى أذنيه ويردد :

أنت تحلم .. أنت تحلم .. وفتح عينيه على وسعهما حتى يتأكد بأنه لا يحلم .. ونظر بجانبه .. لا إنها ليست فتحية .. إنها زوجته ..

وضرب رأسه فى الوسادة ، ثم أدار ظهره لزوجته ونام على جانبه ، وكل ما فيه يتمزق حنقا ، وكمدا ..

وتمنى لو استطاع أن يبكى ..

٢

واستيقظ الأستاذ فرغل فى اليوم الثانى ، ووجهه مكفهر ، وأعصابه مجهدة .. وظل راقدا فى السرير كأنه شوال معبأ بالديناميت .. وقالت زوجته وهى تروح وتغدو أمامه فى الحجرة :

– مش تقوم تغسل وشك بأه ، علشان تفطر .. دى الساعة بقت تمانية ونص..

وصرخ الأستاذ فرغل كأن شوال الديناميت قد انفجر :

– انتى فاكرة نفسك حكومة حاتفطرينا بمواعيد وتغدينا بمواعيد .. مش حاقوم النهار ده .. ومش حافطر النهارده .. واللى عايز يتسمم يتفضل يتسمم لوحده ..

وسكتت زوجته ، ونظرت إليه نظرة مرتعشه ، وبين شفتيها ابتسامة بلهاء .. ثم خرجت من الغرفة هاربة من الديناميت ..

وظل الأستاذ فرغل راقدا فى فراشه ، وهو يحس كأنه يكيد العائلة كلها بأن يجعلها تنتظره دون إفطار .. ويتلذذ بكيده لها.

ثم قام بعد أكثر من نصف ساعة .. واتجه إلى الحمام .. والتقى فى طريقه بفتحية وهى تكنس الأرض .. ولم ينظر إليها كأنها تعلم كل ما يدور فى نفسه فخجل أن يواجهها به .. وبدأ يغسل وجهه وصورة فتحية وهى راقدة فوق بلاط المطبخ كالفرخة المحمرة وسط طبق من الصينى تهتز فى خياله ..

وحـاول أن يبـعـد هذه الصـورة .. أن يتـحـرر منهـا .. ولكنه لم يستطع .. إنه ضعيف .. إنه عبد .. عبد للشهوة التى تصرخ فى صدره .. عبد لفتـحية .. وأحس بالثورة تندفع فى رأسه .. الثورة على العـبودية .. وفتح الصنبـور على آخره ، وترك الماء ينسكب فـوق رأسه .. ولكن ثورته تزداد اشـتعـالا .. يجب أن يتـخلص من فـتحـيـة .. يجب أن تخرج من الـبيت .. اليـوم .. حالا .. إنه لم يـعد يطيقـها .. لم يعـد يتحمل هـذا العذاب الذى يمزق فى لحمه ..

وأمسك بـالمنشفة ، وجـفف الماء على وجـهه ، كأنه يـجفف عـرقه .. ثم خـرج من الحـمام .. واتجـه إلى مـائدة الافطار .. وارتفعت الابتسامة الطيبة فـوق شفتى زوجته .. كأن الدنيا قد عاد إليـها السـلام ما دام زوجـها قـد بدأ يأكل .. وجلست فى مكانها من المائدة .. وبجـانبها ابنتهـا سميرة .. وعلى النـاحية الأخرى ابنها الصغـير .. وجاءت فتحيـة بطبق الفول ، وأرغفة العـيش ، ووضعـتـها فى منتـصف المائدة ، وصـرخ الأستـاذ فرغل :

– إيه ده .. بأه شوية الفول دول بقرشين صاغ ..

وقالت فتحية وهى لا تأبه به :

– آه والنبى ياسيدى ..

وعاد فرغل يصرخ :

– سـيدك ياحـرامـيه .. يالصــه .. دول مـا يجوش بقـرش تعريفه ..

وقالت فتحية وكأنها زهقت :

– أنا مش حـرامية .. إذا مـا كنتش مصـدقنى ، آدى الرجل قدام حضرتك ..

وانتفض الأستاذ فرغل واقفا وهو يرتعش صارخا :

– وكمان بتردى عليّ يا قليلة الأدب ..

ثم رفع كــفــه الغلـيظ وهوى به على صــدغــهـا .. ثم لم يتوقف .. توالت صفعاته فى جنون .. على صدرها .. وعلى رأسهـا .. وعلى جسدها .. كـأنه ينتقم لكل عـذابه .. وصرخت فتـحية .. واستـمرت فى الصراخ ، وقـد رفعت ذراعيهـا فوق رأسها لتصد بهما الصفعـات .. والتصقت سميرة بمقعدها وفى عينيها رعب .. وبدأ الولد الصغـير يبكى .. وقامت زهيرة وعلى وجهها لوعة ، وربتت على ظهر زوجها فى خوف ، وهى تقول دون أن تحاول أن تدخل بينه وبين فتحية :

– معلهش يا اخويا .. ما تزعلش نفسك .. علشان خاطرى .. هدى نفسك شويه يا محمد .

وهربت فـتحـية من الصـفعـات ، ودخلت المطبخ ، وجلست على الأرض مستندة إلى الجدار .. تبكى ..

وعـاد الأسـتـاذ فـرغل ، وجلس إلـى المائدة ، وهو يزفـر ، ووجهه محتقن كالبلونة الحمراء ، وقال وهو يلتقط انفاسه :

– البت دى مـا بقـاش لهـا قــعـاد هنا .. أنا خـلاص مش طايقها .

وقالت زهيرة وهى تبتسم ابتسامة خائفة :

– بس هدى نفسك يا اخويا .. ما تعكرش دمك على الصبح.

قال فى حدة :

– يا اقول لك مش عايزها تقعد فى البيت ده .. ولا ثانية ..

قالت :

– حاضـر .. بس اصبر شويه لما تفطر ، وكل حـاجة تروح لحالها ..

وشرب الأستاذ كوبا كبيرا من الماء .. ثم مزق لقمة كبيرة من رغيف العيش ، ودبها فى طبق الفول ، ثم حشى بها فمه .. وحرك اسنانه فوقها كآلة الطحين ، وعيناه سارحتان .. إنه يشعر ببعض الراحة ..

لقد فرج عن بعض عذابه ..

وانتهى الافطار ، وقام فرغل وجلس على الاريكة فى غرفة النوم ، وقالت زوجته وهى تصب عليه ابتسامتها الطيبة :

– أنا حا أقوم أعمل لك القهوة بايدى ..

وحملت جسدها الثقيل ، ودخلت المطبخ .. وكانت فتحية لا تزال جالسة على الأرض تبكى .. فوقفت فوق رأسها وقالت فى اشفاق :

– كده برضه تردى على سيدك يافتحية .. ده أنا طول عمرى با أقول عليكى بنت مؤدبة ..

وقالت فتحية وسط نشيجها :

– أنا مش حرامية .. أنا ما سرقتش حاجة ..

وقالت زهيرة فى طيبة :

– ما أنا عارفه يا بنتى .. بس أصل الأستاذ اليومين دول عصبى قوى .. والواجب إننا نستحمله برضه .. والنبى ده قلبه أبيض زى اللبن الحليب ..

وقالت فتحية وهى تمسح دموعها بكم ثوبها :

– ده طردنى يا ستى .. وأنا ما أقعدش ما دام طردنى ..

وقالت زهيرة كأنها ترجوها :

– ولا طردك ولا حاجه .. أنا حاروح اتحايل عليه .. بس انتى تانى مره ما طوليش لسانك وتردى عليه .. قومى ياللا ناولينى علبة اللبن والسكر ..

وقامت فتحية وفتحت الدولاب وجذبت علبة اللبن والسكر .. لقد قررت أن تبقى .. ستبقى وتتحمل رذالة سيدها من أجل حبيبها حسنين ..

ولكنها لن تبقى طويلا .. ستبقى فقط إلى أن تضع يدها على الساعة الذهبية .. وتفر بها .. ثم لن تعود .. لن تعود إلى أى بيت .. ستتزوج حسنين .. ويكون لها بيت .. بيت تملكه .. بيت هى سيدته .

وانتهت زهيرة من عمل القهوة .. وحملتها إلى الأستاذ فرغل .. وقالت وهى تصبها له فى الفنجال :

– فتحية عايزه تيجى تبوس ايدك ، وتستسمحك ..

ونظر إليها الأستاذ فرغل نظرة غاضبة ، وقال فى حدة :

– أنا قلت إنها ما تقعدش هنا ..

وقالت زهيرة فى مسكنة :

– معلهش والنبى يا أخويا .. الدور ده سماح ..

وصرخ فرغل :

– دى حراميه .. عايزه تخللى فى البيت واحده حراميه ..

وقالت زهيرة :

– أبدا والنبى .. دى غلبانه ومظلومه ..

وعاد فرغل يصرخ :

– انتى مش شفتى شوية الفول اللى جايباهم .. بأه دول بقرشين صاغ ..

وقالت زهيرة :

– صدق يا خويا .. ما هى كل حاجه غاليه فى المصيف ..

وقال فرغل :

– أنا خلاص .. مش طايق البت دى ..

وقالت زهيرة :

- علشان خاطرى .. ده أنا حالوص من غيرها .. كلها يومين وننزل مصر وربنا يحلها .. وآدى راسك أبوسها ..

وانحنت تقبل رأسه .. ونظر إليها الأستاذ فرغل فى حنق وغيظ .. وسكت ..

وجلست زهيرة بجانبه فوق الأريكة ، واعتدلت فى جلستها كأنها مقبلة على عمل مهم ، ثم نادت :

- يا فتحية .. يا بت يا فتحية .. تعالى !

وتلكأت فتحية قليلا ، ثم أطلت على الزوج وزوجته ، وهى معقدة الوجه .. وقالت :

- نعم يا ستى ..

وقالت زهيرة فى لهجة حادة تخفى تحتها طيبتها :

- تعالى استسمحى سيدك .. والدور ده أنا توسط لك ، إنما بعد كده .. حاتعرفى شغلك منى .

وقالت فتحية فى صوت خفيض :

- أنا متأسفة يا سيدى ..

وقال فرغل دون أن ينظر إليها :

- طيب غورى من وشى .. جاتك البلا ..

وسقطت عينا فتحية فوق الساعة الذهبية ذات السلسلة العريضة ، موضوعة بجانب السرير .. وخفق قلبها ..

ثم عادت إلى المطبخ ..

وفى الساعة الحادية عشرة خرجت العائلة تسير كالطابور العسكرى فى طريقها إلى شاطىء سبورتنج .. وفتحية تسير فى المقدمة وهى تحمل فوق رأسها شمسية كبيرة مطوية ، وتعلق فى ذراعيها اليسرى مقعدين من مقاعد الشاطىء ،

وتمسك بيدها اليمنى يد الطفل الصغير .. وخلفها تسير الزوجة ، مرتدية ثوبا من « البوبلين » يصلح للصباح ، والمساء ، وللنوم .. وامسكت باحدى يديها حقيبة كبيرة تبدو منها « مايوهات » العائلة ، وفوط الاستحمام ، وعلبة كبيرة من الصفيح تفوح منها رائحة الكعك والبسكويت و « المنين » .. وارتكزت بذراعها الأخرى على كتفى ابنتها سميرة .. وفى المؤخرة يسير الزوج ، وهو يرتدى قميصه الأبيض ، وبنطلونه القصير الذى يبرز خطوط كرشه الضخم .. وفى يده منشة ، وتحت ابطه جريدة الأهرام .. وعيناه تتبعان ساقى فتحية ..

وعبرت العائلة شارع الكورنيش تحت قيادة الأستاذ فرغل .. ثم نزلوا إلى الشاطىء .. وغرزت فتحية الشمسية فى الرمل ، ثم فتحتها ، وصفت تحتها المقاعد الصغيرة .. ثم وقفت تساوى خصلات شعرها التى أطلت من تحت منديل رأسها ، وتتمايل بقوامها المشوق مع الهواء ، وهى تنظر بعينيها باحثة عن وجه بين وجوه الناس .. ورأته واقفا بعيدا ، منتصبا كعامود الدخان .. وجهه الأسمر ، وسرواله الأسود ، وفانلته الزرقاء ، والقبعة الصغيرة البيضاء فوق رأسه .. حسنين .. عامل الانقاذ .. وخفق قلبها ، وانطلقت خفقته ابتسامة فوق شفتيها ..

وجلست على الرمل ، وطوت ساقيها تحتها ، وانتظرت فى صبر .. إلى أن سمعت سيدتها تقول :

– قومى يا فتحية لبسى سيدك مِيمى المايوه ، وانزلى به البحر ..

والتمع وجهها بالفرحة .. وقامت تخلع عن الطفل الصغير ثيابه وتلبسه « المايوه » .. ثم سحبته من يده إلى البحر ..

ورفعت ذيل ثوبها حتى ركبتيها ، وضمته فى يدها ، وخاضت بساقيها فى الماء .. ثم سمعت صوت حبيبها :

- صباح الخير يا فتحية ..

وارتبكت .. واهتزت ساقاها العاريتان فى الماء .. ثم تركت يد الطفل ، والتفتت إلى الصوت ، والحب يرقص فوق وجنتيها ، وقالت فى خفر :

يسعد صباحك يا سى حسنين ..

ونظر إليها حسنين كأنه يهم بتقبيل ثغرها ، وقال :

- ازيك النهارده ..

قالت وقلبها يضرب بشدة :

- الله يسلمك يا سى حسنين .. ازيك انت ..

قال وهو يتنهد :

- زى ما أنا يا فتحية ..

قالت وهى تنظر إليه بكل عينيها :

- ولا يكون عندك فكر .. كل اللى انت عايزه حا يتحقق بإذن الله ..

قال وفى نظرته سخرية :

- ربنا يسمع منك يافتحية .. أنا مش حاقدر اقف معاكى ، أصل مفتش الشاطىء حايفوت كمان شويه .. خليتك بعافيه ..

- الله يعافيك يا حسنين ..

ووقفت تودعه بعينيها وهو يبتعد عنها بجسده الطويل .. وشبح الساعة الذهبية يهتز أمام عينيها ..

ثم سمعت من خلفها ضحكة فاقعة صارخة ، كأنها ازيز طائرة خربة .. وصوتا مائعا يعانى فى دلع :

- أبو سمره السكره .. أبو ضحكة منوره ..

واستدارت فتحية قائلة :

– والنبى تسكتى يا رتيبة .. احسن أنا حاطق من جنابى ..

وقالت رتيبة وهى تساوى منديلها فوق رأسها :

– ليه يا اختى .. كفى الله الشر .. ده أنا شايفه الحب على آخره ، والعيار زايد حبتين ..

وجلست فتحية على الرمل وهى تصيح فى الطفل الصغير :

– ما تدخلش جوه ياسى ميمى .. خليك عالشط ، اعمل معروف ..

ثم نظرت إلى رتيبة وقالت فى أسى :

– أنا حيرانه يارتيبة يا اختى .. مش عارفه أعمل إيه ..

والتمعت عينا رتيبة كأنها مقبلة على موضوع مثير لذيذ ، ثم قالت :

– طيب استنى شويه لما أجيب البت الناحية دى .. واقعد معاكى ، تحكى لى على كل حاجة ..

وسارت رتيبة وهى تهز جسدها المكتنز ، كأن كل قطعة منه تكاد تسقط عنه .. ثم عادت وفى يدها فتاة فى السادسة من عمرها ترتدى المايوه ، وتشدها وراءها فى قسوة ، ووضعتها بجانب « ميمى » ، وهى تقول لها كأنها تهددها :

– اقعدى العبى مع الولد ده .. تعرفى تروحى هنا ولا هنا ، حاقطع رقبتك ..

وجلست الفتاة الصغيرة فى خوف ، بجانب الولد الصغير ، وسط الماء الضحل .. وأسرعت رتيبة وجلست بجانب فتحية ، وقالت وهى ترتكز بذقنها فوق راحة يدها :

– إيه يأه الحكايه يا أختى ؟..

وقالت فتحية وهى تعبث بأصابعها فى الرمل :

- حسنين يارتيبة ..
وقالت رتيبة تتعجلها :
- ماله ..
وقالت فتحية فى أسى :
- مضايق قوى .. حالته تصعب على الكافر ..
وقالت رتيبة وعيناها تبرقان فى تطلع :
- مضايق من إيه يا حبيبتى ..
وقالت فتحية :
- تعبان قوى ده بياخد تلاته جنيه في الشهر .. وبعد ما بيخلص الصيف ، البلدية بتستغنى عنه ، ويقعد من غير شغل .. ونفسه يا حبيبى يفتح دكان سجاير ، ويتجوز ، ويبقى له بيت .. بس مش ناقصه غير عشره جنيه ..
وقالت رتيبة وهى تنظر إلى صديقتها فى امعان :
- وانتى ناويه تعملى إيه فى الحكاية دى ؟
وقالت فتحية وهى ترفع رأسها كأنها تتحدى القدر :
- ما اعرفش .. إنما نفسى اجيب له العشرة جنيه دول .. ولو اجيبهم من تحت الأرض .. ولو ياربى قطعت نفسى حتت ..
وقالت رتيبة وهى تنظر فى وجه فتحية بكل عينيها :
- ما قلت لك ، وانت اللى ما رضيتش ..
وقالت فتحية بسرعة :
- لا يا أختى .. كله إلا ده ..
وقالت رتيبة تلاحق صديقتها :
- والنبى انت عبيطة .. ده انت تخرجى معايا كام مشوار ، وبعد يومين يبقى فى ايدك العشرة جنيه .. بالك البت نفيسة

اللى بتشتغل عنه الجماعة الخواجات اللى جنبكم .. خرجت ليلة امبارح مع جدعين صغيرين وكانوا ادوها خمسة جنيه .. ويمكن ربنا يوقعك فى واحد كويتى من بتوع البنزين يغرقك فى جنيهات .. بس انتى اللى خيبة ..و..

وقاطعتها فتحية وهى تهز رأسها فى الهواء كأنها تطرد من حولها اشباحا :

– لا .. لا ياأختى .. كله إلا المقدر ده .. ده حتى حسنين مايرضاش .. ده كان يقتلنى قتل ..

وابتسمت رتيبة ابتسامة ساخرة ، كأنها تعلم حقيقة حسنين خيرا من صديقتها ، ثم قالت :

– ده مقدر علينا كلنا يا حبيبتى .. وإذا كان مقدر علينا فى بيوت الشغل ببلاش ، يبقى العاقلة تطلع بره وتكسب فلوس .. وآدى الكلام المعقول ..

وقالت فتحية فى حزم :

– لا ..

وقالت رتيبة فى لين :

– طاوعينى ..

وعادت فتحية تقول فى اصرار :

– لا ..

وقالت رتيبة بلا مبالاة :

– على كيفك ..

وسادت بينهما فترة صمت ، ثم قالت فتحية وقد عادت تعبث بأصابعها فى الرمال :

– ما فيش طريقة تانية ؟!

ونظرت رتيبة فى عينى فتحية كأنها تغوص فى رأسها ، ثم

علقت ابتسامة صغيرة فوق شفتيها ، وقالت فى خبث :

- زى إيه كده !

وقالت فتحية وهى تهرب بعينيها من عينى صديقتها :

- أنا عارفه .. ما انتى يا اختى تعرفى كل حاجة ..

وسكتت رتيبة برهة ثم قالت وهى تتنهد كأنها تستغفر الله :

- انتى ما بيقعش فى ايدك حاجة كده تستاهل .. ساعة دهب .. اسورة .. خاتم بفص .. حاجة يعنى من الحاجات دى ..

وقالت فتحية وهى تخبط على صدرها وتفتعل الذعر :

- يا خبر .. ولما اروح فى داهية !

وقالت رتيبة :

- ولا داهية ولا حاجة .. ده من مدة شهرين البت سيدة لطشت خاتم ألماظ جاب لها ستين جنيه .. ولا حد حس بيها ، ولسه بتشتغل فى نفس البيت .. المهم أنهم ما يلاقوش حاجة عندك .. تعرفى لما البوليس ما يلاقيش الحاجة عندك ما يقدرش يتمسك عليكى بكلمة ، ولو جابوا كل الناس تشهد عليكى ..

وقالت فتحية فى تردد :

- لأ يا اختى .. دى حاجة تخوف ..

وقالت رتيبة مستطردة كأنها لم تسمع اعتراض صديقتها :

- شوفى .. أول ما تحطى ايدك على الحاجة اللى عينك عليها ، تتخلصى منها بسرعة .. واوعى تخبيها فى هدومك .. ولا فى بيت الشغل .. تجيبيها علىّ على طول .. واوعى تديها لحسنين .. أصله معروف أنه بيحبك ويمكن البوليس يفتشه .. تجيبيها لى أنا .. وأنا اتصرف لك فيها على طول .. وتانى يوم تلاقى الفلوس فى ايدك .. أصلى أنا اعرف واحد بيشترى منا كل حاجة ايها حاجه ..

وقالت فتحية فى ضعف وقلبها يخفق :

- لأ ..

وعادت رتيبة تستطرد دون أن تأبه بها :

- تعملى زى ما باقول لك كده .. وما تخافيش .. ياما أخدت وبعت .. وآدينى زى ما أنا ..

ونظرت فتحية إلى رتيبة نظرة سريعة ، وقالت وهى تقوم واقفة :

- أما أقوم بأه .. زمان الأفندى بتاعنا ابتدى يزعق ..

وقالت رتيبة وهى تقوم وراءها :

- ساعة ما تعوزينى ، انتى عارفه تلاقينى فين ..

وجذبت فتحية يد الطفل الصغير ، قائلة :

- يا للا ياسى ميمى .. كفاية كده ..

وشدت رتيبة يد الطفلة الصغيرة وهى تصرخ فيها :

- قومى يابت جاتك وكسه .. داهية تقطعك وتقطع اللى خلفوكى ..

وبكت الطفلة الصغيرة ..

وسارت فتحية ويداها فى يد الطفل الصغير ، واتجهت إلى شمسية العائلة ، وشبح الساعة الذهبية يهتز أمام عينيها ..

●●●

وفى المساء .. لمحت فتحية الساعة الذهبية عندما كان الأستاذ فرغل يضعها فى جيب بنطلونه .. الجيب الصغير .. ويلف سلسلتها العريضة فى نصف دائرة حول كرشه .. ثم لمحتها بعد أن عادت العائلة من نزهتها المسائية على طريق الكورنيش .. لمحتها وهو ويخرجها من جيبه ، ويضعها تحت وسادة السرير ..

وساد الهدوء في الشقة الصغيرة ..

ودخلت فتحية إلى المطبخ وفرشت اللحاف القديم فوق البلاط ، ونامت عليه .. وعقلها يضع خطة دقيقة .. إنها ستسرق الساعة .. غدا صباحا عندما يدخل الأستاذ فرغل إلى الحمام .. ستتسلل إلى غرفة النوم .. وستكون سيدتها مشغولة بتسريح شعر ابنتها .. وستضع يدها تحت الوسادة .. وتلتقط الساعة .. وتخفيها فى صدرها .. بسرعة .. ثم ستنزل إلى الشارع بحجة شراء الفول .. وستتجه فورا إلى صديقتها رتيبة ، وتعطيها الساعة لتبيعها لها .. ثم ستشترى الفول .. وتعود إلى البيت .. لن يبدو عليها الارتباك .. لن تخاف .. وستجد الأستاذ فرغل يصرخ ، وهو يبحث عن الساعة .. ولن تأبه بصراخه .. وقد يستدعي البوليس .. ولن تخاف البوليس .. ستدعو البوليس إلى تفتيشها .. ولن يعثر معها على شىء .. وبعد يومين ستأخذ من رتيبة عشرة جنيهات من ثمن الساعة وتترك لها الباقي .. وستعطى العشرة جنيهات لحسنين .. ويفتح حسنين دكانا لبيع السجاير .. ثم يتزوجها ..

وكانت ترى نفسها فى كل خطوة من خطوات خطتها .. كانت ترى نفسها وهى تتسلل إلى الغرفة وتسرق الساعة .. ثم وهى تخرج بها وتسرع إلى رتيبة .. ثم .. ثم .. ثم وهى زوجة لحسنين ..

ولكنها خائفة ..

إن رعدة شديدة تزحف على صدرها وتسرى فى اعصابها ..

يجب أن تقاوم الخوف .. إنها لن تخاف .. إنها ليست

جبانة .. يجب أن تكون جريئة لتسعد حبيبها .. يجب أن تجازف من أجل حسنين .. يا حبيبى يا حسنين ..

ولم تنم ..

قضت ليلتها تقاوم الخوف ..

وشخص آخر لم ينم .. الأستاذ فرغل .. إنه جالس فى الشرفة ، وساقا فتحية تهتزان أمامه .. وتنغرزان فى خياله .. إنه يتعذب .. إنه يحس بشىء يتلوى فى صدره .. يحس بأن خلف ضلوعه سجينا يصرخ ويحاول أن يحطم القضبان .. يحطم ضلوعه .. وينطلق .. ولكن السجين الذى فى صدره اعجز من أن يحطم القضبان .. إنه سجين جبان .. اجبن من أن ينطلق إلى المطبخ ، وينال فتحية .. ينال جسدها الشاب الشهى .. وسيظل يتعذب ما دامت فتحية فى البيت تثير هذا السجين .. ما دامت بجانبه تسلط عليه فتنتها .. يجب أن يتخلص منها .. بأى وسيلة .. بأى شكل .. يجب أن تخرج من البيت ، ورغم معارضة زوجته ، ورغم حاجتها إليها ..

ونظر إلى زوجته مكومة كجبل اللحم فوق السرير .. نظر إلى العيش البايت الذى حكم عليه أن يظل يأكله طول حياته .. إنه يستطيع أن يحتمل العيش البايت .. ولكنه لن يستطيع أن يحتمله إذا وضع بجانبه رغيف فينو طازج .. كفتحية ..

يجب أن تخرج فتحية من البيت ..

يجب أن يخلو البيت من العيش الفينو ..

ووضع هو الآخر خطة ..

●●●

وجاء الصباح ..

وقام الأستاذ فرغل من فراشه وهو متجهم ، كأن على

وجهه خطوط خطة حربية .. ودخل الحمام .. وفتحية تراقبه من باب المطبخ .. ولم يمكث فى الحمام طويلا .. بضع دقائق فقط ريثما بلل وجهه بالماء .. ثم عاد فى خطوات سريعة إلى غرفته ووجهه أشد تجهما .. عاد قبل أن تتمكن فتحية من دخول الغرفة ..

وتلكأ بجانب الغرفة قليلا ، ثم صرخ :

- الساعة فين .. فين الساعة بتاعتى فين !

وقالت زوجته زهيرة فى هدوء :

- مالك بتزعق كده يا اخويا .. تلاقيها تحت المخده ..

وقلب الأستاذ فرغل الوسادة ، وعاد يصرخ :

- مش تحت المخده .. الساعة راحت فين ..

وقالت زهيرة وهى لا تزال هادئة :

- يمكن حطتها فى الدولاب ..

وفتح فرغل الدولاب ، واشتد صراخه :

- مش فى الدولاب .. الساعة اتسرقت .. اتسرقت ..

وقامت زهيرة واقفة وهى تقول :

- بس طول بالك شويه .. دور عليها كويس ..

وبدأت زهيرة تعبث فى محتويات الغرفة .. والأستاذ فرغل يقلب كل ما فيها .. ثم صرخ صرخة حادة :

- الساعة اتسرقت .. با أقول لك اتسرقت .. البت فتحية سرقتها ..

ثم اندفع خارج الغرفة ..

وفتحية ملتصقة بباب المطبخ وهى تسمع كل هذا الصراخ وترتعش .. وفى عينيها نظرات مرتبكة حائرة ..

وهجم عليها الأستاذ فرغل ، وصرخ فى وجهها :

– الساعة فين يا بت .. خبيتيها فين يا حرامية ..

وقالت فتحية ولسانها يرتج ، وكلماتها تتمزق بين شفتيها :

– ما شفتهاش يا سيدى .. والنبى ما شفتها ..

ورفع الأستاذ فرغل يده وهوى على وجهها بصفعة قوية ، فسقطت على الأرض تحت قدميه ، وهى تصرخ :

– ما شفتهاش يا سيدى .. وشرف النبى ما اخدتها ..

وصرخ فرغل وهو يركلها بقدمه :

– وديتيها فين يا حرامية ..

ثم تركها ودخل إلى المطبخ وجذب الحقيبة الخشبية الصغيرة التى تحتفظ فيها فتحية بثيابها ، وفتحها وأخذ يقلب فيها ، وكأنه يمزق كل ما تصل إليه يداه منها .. ثم خرج من المطبخ ، وفتحية لا تزال ملقاة على الأرض تبكى ، وزهيرة بجانبها تقول لها :

– ما تقولى الساعة فين يا فتحية .. قولى وماتخافيش .. حتى لو كنتى اخدتيها ، مش حا يحصل لك حاجة ..

وصرخ فرغل :

– والله لا جيب البوليس .. حا سلمك للبوليس يا مجرمة يا بنت الكلب ..

ودخل إلى غرفته ليرتدى ثيابه وينزل إلى الشارع وينادى عسكرى البوليس ..

– طول بالك شويه يا فرغل ..

ورفعت فتحية رأسها والدموع تجرى فوق خديها ، وهمست فى ذعر :

– البوليس !!

ثم انتفضت واقفة ، وانفلتت من أمـام سيدتها ، وجرت بكل قواها إلى باب الخروج .. وخرجت .. وقفزت فوق السلالم كأن الموت يلاحقها .. وصوت فرغل يصرخ وراءها :

– امسكوها .. يا بوليس .. حرامية ..

وجرت فى الشـارع كالمجنونة .. ولم تتـجه إلى صـديقتـها رتيـبة بل اتجـهت إلى الشاطىء .. وعـبرت شـارع الكورنيش وكادت سيارة تدهمها .. والناس تقف وتنظر إليها فى دهشة .. ونزلت إلى الشاطىء .. وأخـذت تعدو فوق الرمال .. ونصـفها العلوى يسبق ساقيها .. ثم ألقت بنفسـها فوق صدر حسنين ، وهى تصيح لاهثة :

– الحقنى يا حسنين ..

وأزاحها حـسنين من على صدره ، ونظر إليهـا فى دهشة ، وقال :

– إيه .. فيه إيه حصل أيه .. مالك !

وقالت وقد عادت تبكى :

– حايسلمونى للبوليس .. بيتـهمونى أنى سرقت الساعة ..

وتلفت حسـنيـن حوله ، ثم قال فى صـوت أجش وهو يمد يده إليها :

– طيب هاتيها ..

وقالت فتحية فى دهشة :

– إيه هيه !

وقال حسنسن :

– الساعة .. هاتيها قوام .. وما لكيش دعوة ..

وقالت وهى تنشج :

– ما اخدتهاش ..

وقال حسنين فى قسوة :

– يا بت بلاش لماضة .. هاتيها قوام .. زمانهم جايين وراكى ..

وقالت فتحية :

– وحياتك ما أخدتها يا حسنين ..

وقال حسنين وهو يقبض على معصمها فى قسوة :

– ما أخدتهاش ، ولا شايلاها علشان تديها لرتيبة .. ما هى رتيبة قالت لى على كل حاجة .

ثم مد يده فى فتحة ثوبها يبحث عن الساعة بين نهديها .. وشدت نفسها منه مذعورة ، فتمزق الثوب عن صدرها ..

وقالت وقد ارتفع نشيجها :

– ما أخدتش الساعة .. حتى انت مش مصدقنى يا حسنين..

وعادت تبكى ..

وصرخ حسنين :

– يا بت بلاش تمثيل .. هاتى الساعة با قول لك ..

ثم هوى بكفه على صدرها .. فصرخت صرخة حادة كأنها ذبحت :

– يا دهوتى .. يا مصيبتك يا فتحية .. يا خرابك يا فتحية ..

ثم أخذت تلطم خديها وتدب الأرض بقدميها .. وصاح حسنين :

– طيب أنا حاوديكى فى داهية ..

ثم التفت مناديا :

– يا شاويش عبد الله .. يا شاويش عبد الله .. تعالى شوف البت دى حكايتها أيه ..

وجاء الشاويش عبد الله ، ووضع كفه الثقيل فوق كتف

فتحـية .. وبدا من بعيد الأستـاذ فرغل يسير مـهرولا ، وخلفه بواب العمارة ، وعسكرى الدورية ..

وقبض على فتحية ..

وسيـقت إلى قسم البوليـس .. وهى ساهمة وقـد كفت عن البكاء .. أصبحت في ذهول ..

وأمر الضابط النوبتشى بوضعها فى الحبس ..

●●●

ومضت الأيام ..

والعائلة تعيش فى صمت حزين .. والبيت مرتبك .. وزهيرة تتنهد بين حـين وآخر .. وسميرة سـاكنة لا تسأل ولا تتكلم .. والطفل الصغـير يبكى بين حين وآخر دون سـبب .. والأستاذ فرغل متجهم الوجه دائما كأنه يعانى ألما فى معدته .. وقد طال جلوسه فى الشرفة كل مسـاء .. إنه لا يرقد فى فراشه إلا بعد أن يرى الفجر بعينيه .. ولم تعد ساقا فـتحية تشغلان خياله .. ولكن شيئا ثقيلا يضغط على صدره يكاد يكتم انفاسه ..

وقام فى إحـدى الليالى ، وفتح دولابه .. ومـد يده فى آخر الدرج .. وأخـرج جوربـا يضم شيـئـا ثقيـلا .. مـد يده داخل الجورب وأخرج ساعة ذهبية ..

ساعته الذهبية ذات السلسلة العريضة ..

ونظر فيها .. وتقلص وجـهه كأنه التقى بحبيـبته التى حرم منها إلى الأبد ..

ثم اعاد السـاعة داخل الجـورب ، وأخفـاه فى آخر الدرج ، واغلق الدولاب وهو يتنهد فى حرقة ..

ومضت أيام أخرى ..

وفتحية لا تزال فى السجن ..

ولم يبق على بقاء العائلة في المصيف سوى يومين ..

وقال فرغل لزوجته ذات صباح ، وهو لا ينظر إليها :

– احنا يظهر ظلمنا البت فتحية .. أنا لقيت الساعة ..

ونظرت إليه زهيرة فى دهشة ، ثم انبثقت الدموع من عينيها ..

وقال فرغل فى صوت خفيض :

– لزوم العياط أيه دلوقت يا زهيرة ..

وقالت زهيرة وهى تنهنه وجسدها الثقيل يهتز كأنما دب فيه زلزال :

– اصلها صعبانه عليّ .. وكان دايما قلبى يقولى إنها مظلومة .. مش كنت تدور كويس يا محمد قبل ما تعمل الفضيحة دى كلها ..

وقال فرغل وهو ينكس رأسه :

– معلهش .. اللى حصل أهو حصل .. المهم دلوقت نعمل إيه !

وقالت زهيرة :

– تقوم دلوقت حالا تروح القسم ، وتقول لهم اننا لقينا الساعة ..

وقال فرغل فى ذل :

– حاضر ..

وقام وارتدى ثيابه فى بطء .. وذهب إلى قسم البوليس ، وقلبه يسد حلقه ويكاد يخنقه ..

●●●

وعاد الأستاذ فرغل إلى البيت وهو يحاول أن يقنع نفسه بأنه رجل شريف ..

البنات والصيف



البنت الخامسة

١

القاهرة فى أواخر أيام شهر يونيو .. والشوارع تفح بلهب الصيف ، والناس تسير تحت رذاذ العرق ..

وخرجت ناهد من معهد التفصيل تحمل فى يدها كراسة كبيرة تضع بين أوراقها مسطرة ، وفى يدها الأخرى كيسا من الورق تطل منه أطراف قطعة من القماش لونها أبيض .. وسارت فى شارع قصر النيل بخطوات سريعة ، وهى تزاحم الناس بثوبها الواسع .. ثم وصلت إلى شارع فؤاد ووقفت عند محطة الأتوبيس ، وأخذت تدق الأرض بقدمها دقات عصبية ، وتتطلع حولها بعينين نشطتين لا تهدآن ، ثم تزيح خصلة من شعرها تدلت ولصقها العرق فوق خدها ..

ولم تنتبه إلى العيون التى ترمقها فى وقفتها .. ولم تحس بالشاب الذى يتسكع حولها ، ويطوف بها .. كانت تبدو شاردة الذهن ، وبين شفتيها حلم سعيد يلوح كالابتسامة ..

وجاء الأوتوبيس .. وقبل أن يقف تماما ، قفزت إلى مقاعد الدرجة الأولى .. وجلست بجانب النافذة .. وظلت شاردة الذهن ، حتى اضطر الكمسارى أن يصيح : تذاكر .. تذاكر .. ويكرر نداءه حتى تنتبه إليه ..

ونزلت من الأتوبيس فى شارع الملك .. وسارت بخطوات أسرع .. تكاد تجرى .. ودخلت فى عمارة .. وصعدت إلى الدور الرابع .. واتجهت إلى الشقة رقم « ٨ » .. وضغطت على الجرس ، وظلت ضاغطة عليه وهى تقفز فى وقفتها ، حتى فتحت الباب خادمة صغيرة حلوة التقاطيع ، تحمل بين شفتيها ابتسامة واسعة .. ودخلت ناهد وهى تصيح :

– ماما فين ؟

وأجابت الخادمة وهى ترمق سيدتها فى إعجاب :

– فى أودتها يا ستى !

وصاحت ناهد وهى تجرى نحو غرفة أمها :

– ماما .. ماما ..

ثم أطلت على أمها من الباب ، واستطردت :

– أنا جيت ..

وقالت الأم وهى تضم ابنتها بين عينيها :

– لحقتى تقصى الفستان ؟

وقالت ناهد كأنها تزغرد :

– ده طالع جنان ..

وقالت الأم :

– وريني كده ..

وقالت ناهد :

– لأ استنى لما أسرجه ، وتشوفيه على !

وقالت الأم وهى ترشو ابنتها بابتسامتها :

– وريني بس يا نانا ..

وقالت نانا :

– لا .. ده مفاجأة .. ده فستان حايلحس البلاج كله ..

ثم انسحبت من فتحة الباب ، وقفزت خطوتين ، ودخلت إلى غرفتها ، وأغلقت الباب وراءها ، وألقت الكراسة من يدها فوق السرير .. ثم مدت يدها في الكيس وأخرجت قطعا مقصوصة من القماش ، وفردتها فوق السرير أيضا ، الواحدة بجانب الأخرى .. ثم وقفت تنظر إليها من بعيد ، وأصبعها فوق خدها ، وفي عينيها نظرات جادة فيها كثير من الاهتمام ، كأنها مهندس حائر أمام رسوم مشروع ضخم .. ثم هزت رأسها كأنها وجدت حل مشكلة حسابية عويصة .. ومدت يدها وخلعت فردة حذائها .. ثم الفردة الثانية .. ثم صاحت بأعلى صوتها :

– يا بت يا فتنه .. يا فتنه ..

وفتحت الخادمة الصغيرة الباب ، قائلة :

– نعم يا ست نانا ..

وقالت نانا وهي لا تزال تبحلق في قطع القماش المقصوص:

– تعالى اقفلي الشيش ..

ودخلت « فتنه » وطافت بالنوافذ تغلق ضلفها الخشبية .. وساد الحجرة ضوء خافت مريح .. وهدأ لهب الصيف فيها .. وخلعت ناهد ثوبها بسرعة ، وقلبته ثم وضعته فوق شماعة صغيرة وعلقته فوق حافة الدولاب .. ثم خلعت « الجيبون » وألقت به فوق المقعد الكبير .. وظلت بالقميص الداخلي .. ذراعاها وصدرها عرايا .. وقالت فتنه :

– إحنا حانسافر امتى بأه يا ستي ..

وقالت ناهد دون أن تنظر إليها :

– يوم الخميس .. بعد أربع أيام ..

وقالت فتنه :

– وحاتعلمينى العوم زى السنة اللى فاتت يا ستى ..

وقالت ناهد وهى تبتسم وقد عادت تنظر إلى قطع القماش المقصوص :

– امشى اخرجى بره يا بت .. ما تورنيش وشك إلا لما أنده لك ..

وخرجت فتنة ، وابتسامة مرحة فوق شفتيها وأغلقت الباب وراءها .. واستدارت نانا ، فوقعت عيناها على مجلة أسبوعية مصورة ، فمدت أصابعها وقلبت صفحاتها فى إهمال ، ثم وقفت عند صفحة المجتمع ، وأخذت تدقق النظر فى الصور المنشورة .. صور البنات والشبان .. إنها تعرفهم جميعا .. تعرفهم من كثرة ما قرأت عنهم فى المجلات .. تعرف أشكالهم وأسماءهم ، بل تعرف أيضا ماركة سيارة كل منهم ورقمها .. وبعض البنات كن زميلات لها فى مدرسة « الأمريكان ميشان ».. ولا زلن صديقاتها .. ولكنها صداقة من نوع غريب.. صداقة تلمع داخل جدران المدرسة .. وتلمع فى الصيف على شاطىء البحر .. ثم تنطفىء فى الشتاء بعد الخروج من المدرسة .. إنهن صديقات لا تزورهن فى بيوتهن .. ولا يزرنها فى بيتها .. فقط داخل جدران المدرسة ، وعلى الشاطىء .. وقد تركت المدرسة منذ العام الماضى ، ولم يبق لها من مكان تستعيد فيه صداقتها لهن إلا الشاطىء ..

وعادت تدقق بعينيها فى الصور المنشورة على صفحات المجلة ، كأنها تبحث بينها عن صورة ناقصة .. صورتها هى .. لماذا لا تنشر المجلة صورتها .. لأنها لا تسكن فى الزمالك ، ولا تملك سيارة ، ولا تذهب إلى نادى الجزيرة ، ولا تقيم حفلات راقصة .. لأن أباها ليس غنيا .. مجرد موظف فى الدرجة الثالثة ..

ولكن .. لا يهم .. إن المجلات ستنشر صورتها فى هذا الصيف عندما تبدو على الشاطىء .. فليس على الشاطىء طبقات ليس فيه حى الزمالك وحى حدائق القبة .. وليس فيه سيارات .. وليس فيه نواد .. ليس على الشاطىء سوى بنت جميلة ، وسوى ثوب أنيق وثوب غير أنيق .. وهى جميلة ... إنها أجمل من كل البنات اللاتى تبدو صورهن فى المجلات .. وثوبها سيكون أرشق ثوب .. لقد تعلمت التفصيل فى المعهد ، حتى أصبحت أمهر من أشهر خياطات مصر .. تعلمته خصيصا حتى تستطيع أن تصنع لنفسها أرشق ثوب ، دون حاجة إلى أن تدفع أجر الخياطة ..

والتفتت إلى المرآة لتطمئن إلى جمالها .. واطمأنت .. إنها فعلا جميلة .. شعرها فى لون أبو فروة .. وعيناها عسليتان .. ذكيتان وابتسامتها الواسعة .. وأسنانها البيض . وجسدها الصغير المتسق .. و .. وتذكرت الثوب ، فاندفعت إلى الفراش وجمعت من فوقه قطع القماش المقصوص ، وعادت تفردها على الأرض .. ثم جلست بجانبها ، مستندة بظهرها على حافة الأريكة ، وهى لا تزال بقميصها الداخلى .

وشدت « علبة الخياطة » ، وأخرجت منها الأبرة وبكرة الخيط .. ونظرت فى خرم الأبرة الضيق ، وسددت إليه طرف الخيط ، كأنها تسدد سهما من خيالها نحو أمل واسع كبير ..

وأخذت تحيك الثوب .. وسرح خيالها وراء الصور المنشورة فى المجلة الأسبوعية .. صور الشبان .. حازم .. وعمرو .. وفؤاد .. و .. من منهم يصلح لها .. إن حازم يملك سيارة « ثندر بيرد » حمراء .. ومائتى فدان .. وعمارة فى شارع سليمان .. ولكنه سمين .. إنها لم تره مرة على الشاطىء

إلا وهو يأكل .. عادل جميل .. إنه يخطف قلبـها كلما مر بها .. ولكنها سمعت إنه يحب مرفت وينوى أن يخطبها .. و ..

وفتح الباب وأطل وجه فتى فى السادسة عشرة من عمره ، وصاح فيها :

– مالك قاعدة عريانة كده ؟!؟!

ونظرت إليـه بعينين غـاضـبتـين ، وقالت وهى تحـاول أن تضبط أعصابها :

– أنت مالك يا بايخ .. دى أودتى وأنا حرة فيها ..

قال وهو يغيظها بابتسامته :

– ما تقومى تقعدى فى الحمام أحسن لك ..

وصرخت نانا :

– ماما .. يا ماما .. اندهى للواد سامى ده أحسن بيعاكسنى ومش عارفة أخيط ..

وقال سامى :

– ما هو أنا كمان ما اسمحش أن أختى تقعد عريانة بالشكل ده ..

وعادت نانا تصرخ وقد احمر وجهها غيظا :

– يعنى شايفنى ماشـية فى الشارع .. دى أودتى يا بارد .. من فـضلـك أبعـد عن وشى .. أبعـد عنـى با أقـول لك .. والله لو عتبت خطوة واحدة لا طربق الدنيا فوق دماغك ..

وقال سامى فى حزم صبيانى :

– قومى البسى ..

وصرخت وهى تلقى قطعة القماش من يدها :

– مش لابسة .. مش لابسة .. يا ماما .. يا ماما ..

وارتفع صوت الأم من حجرتها :

- تعالى هنا يا سامى ، وسيب أختك فى حالها ..

وقال سامى :

- ما تيجى تشوفى بنتك قاعدة إزاى ؟!

وقالت الأم دون أن تنتقل من مكانها ، كأنها تعودت على هذه المواقف :

- ما لكش دعوة بيها .. تعال هنا ..

وقال سامى فى غيظ :

- دى مرقعة بنات .. والله لأوريكى شغلك ..

ثم انسحب ، وأغلق الباب وراءه ..

وعاد الهدوء إلى الغرفة الخافتة الضوء ..

وعادت نانا تحيك ثوبها وتحيك معه آمالا واسعة ..

ثم قامت ووقفت أمام المرآة ، وارتدت الثوب .. وأخذت تقيسه بعينيها ، ثم أخذت تشده حول جسدها بالدبابيس .. ثم سارت فى خطى محترسة حذرة ، حتى لا يتفتق الثوب عن جسدها ، وخرجت من غرفتها وذهبت إلى أمها ، وقالت لها :

- والنبى يا ماما تيجى تظبطى لى ديل الفستان .

ونظرت الأم إليها فى إعجاب ، وقالت :

- الله .. ده حيطلع حلو عليكى قوى ..

ووقفت نانا أمام المرآة .. وقامت الأم وجلست على الأرض تحت قدمى ابنتها ، ووضعت بين شفتيها مجموعة من الدبابيس ، ثم ثنت ذيل الثوب بيدها ، وقالت من بين أسنانها حتى لا تسقط الدبابيس من بين شفتيها :

- كويس كده ..

وقالت نانا وهى ناظرة إلى ذيل ثوبها فى المرآة :

- طولية شوية ..

وقالت الأم وهى ترفع رأسها إلى نانا كأنها تتلقى رأيها :
– الموضة السنه دى القصير ..
وقالت نانا فى إصرار :
– لا .. طوليه شوية .. أنا ماليش دعوة بالموضة ..
ثم نظرت إلى ساقيها المنعكستين فى المرآة .. إن بهما إعوجاجا خفيفا .. اعوجاجا قد لا يلحظه أحد .. ولكنها تلحظه دائما .. إنه الشىء الوحيد الذى تخافه ، وتحاول دائما أن تخفيه .. إن هذا الاعوجاج سبب لها عقدة نفسية .. فكلما نظرت إلى فتاة ، بدأت بالنظر إلى ساقيها .. وكلما قابلت فتى حاولت أن تشغله عن ساقيها .. وكلما جلست فى مجتمع حرصت على أن تجلس وتضع ساقا فوق ساق حتى لا يبدو اعوجاج ساقيها إذا وضعت إحداهما بجانب الأخرى .. وكلما صنعت ثوبا أطالت ذيله حتى يغطى الاعوجاج .. هذا الاعوجاج الذى لا يلحظه أحد ..
وأحنت الأم رأسها فوق ذيل الثوب ، وأطالته قليلا ، ثم عادت تقول :
– كويس كده ..
وقالت نانا وهى تشرب بعينيها من المرآة :
– كويس ..
وبدأت الأم تلتقط الدبابيس من بين شفتيها ، وتشبك بها ذيل الثوب .. وسادت فترة صمت .. ثم قالت الأم فى صوت خفيض وهى تختار كلماتها ، كلمة كلمة :
– عزيزة هانم جاية تزورنا النهاردة ..
وقالت ناهد وهى لا تزال تشرب بعينيها من المرآة :
– أهلا وسهلا .. تآنس وتشرف ..

وقالت الأم وهى تتنهد كأنها تستعين بأنفسها على ابنتها المدللة :

– وحانقول لها إيه ..

وقالت ناهد وهى تتقصع أمام المرآة وبين شفتيها ابتسامة مغرورة :

– قولى لها ما نعطلكيش ..

وقالت الأم وهى تحاول أن تتغلب على ضعفها أمام ابنتها ، وتحاول أن تبدو جادة :

– أنا باكلمك جد يا نانا .. لازم ندى للست كلمة تريحها .. دى بقى لها سنة رايحة وجاية ..

وقالت نانا :

– يعنى عايزانى أقول لها إيه ..

وقالت أمها فى صراحة :

– حا تتجوزيه ، ولا مش حاتتجوزيه ؟

وقالت نانا فى عصبية :

– هوه فيه حد بيتجوز فى الصيف .. لما نرجع من اسكندرية يبقى يحلها ربنا ..

وقالت الأم وهى لا تزال ترشق الدبابيس فى ذيل الثوب :

– وما تتجوزيش ليه وتسافرى معاه اسكندرية .. تبقى اسمها تصييفة وشهر عسل ..

وقالت نانا فى ضيق :

– ده إحنا مسافرين بعد أربع أيام .. يعنى حاتجوز فى أربع أيام .. أنا خلاص بقيت رخيصة عندكم للدرجة دى ..

وقالت الأم :

– على الأقل تسافرى مخطوبة .. ومحمد يحصلنا هناك ، ويبقى معاكى ، يسليكى ويفسحك ..

وقالت نانا :

– قصدك يطلع روحى على البلاج .. رحتى فين وجيتى منين .. والبسى ده وما تلبسيش ده .. لا يا ستى الله الغنى .. إذا ما كانش يستنى لما نرجع من اسكندرية ، يبقى بلاش ..

وقالت الأم فى حدة :

– هو الجواز كمان له مواسم .. صيف إيه وشتى إيه .. عاجبك ولا مش عاجبك ، ده المهم .

ولم ترد نانا ، تشاغلت بالنظر إلى المرآة ، ثم قالت :

– الديل مش مضبوط قوى يا ماما ..

ولم تأبه بها أمها واستطردت :

– طاوعينى يا نانا .. ما طيريش الشاب من إيدك .. ده كويس وبيحبك .. وله مستقبل .

وقالت نانا ساخرة :

– ولغاية المستقبل ده ما يتحقق عايزانى أفضل عايشة بخمسة وعشرين جنيه فى الشهر .. مش كده ؟!

وقالت الأم :

– وماله يا بنتى .. ده أنا اتجوزت أبوكى وهو باتناشر جنيه .. ثم مين قالك إنك حاتعيشى بخمسه وعشرين .. ده عنده إيراد عشرة جنيه فوق ماهيته .. وأبوكى حايديكى عشرة كمان .. يبقوا خمسة وأربعين .. عايزة إيه أكتر من كده ..

وقالت نانا :

– عايزة إنى ما أتكلمش فى الموضوع ده إلا بعد ما نرجع من اسكندرية ..

وقالت الأم وكأنها تعرف خبث ابنتها :

– يعنى لا عايزة تقولى آه .. ولا عايزة تقولى لأ ..

وقالت نانا وهى تزفر :

– إف يا ماما .. وحياتى عندك سيبينا من الموضوع ده ..

وتنهدت الأم ، ثم قالت وهى تقوم من جلستها على الأرض:

– طيب .. أما أشوف آخرتك إيه ..

واستدارت نانا أمام المرآة ، ثم صرخت :

– أى ..

وقالت أمها فى لهفة :

– مالك .. قالت فى دلال كأنها تهم بالبكاء :

– الدبوس شكنى ..

ونظرت إليها أمها فى عتاب ، وقالت :

– طيب روحى أقلعى الفستان يا حبيبتى واقعدى خيطيه ..

وسارت نانا فى خطواتها الحذرة ، وعادت إلى غرفتها ، وخلعت الثوب .. وظلت بقميصها الداخلى .. ثم نادت الخادمة الصغيرة ، وتعاونتا سويا على نقل « ماكنة الخياطة » من الممر الذى يفصل بين الحجرات إلى داخل غرفتها .. وجلست تحيك الثوب وشعرها مهدل فوق جبينها .. وعقلها شارد .. ولم يشرد عقلها وراء الشبان الذين رأت صورهم فى المجلة الأسبوعية ، ولكنه شرد وراء محمد .. ومرت قصته معها فى خيالها كشريط سينمائى سريع .. لقد رأته منذ عام عندما سكن مع عائلته فى العمارة المجاورة .. رأت وجهه الأسمر الجاد ، وعينيه الضيقتين ، وشعره الكثيف الذى يملأ صدره ويطل من ثنايا قميصه المفتوح .. ثم رأت نظرته المهذبة التى تسلل بها إلى وجهها عندما التقى بها صدفة فى الطريق .. ثم

رأته كله عندما صادقت أخته وزارتها فى بيتها .. وأعجبت به .. أعجبت بالرجولة التى تفوح منه كعطر قوى جذاب .. وبالاحترام الشديد الذى يفرضه لنفسه على البيت .. على أخته ، وعلى أمه ، وعلى أبيه أيضا .. وأعجبت بحديثه الهادىء الذى تسمعه كأنها تقرأ فى كتاب جديد مفيد ، وصوته كأنه ينبعث من صدرها .. وعرفت عنه كل شىء .. عرفت أنه فى السابعة والعشرين من عمره ، وأنه خريج كلية التجارة ، وأنه موظف فى شركة مصر للتوريدات ، وأن مرتبه خمسة وعشرون جنيها .. ثم عرفت أنه يحبها .. رأت الحب فى عينيه .. وفى لمسة يده .. وفى تعمده أن يبقى فى البيت كلما ذهبت لزيارة أخته .. ولكنه لم يعلنها أبدا بحبه .. وانتظرت طويلا حتى تسمع منه كلمة حب .. كلمة غزل صريح .. إنتظرته ليحاول أن يحدد معها موعد لقاء .. بل تمنت لو حاول أن يقبلها .. وقد مرت فرص كثيرة كان يمكنه أن يستغلها .. كانت أخته تتركهما وحدهما ، وتغيب عنهما فترة طويلة .. ولكن ، لا .. إنه لا يحاول أبدا .. إنه لا يقبلها ولا يحدد معها موعدا للقاء .. وقد شجعته .. حاولت أن تمنحه الجرأة ليصل إليها .. كانت تعطيه من عينيها نظرات صريحة .. وكانت تبقى يدها فى يده أكثر مما تعودت أن تبقيها فى إيادى الناس .. وكانت تطرق معه أحاديث حساسة .. وتتعمد أن تبدو بكل دلالها .. ولكن ، لا .. إنها لا ترى من حبه إلا ما يبدو فى عينيه ، وفى لمسات يده وهو يصافحها .. ورغم ذلك لم تيأس .. كانت لا تزال تنتظر أن يسعى للقائها .. ولا تزال تنتظر قبلته .. إنه لا يستطيع أن يعيش جادا مهذبا إلى هذا الحد .. وفجأة .. وبعد أن مرت سبعة شهور على انتقاله إلى الحى ، أرسل أمه لتخطبها ..

وفوجئت ..

لم تكن مفاجأة فـرحة ، كانت مفاجأة تشوبهـا خيبة أمل .. وربما أرضت المفـاجـأة غـرورها ، ولكنـها حـطمت حلمـا من أحلامها .. إنها لـم تكن تحلم بالزواج به .. كان الزواج بالنسبة لها حلما بعيدا لم يأت دوره بعد .. ولكنها كانت تحلم بالحب .. كانت تحلم بأن يدفـعها إلى الكذب على أمـها لتخـرج للقائه .. وكـانت تحلم بأن تسـير مـعـه فى حـديقة الأسـمـاك أو على كورنـيش النيل .. وذراعهـا فى ذراعه ، وقلبـها خـائف من أن يراها أحـد معـه .. ويذوب خـوفهـا فى حـديثه ، وفى حـرارة التصـاقها به .. ثم .. ثم قبلـة سريعة خلف جذع شـجرة .. ثم تنتظره كل صـباح فى النافذة وهو ذاهب إلى عـمله ، وتنتظره مرة ثانيـة وهو عائد إلى بيـته .. ثم يكتب لهـا خطابا .. خطاب حب .. ويلجـأ إلى آلاف الحيل ليسلمه إليـها ، دون أن تشـعر أخـته ، أو أحـد من العـائلتـين .. وتكتب له خطابا وتلجـأ هى الأخـرى إلى آلاف الحـيل لتـسلـمـه إليـه .. ثم تحـيط بهـمـا الهـمسات .. والإشـاعات .. ويمـلأ حبـه كل لحظات عمـرها ، وينسـيـهـا تطلـعـهـا إلى العـالم الذى تكتب عـنه المجـلات الأسبـوعيـة .. عالم الحـفلات والسـيارات وآخـر الموضات .. يغنيها بحبه عن هذا العالم وعن كل ما فيه .. ثم بعد ذلك .. بعد كل ذلك .. يفكر معها فى الزواج ..

ولكنه لم يفعل شيئا من ذلك ..

لم يمنحها عالما من الحب ..

بل منحها الزواج .. فجأة .. وكأنه يطلبها إلى بيت الطاعة ..

وقـالت : لا .. لن تتـزوج الآن .. إنها لا تزال فى الـسابعـة عشـرة من عمرها ، وحرام أن تسـجن نفسهـا فى بيت الطاعة

وهى فى هذا العمر .. حرام أن تتنازل عن حريتها وعن أحلامها قبل أن تتمتع بالحرية ، وتجرب الأحلام .. وزاد فى إصرارها أن شقيقها معجب بمحمد .. كلاهما معجب بالآخر .. وشقيقها يقيد من حريتها .. ويغيظها .. ويكيد لها .. وكأنه وجد فى محمد نصيرا له فاعجب به .. وأصبحت هى تغتاظ من محمد كما تغتاظ من شقيقها ..

ولم تصل « لا » إلى محمد صريحة .. كانت أمها تأمل فى أن تستطيع يوما أن تقنع ابنتها بالزواج .. وكانت مقتنعة بأن محمد أصلح زوج لابنتها ، فظلت تماطل أمه ، وتتحجج لها بمختلف الحجج ، دون أن تقطع لها برأى ..

ومنذ تقدم محمد لخطبة ناهد ، أصبحت العلاقة بينهما يشوبها حرج كبير .. وارتباك .. علاقة لا هى حب ، ولا هى إعجاب ، ولا هى صداقة .. وكانت ناهد تصمم يوما على أن تقاطع شقيقة محمد ولا تزورها فى بيتها ، حتى لا تراه .. وفى يوم آخر تجد دافعا قويا يدفعها إلى زيارتها لتراه .. ربما كان هذا الدافع هو غرورها .. وربما كان شيئا آخر .. ولكنها كانت تذهب إلى هناك ، وتجد محمد ، ويجلس معها .. ولكنه لا يتحدث كعادته .. إن حديثه فيه كثير من الحياء وكثير من الارتباك .. وهى أيضا لم تكن تستطيع أن تجلس معه كما تعودت .. كانت تحس بالضيق .. وكانت تنظر إليه من تحت جفنيها ثم تسائل نفسها : لماذا لا تتزوجه .. وتكاد تقنع نفسها بالزواج منه .. ثم فجأة تثور على نفسها .. تثور عليه .. لماذا تقدم إليها بالزواج ، قبل أن يتقدم لها بالحب .. لماذا لم يحاول أن يملأ حياتها ، ويملأ قلبها ، قبل أن يطلبها للزواج .. لماذا لم يساعدها على أن تعرفه أكثر .. لماذا لم يحاول أن يعيش فى

داخلهـا ، بدل أن يظـل يعيش أمامهـا ..

وكانت تتركه لتعود إلى أحلامها .. إلى الدنيا التى تقرأ عنها فى صفـحات المجتـمع بالمجلات الأسبـوعية .. وتعـود تحادث نفسـها : « إذا كان يجب أن أتزوج ، فلمـاذا لا أتزوج شابا من هؤلاء الشبـان .. لماذا لا أخـرج من دنيـاى لأعـيش فى دنيـا أوسع .. دنيا فيها سيارات .. وعزب .. وثراء .. وثياب من عند بييـر كلوفاس .. لماذا لا أتزوج زيجة تثـير ضجة ، ويحـسدنى عليها الناس ، وتتحدث عنها المجلات » ؟!

وكلما اقـترب الصيف تشبـثت بأحـلامها أكثر .. إن سـوق « العرسـان » يعقد على الشاطىء كل عام .. وستـختار زوجا من هذا السوق .. ستشتريه بجمالها وثوبها الأنيق ..

ورغم ذلك ، فلا تزال قطعة من قلبها حائرة .. قطعة ترفض أن تضحى بمحمد ..

وحـركت ناهد قـدميـهـا فوق مـاكـينة الخـياطـة بسرعـة وعصـبيـة ، كأنها تشـوط بهمـا حيرتهـا .. تشوط بهـما هذه القطعة من قلبها التى لا تزال تتردد ..

إنها ستجرى وراء أحلامها ..

وستحققها ..

●●●

واستـعدت العائلة للسفـر .. وضعت الثياب فى الحـقائب .. وطويت السجـاجيد .. وأعدت الخزين للشـحن .. وأغلقت نوافذ حجرة الصـالون وغطيت مقاعدها بالملاءات البيـضاء .. وقالت ناهد وهى تساعد أمها فى غلق آخر حقيبة :

– أحنا حانسافر فى درجة إيه ؟

وقالت أمها وهى تبتسم فرحة :

– درجة أولى يا حبيبتى ..
وقالت ناهد :
– ما نسافرش فى عربية تكييف الهوا ليه ؟
وقالت أمها وهى تجلس فوق الحقيبة لتحكم غلقها :
– يا ختى بلاش قنزحة .. ما هو كله قطر واحد ..
وقالت ناهد وقد تركت ما فى يديها والتفتت إلى أمها بكل عينيها :
– أنا ماسافرش إلا فى تكييف الهوا .. أنا مش أقل من صاحباتى .. اشمعنى يعنى مشيرة تسافر فى تكييف الهوا ..
وقالت أمها وهى تنظر لها بعينين غاضبتين :
– وهى درجة أولى وحشة ..
وقالت ناهد :
– بس فيه أحسن منها .. واحنا لازم نكون فى أحسن حتة .. احنا مش فقرا ..
وقالت الأم :
– عجايب .. بقى درجة أولى ، تبقى بتاعة الفقرا .. انتى فاكره يا بت انتى إن احنا فقرا .. ده أبوك فى الدرجة التالتة ..
وقالت ناهد وهى على وشك البكاء :
– ماليش دعوة .. أنا مش ممكن أتهزأ قدام صاحباتى ..
ونظرت إليها أمها كأنها تحتار فيها .. ودخل الأب .. يرتدى القميص والبنطلون ، وفى يده مجموعة من المفاتيح ، وقال :
– أنا اشتريت قفل جديد للباب .. وبلغت البوليس إننا مسافرين ، علشان ياخدوا بالهم من البيت ..
وقالت الزوجة وكأنها لم تسمع كلامه :
– اتفضل يا سيدى .. بنتك عايزة تسافر فى تكييف الهوا ..

وقالت ناهد كأنها تلقى دفاعها :

– يا بابا كل البنات مسافرين فى تكييف الهوا .. اشمعنى إحنا ..

وقال الأب فى حزم :

– حانسافر فى الدرجة الأولى .. كفاية كده .. من مدة تلات سنين ما كناش نقدر نسافر إلا فى الدرجة التانية .. إحمدى ربنا ..

وقالت ناهد وقد احتقن وجهها حنقا :

– يا بابا ده الفرق فى تمن التذكرة بسيط .. ما يجبش تلاتين قرش ..

وقال الأب فى حدة :

– إنشا الله يكون الفرق مليم واحد .. المسألة مسألة مبدأ ..

وفجأة انفجرت ناهد فى البكاء .. وجرت إلى غرفتها ودموعها تسقط تحت قدميها .. وهى تصيح بين نشيجها :

– أنا ما تهزأش .. أنا مش أقل من الناس كلهم ..

ونظر أبوها وراءها فى حنق وغيظ ، ثم التفت إلى زوجته قائلا :

– انتى مدلعة البنت دى قوى يا منيرة .. أنا نفسى أقوم آخذها قلمين ، وأفش غللى فيها ..

وقالت منيرة وهى لا تزال تنظر وراء ابنتها :

– تعرف أن لها حق برضه ..

ونظر إليها كأنه يتهمها بالجنون :

– إزاى بأه ..

والتفتت إليه وبين شفتيها أجمل ابتسامتها ، وقالت كأنها فيلسوفة :

– أصل الدنيـا دلوقت بقت بتـاعـة مظاهر .. والبنات ما بتتجوزش إلا بالمظاهر .. اللى تركب فى عربية تكييف الهواء تتجـوز جوازة .. واللى تركب فى درجـة أولى تتجـوز جوازة شكل تانى .. لا الأخلاق ولا الأصل ولا التعليم بقى ينفع .. كل ده ما بقاش يساوى حاجة .. المهم المظاهر ، والقنزحة ..

وقال وهو يكاد يصرخ :

– إيه الكلام اللى بتقوليه ده يا ست انتى .. عـايزة تفهمينى إن بنتى حاتتجوز من قطر اسكندرية ..

وقالت منيرة وهى لا تزال تبتسم :

– ليه لأ يا خويا .. يمكـن واحد يشوفها فى عـربية تكييف الهواء . تلاقيه جاى يخبط على الباب تانى يوم ..

وصرخ :

– اسكتى .. انتى بتتكلمى زى المجانين بالضبط ..

وقالت وهى تقترب منه وتلصق كتفها بكتفه :

– ما تزعقش كده يا خليل .. اسمع كلامى وخد منى وادى .

وقال محتدا :

– لا حاخد منك ولا أدى .. انتى وبنتك حاطيروا مخى .. أنا نازل ..

وخرج الأب وهو يدق الأرض بقـدميه كأنه يتـمنى أن يهدم البيت على من فيـه .. وزوجته لا تزال تبتسم كـأنها واثقة من إقناعـه .. واثقة من انتصارها عليه .. وظـلت تتشاغـل بإعداد الحقائـب .. ثم أخذت تطوف بحجرات البـيت .. ثم اتجهت إلى غرفـة ابنتـها ، وحـاولت أن تفتح البـاب ، فوجـدته مغلقـا من الداخل ، فنقرت عليه بأصبعها ، قائلة :

– افتحى يا نانا .. افتحى يا حبيبتى ..

وكانت ناهد مستلقية على ظهرها فوق السرير وبين يديها إحدى المجلات ، وما كادت تسمع صوت أمها ، حتى ألقت بالمجلة تحت السرير ، وانكفأت على وجهها ، ومدت يديها وأخذت تشد فى خصلات شعرها ، ثم ضغطت على أعصاب عينيها حتى انبثقت منها الدموع ..

وعاد صوت الأم يرتفع :

– افتحى يا نانا .. افتحى يا أقول لك ..

وردت نانا وفى صوتها نشيج :

– مش حا أفتح .. مش عايزة أشوف حد ..

وقالت الأم وكأنها تتوسل :

– افتحى بس .. حاقول لك حاجة تفرحك ..

وتلكأت نانا قليلا ، ثم قامت ونظرت إلى المرآة لتتأكد من أن عينيها حمراوان وشعرها مهوش ، ثم فتحت الباب ، وعادت والقت نفسها فوق الفراش .. ودخلت الأم ، ونظرت إلى ابنتها فى اشفاق وقالت :

– احنا مسافرين نصيف ، ولا حانعيط ؟!

وقالت نانا وهى تخبط فوق وسادتها بقبضتيها :

– مش عايزة أسافر .. أهى باينة من أولها .. باينة إنها نكد فى نكد ..

وقالت الأم :

– ما تزعليش يا حبيبتى .. خلاص ، بابا وافق ، وحانسافر فى تكييف الهوا ..

ورفعت ناهد رأسها ثم قالت وهى لا تصدق أمها :

– مش باين .. انتى بتضحكى على .. ده أنا سامعاه بيزغق.

وقالت الأم :

- صدقيني حيوافق .. وإذا ما ركبتيش فى عربية التكييف ما تبقيش تركبى ..

واعتدلت ناهد جالسة فوق فراشها ، وهى تصيح فرحة :

- صحيح والنبى يا ماما ..

ثم لفت ذراعيها حول عنق أمها وقبلتها ، واستطردت :

- ربنا يخليكى لى يا ماما ..

وقالت أمها وهى تربت على ظهرها والسعادة ترفرف فوق وجنتيها :

- قومى بأه أغسلى وشك ، وتعالى نشوف إيه اللى فاضل ورانا ..

●●●

وانشغلت العائلة طول اليوم فى الاعداد للسفر .. ونامت نوما تقلقه الفرحة بالانتقال إلى المصيف .. واستيقظ كل أفرادها فى الساعة الخامسة صباحا .. وأعدوا أنفسهم للذهاب إلى المحطة .. وحملتهم سيارة أجرة .. ووقف الأب يشرف على عملية انزال الحقائب وتحميلها للشيالين ، ثم التفت إلى ابنه قائلا :

- روح انت يا سامى ركب البت فتنه فى الدرجة التالتة ..

ثم التفت إلى الخادمة الصغيرة قائلا :

- خدى التذكرة بتعاتك أهيه .. تبتى عليها كويس .. وأوعى تنتقلى من مطرحك إلا لما نيجى ناخدك فى محطة سيدى جابر.

وقالت فتنة وهى تبتسم :

- حاضر يا سيدى ..

ثم نظرت إلى ناهد نظرة حب وإعجاب .. وسارت مع سامى .. والتفتت خلفها بعد بضع خطوات لتنظر إلى ناهد

نظرة أخرى فيها مزيد من الحب ، ومزيد من الإعجاب ..

وسارت ناهد بين أبيها وأمها ، وركبوا القطار ..

ركبوا فى عربة تكييف الهواء ..

وتحرك القطار ..

ونظرت ناهد حولها ، تتفحص وجوه الركاب .. وامتلأ وجهها بخيبة الأمل .. كلهم عجائز لا تعرف أحدا منهم ، ولم تر صورة أحد منهم فى المجلات .. ولا أحد منهم ينظر إليها أكثر من نظرة عابرة .. وفتحت مجلة وأخفت وجهها خلفها ، كأنها تدارى خيبة أملها ..

والأستاذ خليل جالس قبالة زوجته ، ينظر إليها فى غيظ ، كأنه يسألها عن هذا « العريس » الذى سيطرق الباب غدا ..

●●●

ووصلوا إلى الاسكندرية .. شقة صغيرة متوسطة الحال ، فى أحد الشوارع الخلفية بمنطقة سيدى بشر ..

وما كاد سامى يدخل الشقة ويطوف بها ، حتى نزل مسرعا متجها إلى الشاطىء .. ولم تفكر ناهد فى الذهاب إلى الشاطىء .. ستبقى فى البيت إلى الغد .. وأخرجت ثيابها من الحقائب .. ثم وضعت المكواه فوق وابور الجاز .. وبدأت تكوى أول ثوب بيديها ، وأرسلت ثوبين آخرين إلى الكواء .. وفردت « الجبونات » فوق الشماعات .. و ..

وفى اليوم التالى ذهبت إلى الشاطىء .. شاطىء ميامى .. ذهبت فى الساعة الحادية عشرة والنصف .. إنها تعلم أن البنات الارستقراطيات يجب ألا يذهبن إلى الشاطىء قبل الساعة الحادية عشرة ..

والتقت بصديقاتها .. صديقات الصيف ، وزميلات أيام

المدرسة .. وحيت كلا منهن في فرحة ، وهي تنظر إلى الثوب الذي ترتديه لتتأكد من أنه لا يزيد أناقة عن ثوبها .. نعم ، إن ثوبها أكثر أثواب البنات أناقة .. ثوب « شوال » من قماش التيل مخطط بخطوط زرقاء وحمراء وصفراء .. إنه مظاهرة تهتف بجمالها وتزفها إلى عرش الشاطىء .. عرش ميامي ..

وجلست بجانب صديقتها مشيرة تحت شمسية تضم شلة كبيرة من البنات .. واختارت أن تجلس فوق مقعد صغير ، لا على الرمل كما تجلس مشيرة .. إنها تعرف كل الأصول .. فإذا كانت مرتدية ثوبا شوالا فيجب أن تجلس على مقعد صغير حتى يبدو جمال الثوب ، وإذا كانت مرتدية ثوبا واسعا فمن الأفضل أن تجلس على الرمل وتفرد الثوب حولها ليبدو جماله أوضح ..

وجرت الأحاديث بين البنات .. كلهن يتحدثن ، وكلهن يستمعن .. وكلهن يضحكن .. وكلهن يتبعن من بعيد مواكب الشبان وهم يسيرون على الرصيف الملاصق لصف الكبائن ..

وصاحت نبيلة :

– عبدالحليم حافظ أهو .. يا اختى عليه .. تعرفى إنه خاسس شوية ..

وقالت ناهد وهى تهز كتفيها :

– ده بقه مغرور قوى .. شوفى ماشى يزحف برجليه إزاى.

وقالت سعاد :

– حرام عليكى .. ولا مغرور ولا حاجة .. هم البنات اللى مزهقينه فى عيشته ..

وقالت ناهد :

– أنا ما يعجبنيش .. صحيح يعجبنى صوته .. إنما هو ، لأ .

وتتبعت بعينيها عبدالحليم حافظ وهو يسير بجوار صف الكبائن .. وانطلق خيالها .. هل يمكن أن يحبها عبدالحليم .. ويغنى لها .. ويعرف الجميع أنه يحبها .. وتكتب المجلات عنه وعنها .. و .. يتزوجها ..

ولم تستمر فى خيالها طويلا .. طردت عبدالحليم من رأسها . إنه خيال لا جدوى من ورائه . خيال لا يمكن أن يتحقق ..

وعادت تنظر من تحت جفنيها إلى مواكب الشبان .. وتعلقت عيناها بشاب آت من بعيد .. وأحست كأن قلبها يكاد ينخلع .. إنه هشام .. وخصلة من شعره تطير فوق جبينه .. وقميصه الأبيض الشفاف يضج فوق صدره ، ويكشف عن جلده الأسمر .. وبنطلونه الأزرق يتعلق بأسفل خصره .. وعيناه الواسعتان الساخرتان .. وشفتاه الرقيقتان القويتان .. إنها تراه هكذا كل عام .. إنه لم يكن صغيرا أبدا ، ولا يكبر أبدا .. إنه هكذا دائما .. وهى تعرف عنه كل شىء .. إنه ابن الدكتور عبداللطيف .. وهو طالب فى كلية الطب .. ويملك سيارة « أولدزموبيل » موديل « ٥٧ » .. وأخته تزوجت فى العام الماضى .. وفى العام الماضى كان يحب صافيناز خيرت ..

وقالت مشيرة هامسة ، كأن صوتها اختنق من فرط إعجابها :

شوفى الشوشة اللى جاية دى ..

وأرخت ناهد عينيها ، وقد خشيت أن تكون صديقتها قد لاحظت تعلقها بهشام ، وقالت :

– قصدك مين ؟

وقالت مشيرة :

– هشام عبد اللطيف .. نفسى أمد إيدى وأشده من شوشته .. وأخلص ..

وقالت ناهد :

– دمه تقيل ..

وقالت مشيرة فى حماس :

– والنبى تتلهى .. كله إلا هشام !

وقالت ناهد فى إهمال :

– مش هو ده التى بيحب صافيناز خيرت ..

وقالت مشيرة :

– ما سابو بعض من آخر الصيف اللى فات ..

وزغرد قلب ناهد فى صدرها وهمت أن تقوم من مقعدها ، وتجرى إلى هشام وتلقى بنفسها فى قلبه قبل أن تشغله بنت أخرى .. ولكنها ضبطت أعصابها ، وكتمت فرحتها ، وظلت جالسة فى مكانها .. إنها تعلم أن من تقاليد البنات الارستقراطيات ألا يبدأن فى التمشى على رصيف الشاطىء قبل الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر .. وهى تريد أن تتمشى .. تريد أن تعرض جمالها وثوبها على هشام .. ولكن ليس قبل الساعة الواحدة والنصف .

وظلت ترقب هشام فى نظرات مختلسة لا تلحظها صديقتها .. لقد دخل إلى الكابين .. إنه يلعب الطاولة مع صديقه .. إنتهى من لعب الطاولة .. إنه يضحك .. إنه قام وجلس فوق سور الكابين ، وعيناه الواسعتان تلتهمان البنات ..

وأصبحت الساعة الواحدة والنصف ..

وقامت ناهد تتمشى مع صديقتها مشيرة على رصيف الشاطىء ..

ومرت من أمام هشام .. ولمحت عينيه تتعلقان بها .. ولكنها لم تلتفت إليه ، ولم تبتسم .. كانت جادة .. غاية الجد .. والتفتت إلى صديقتها لتحادثها .. لتقول لها أى كلام .. فوجدتها تبتسم .. لمن تبتسم .. لهشام ؟

وأمعنت النظر فى وجه صديقتها .. إنها جميلة .. إنها منافسة خطرة .. وقالت لها فى حدة ، تحاول أن تخفيها بابتسامتها :

– بتضحكى لمين ؟

وقالت مشيرة :

– أبدا ..

وقالت ناهد :

– لا يا شيخة .. تكونيش بتضحكى لى أنا ..

وقالت مشيرة وهى تضحك :

– يمكن ..

وكتمت ناهد حدتها .. وبدأ عقلها يعمل بسرعة .. يجب أن تتخلص من صديقتها هذه .. يجب ألا تتمشى معها .. إذا كانت ستنافسها فى هشام ، فخير لها أن تنافسها من بعيد ، حتى لا تحمل الثعبان داخل ثوبها ..

وانتهيتا إلى آخر الشاطىء .. واستأذنت من صديقتها فجأة وقالت مشيرة :

– أخصى عليكى ، حاتسبينى أرجع لوحدى ..

وقالت ناهد وهى تفتعل ابتسامة كبيرة :

– معلهش والنبى يا موشى .. أصل ماما مستنيانى فى نمرة اتنين .. باى باى ..

وتركت صديقتها فجأة ، وذهبت فى خطوات سريعة إلى

أمهـا وأبيهـا على شاطىء سيـدى بشر نمرة « ٢ » .. وعـقلها يدور ويدور .. يدور أسرع من خطواتها ..

وقضت بقـية اليوم ، وطول الليـل ، تضع خطتها .. وتعـيد وتقلب فى تفاصيلها .. وخـيالها ينطلق .. وينطلق .. حتى رأت بخيالها صورتها بجـانب هشام منشورة فى المجلات .. صـورة الزفاف ..

وفى اليـوم التـالى ذهبت إلى الشـاطىء ، واخـتـارت شلة أخرى من البنات تجلس معها .. شلة ليس بينها مشيرة .. وفى الساعة الواحدة والنصف ، قامت تتـمشـى مع صديقة أخرى .. بنت قصيرة ليست جميلة .. ليست جميلة أبدا ..

ومرت من أمام هشام ..

ولمحت عينيه تتبعانها .. ثم سمـعت صفيرا خافتا ينطلق من بين شفتيه .. ثم أحست به يقـفز من فوق سور الكابين ويسير وراءها بضع خطوات .. إنهـا تسـتطيع أن تراه دون أن تلتـفت خلفـهـا .. كأن لهـا عـينين فى مـؤخـرة رأسـهـا .. إنهـا تراه بإحساسـها .. بالحاسة السادسة .. ولم تبتسم .. لم تبتسم له . إنها جادة .. غاية الجد .. لم يحن بعد موعد الابتسامة ..

وفى اليوم التالى ابتسمت .. ابتسامة خفيفة ..

ولمح هشام ابتسامتها ، ولكز زميله بكوعه وقال :

– علقت .. عن أذنك بأه ..

وسار خلفها ..

وأحست به خلفهـا .. وتحركت العقدة التى تعانيـها دائما .. خافت أن يلحظ الاعـوجاج الخـفيف فى ساقـيها .. الاعـوجاج الذى لا يلحظه أحد .. وارتبكت خطواتها قليلا .. ولكنها طمأنت نفسـهـا بأن ثوبها طويل إلى الحد الذى يخفى عيبـها .. وأخذت

تحادث صديقتها كأنها لا تحس به .

سار خلفها طويلا .. وكانت تعرف ماذا يريد .. إنه ينتظر إلى أن يصلا إلى آخر الشاطىء حيث يخف زحام الناس ، ثم يتقدم ليحادثها ..

وقبل أن تصل إلى آخر الشاطىء .. تركت الرصيف ، وقفزت فوق السور الحجرى الذى يفصل بين صف الكبائن ورمال الشاطىء .. وسارت فى الرمل إلى أن وصلت إلى شمسية يجلس تحتها بعض صديقات والدتها ، وجلست معهن .. وهى تبتسم فى صدرها .. لقد تعمدت أن تفسد خطته .. يجب أن تعذبه وراءها .. تعذبه قليلا ..

ووقف هشام ينظر إليها دون أن يتبعها فوق الرمال ..

وأخذ يهرش فى رأسه .. وبين شفتيه ابتسامة ساخرة كأنه يعرف أنها تتعمد أن تتعبه وراءها ..

ومرَّ اليوم ..

وفى اليوم التالى ابتسمت له ابتسامة أكبر .. وقام يسير خلفها .. وسارت أمامه حتى نهاية الشاطىء ، وقدرت أنه هنا سيقدم على التحدث إليها .. وقبل أن يقدم ، التفتت إليه فجأة وفى عينيها نظرة غضب مفتعلة ، وشفتيها ترتعشان بابتسامة ، وقالت فى حدة أقرب إلى الضحك :

– عايز إيه ؟

وفوجىء هشام .. وابتسم ابتسامة بلهاء .. ولكنه أفاق من المفاجأة سريعا ، ووقف قبالتها ، ووضع يديه على خاصرتيه ، وقال وهو ينظر إليها بعينيه الساخرتين :

– عايزك !

قالت وهى لا تزال تفتعل الحدة :

- عايز منى إيه ..
قال وابتسامته تتسع :
- عايز امشى وراكى طول عمرى ..
قالت وقد خفت حدتها :
- دمك تقيل ..
قال :
- خفة دمك تكفينا إحنا الاتنين !
قالت وهى تبتسم له فى تحد :
- ما أظنش .. دمى مش خفيف للدرجة دى .
قال دون أن يرتبك :
- انتى حاتعملى إيه النهارده بعد الضهر ..
قالت :
- مالكش دعوة !
قال :
- وبكره ؟
قالت :
- برضه مالكش دعوة ؟
قال :
- وزى النهاردة ، السنة الجاية ؟
وضحكت ناهد .. ضحكت من كل قلبها .. ثم قالت :
- تعرف أن دمك مش تقيل قوى ..
وقال وقد سحب ابتسامته ، ونظر إليها نظرة جادة :
- أنا لازم أشوفك يا نانا .. فيه حاجات كتير عايز أقولها لك ..
قالت وهى تبتسم ابتسامتها الواسعة ، ووجنتاها ترتعشان:

– وعرفت اسمى منين ؟

قال :

– أنا عارف كل حاجة عنك.. وعارف إنى لازم أشوفك.. و..

قالت فى عجلة كأنها تذكرت شيئا :

– مش دلوقت بأه .. بعدين ..

وتركته دون أن تحييه ..

ووقف يتبعها بعينيه ..

وسارت بضع خطوات ، ثم التفتت إليه ، ومنحته ابتسامة أخرى .. وتلقى هشام الابتسامة ثم استدار وسار متجها إلى كابينه .

ولم تكد ناهد تسير بضع خطوات أخرى ، حتى وجدت محمد أمامها ..

وأحست كأن يدا قد امتدت لتخنق أحلامها ..

أحست بقطعة من قلبها تتململ وتثور .. القطعة الحائرة .. ووقفت ناهد ..

ولا تدرى لماذا وقفت ، لقد كانت تفضل أن تستمر فى سيرها ، وتكتفى بأن تحيى محمد بهزة من رأسها .. ولكنها وقفت .. كأنها أفاقت من حلم .. وأحست بنفسها تعود فجأة إلى شارع الملك .. إلى عالم لا تكتب عنه المجلات ، وليس فيه شبان يملكون سيارات .. عالم كل شاب فيه موظف يتقاضى خمسة وعشرين جنيها فى شهر ، ويفكر فى الزواج قبل أن يفكر فى الحب ..

وسبقتها صديقتها ووقفت بعيدا عنها ببضع خطوات .. ومد لها محمد يده ، وقال فى صوته الحاد المليء وبين شفتيه ابتسامة ضيقة :

- ازيك يا ناهد .. الحمد لله على السلامة .. وازى عمى وطنط وسامى ..

ووضعت يدها فى يده ثم جذبتها سريعا كأنها تخاف أن يسرق من خلالها أحلامها ، وقالت وهى تنظر إليه بعينين مرتبكتين :

- الله يسلمك .. وازى طنط .. خديجة جت معاك ؟!

قال وهو ينظر إليها بعينين ملؤهما حب هادىء :

- لا والله .. حا يحصلونى بعد يومين .. وأنا قلت أسبقهم قبل أجازتى ما تخلص .. انتم نازلين فين ؟!

وعادت تنظر إليه بعينين مرتبكتين وهى تسائل نفسها : هل شاهدها وهى تحادث هشام .. ثم أحست بالثورة على نفسها لهذا التساؤل .. ماذا يهمها إذا كان قد شاهدها أو لم يشاهدها .. إنه لا شىء بالنسبة لها ، فلماذا تقيد نفسها به .. ولماذا تخافه ..

وقالت وهى تتعمد أن تبدو باردة :

- نازلين فى سيدى بشر ..

وقال محمد ونظرته ثابتة :

- فين بالضبط .. ولا مش عايزانى أزوركم ..

قالت فى سرعة كأنها تريد أن تتخلص منه :

- فى شارع الطفولة السعيدة .. نمرة ١٨ .. جنب المحطة .. عن اذنك بأه ، أصلى اتأخرت على ماما .. أوريفوار ..

وصافحها .. ثم وقف يتبعها بعينين مهذبتين ..

وسارت مبتعدة عنه كأنها تفر منه .. ووجدت نفسها تقارن بينه وبين هشام .. وأحست كأنها تتعمد أن تظلمه فى هذه المقارنة .. إنه إنسان جاد .. إن الحياة لا تبتسم من حوله .. إنها

لا تستطيع أن تفكر فيه إلا وتفكر فى مسئوليات الحياة .. كلما تصورته تصورت نفسها فى المطبخ تعد صينية بطاطس ، أو تخرط الملوخية .. وتصورت نفسها حاملا .. بطنها منتفخ .. وتصورت نفسها تحاسب البقال والجزار كما تفعل أمها .. ولكن هشام .. إنها كلما تصورت هشام ، تصورت نفسها فى مغامرة غرامية عنيفة ، يذوب فيها قلبها وعقلها .. وتصورت نفسها تضحك وترقص ، وتشترى ثوبا جديدا .. وتركب سيارة « أولدز موبيل » موديل « ٥٩ » .. ورغم ذلك فإن قطعة من قلبها لا تريد أن تقتنع بهذه المقارنة .. قطعة من قلبها تحس بأنها تظلم محمد .. تظلم رجولته القوية .. وتظلم خلقه المهذب .. وتظلم حبه لها .. الحب الجاد الذى لا يعرف سوى الطريق المستقيم ..

وعادت تتساءل .. لماذا لم يحاول محمد أن يحدد معها موعد لقاء كما يحاول هشام .. لماذا يا ربى .. لماذا لا يحاول أن يملأ حياتها بالحب .. والمغامرة .. لماذا لا يحاول أن يملأ أحلامها ، قبل أن يملأها غيره .. ولكن ، لا .. إنه لا يسألها عن موعد لقاء ، ولكنه يسألها عن عنوان بيتها حتى يذهب ويجلس مع أبيها وأمها ، وكأنها وحدها ، بلا أبيها وأمها ، لا تستحق أن يجلس معها ، فى موعد مختلس .. كأنها شىء يتفق عليه مع الأب والأم ..

لا .. إنها لن تستجيب الى هذه الحياة .. لن تضيع عمرها بلا مغامرة حب . ستنطلق .. ستنطلق مع هشام ..

ونظرت إليها صديقتها وهى تحاول أن تحلق بخطواتها السريعة .. وقالت وعيناها تلمعان :

– مين اللى كنت بتكلميه ده ؟

والتفتت إليها ناهد فى دهشة ، وقالت :

– ليه .. عاجبك ؟!

وقالت فايزة :

– باين عليه راجل .. مش زى الشبان المرقعين .. أنا يعجبنى أكثر من هشام ..

وقالت ناهد وهى تسحب عينيها بعيدا عنها :

– انتى طول عمرك ذوقك وحش .. على كل حال أما نقابله النوبة الجاية حاعرفك بيه ..

وقالت فايزة في حرارة :

– لأ .. مش عايزاه .. ده باين عليه بيحبك قوى ..

واستراحت ناهد عندما سمعت صديقتها تشهد بحب محمد لها .. ولكنها طردت هذه الراحة من قلبها ، ومن عقلها .. وعادت تنظر إلى صديقتها فى نظرات مختلسة .. إنها ليست جميلة .. وفتاة ليست جميلة يكفيها أن تطمع فى شاب مثل محمد .. مرتبه لا يزيد عن خمسة وعشرين جنيها فى الشهر .. شاب يتزوجها قبل أن ينعم معها بالحب ، وكأنه يطلبها إلى بيت الطاعة .. أما هى .. ناهد .. فهى جميلة .. ومن حقها أن تنعم بالحب .. من حقها أن تطمع فى دنيا براقة ، تفيض بالذهب ، والأنغام ، والثياب الأنيقة .. من حقها أن تطمع فى هشام ..

وعادت إلى بيتها وقد قررت ألا تقدم محمد إلى فايزة .. لا تدرى لماذا .. ولكنها لن تقدمه لها ، كأنها تأبى أن تقرضها ثوبها ..

٢

وفى اليوم التالى ذهبت ناهد إلى الشاطىء .. وقامت تتمشى وقام هشام يسير خلفها .. وكانت قد قررت أن تمنحه فرصة أخرى ليحادثها .. ولكنها كانت عصبية .. كانت تشعر بنوع من الخوف .. ممن تخاف .. إنها تخاف أن تلتقى بمحمد .. ولكنها ترفض أن تعترف بأنها تخاف محمد .. إنها لا تخافه .. ولا تخاف أن يراها تحادث هشام .. إنه لا يملك حقا عليها .. ولا يهمها أن يغضب أو يلقى بنفسه فى البحر .. ورغم ذلك فهى تخاف .. نوع عجيب من الخوف .. قلبها يضرب .. ومفاصلها سائبة .. وأعصابها مشدودة .. كأنها مقبلة على مغامرة كبرى ، أو على جريمة كبرى ..

ووصلت إلى آخر الشاطىء .. ثم صعدت السلم المؤدى إلى صخور بير مسعود ، ثم انحرفت فجأة ، ودخلت فى ممر ضيق يفصل بين كبينتين .. ولحق بها هشام .. ووقف قبالتها .. وخصلة من شعره تطير فوق رأسه ، وقميصه الأبيض الشفاف يضج فوق صدره الأسمر ، وبنطلونه يعلق بأسفل خصره .. وعيناه الواسعتان الساخرتان .. وشفتاه الرقيقتان القويتان ..

وقالت ناهد فى همس مبهور :

– ما تقفش قدامى كده .. أنا خايفة حد يشوفنى ..
وقال هشام وعيناه الساخرتان تبتسمان :
– ما فيش حد حايشوفنا .. ولو حد شافك أبقى قولى إنى أخوكى ..
وقالت ناهد وهى تنظر إليه ورموشها ترتعش فوق عينيها :
– أنا ما بهزرش دلوقت يا هشام .. أصل طنط ساعات بتفوت من هنا ..
قال وهو يضع يديه فى خاصرتيه :
– أحسن حاجة ، أروح أجيب العربية و ..
وقالت تقاطعه ، وهى تفتعل الجزع :
– يا خبر .. عايزنى أركب معاك العربية .. مش ممكن ..
قال :
– طيب ننزل البحر ..
قالت :
– لا .. مش ممكن برضه .. ده أخويا ما بيخرجش من البحر !
قال :
– ما فيش إلا إنى أروح آجر طيارة ، وأقعد أكلمك فيها ..
قالت وهى تبتسم ابتسامة كبيرة :
– أهى دى فكرة كويسة .. أول ما تجيب الطيارة ، حاستناك فوق سطوح بيتنا ..
ولم يضحك هشام .. ولكنه مد يده والتقط يدها وضغط عليها بقوة ، وقال فى صوت صارم :
– نانا .. أنا لازم أشوفك .. حرام عليكى تضيعى عمرى وعمرك بالشكل ده ..

وأحست كأنه يعصر يدها .. لم تحس بالحب الذى تلمسه في يد محمد ، ولكنها أحست بشيء آخر ، لم تستطع أن تفسره ..

شيء خطر .. شيء مختلس مسروق .. شيء يجعلها تخاف .. تخاف من نفسها .. ورغم ذلك فقد أحست بيدها تلتصق بيده .. كأنها التقت بأحلامها .. وبذلت مجهودا لتسحب يدها منه .. وقالت وصوتها يرتعش :

– سيبنى دلوقت يا هشام .. أنا خايفة حد يشوفنا قال فى إصرار :

– مش حاسيبك .. حافضل واقف قدامك كده ، لغاية ما تقوليلى حاقابلك إمتى ، وفين ..

قالت وهى تنظر إليه كأنها معجبة بإصراره :

– يوه يا هشام بأه .. من فضلك أوعى من وشى ..

قال وهو ينظر إليها بكل عينيه :

– قولى لى الأول حانتقابل إزاى ..

قالت وهى تتنهد فى افتعال كأنها غلبت على أمرها :

– فى البحر .. الساعة خامسة .. أوعى بأه !

وابتسم هشام فى اعتداد ، وكأنه فاز بها ..

ثم انحرف من أمامها ، وتركها تمر من الممر الضيق وقال :

– باى ..

قالت وهى تبتسم له :

– باى ..

ثم عادت تسير فى خطواتها السريعة .. وهى تسأل نفسها : هل تسير خطتها كما أرادت لها ، أم أنها تسرعت قليلا .. ألم يكن من الأفضل لها أن تؤخر موعدها الأول معه ،

بضعة أيام .. وهل تستطيع الآن أن تخلف موعده .. ولكن ربما كان عنيدا ، فيهملها إذا أخلفت موعدها ، ويبحث عن بنت أخرى .. لا .. إنها لا تستطيع الآن أن تخلف موعده ..

وعادت فى الساعة الرابعة إلى الشاطىء ، وجلست مع صديقتها فايزة تحت الشمسية .. ولمحت هشام جالسا فى الكابين ، وهو مرتد « المايوه » كأنه مرتد الثوب الرسمى للقائها .. وصدره الأسمر العارى يلوح أمامها كمرآة سمراء تزغلل عينيها ..

وقلبها يخفق .. إنها لا تزال خائفة .. وتتلفت حولها لفتات عصبية .. وتتمنى على الله ألا يأتى أخوها .. أو .. محمد .. ولكن لماذا تذكر محمد دائما .. ماذا يهمها منه .. إنها مقدمة على مشروع ضخم يحقق أحلامها .. مشروع سيحملها بعيدا عن محمد وأخت محمد ودنيا محمد .. فلماذا تفكر فى محمد ..

وحاولت أن تطرد محمد عن رأسها .. ولكنه كان لا يزال يطل من خيالها فى كل لفتة .. وهى لا تزال خائفة ..

وأصبحت الساعة الخامسة إلا ربعا .. ولمحت هشام يروح ويجىء أمام عينيها ، كأنه يذكرها بالموعد .. وتمنت أكثر ألا تذهب إلى هذا الموعد .. إنها تحس أنها ستعدل عنه .. تحس أنها حمقاء غبية ، إذ قبلت أن تحدد موعدا معه .. ولكن كان هناك دافع آخر يدفعها إليه .. كأن رائحة شواء لذيذ تشدها من أنفها .. ووجدت نفسها تقوم وهى تتنهد ، كأنها تعبت من حيرتها .. ثم انحنت فوق اذن فايزة وهمست :

– أنا نازلة البحر .. وإذا جه الواد أخويا أوعى تخليه ينزل ورايا ..

وابتسمت فايزة ، كأنها فهمت كل شىء ، وقالت فى هدوء :

– ما تخافيش .. حا أقعد ألاعبه السيجة !

ثم سارت إلى كابين صديقتها مشيرة حيث كانت تحتفظ فيها بالمايوه ، ودخلت صائحة فى مرح متكلف :

– مش نازلة البحر يا موشى ؟

وقالت مشيرة وهى تنظر إليها ساخرة :

– لا يا أختى .. سبت البحر واللى فيه لك ..

وضحكت ناهد ثم دخلت إلى غرفة الكابين .. وخلعت ثيابها ، ثم وقفت أمام المرآة ، تصلح من شعرها ، وتعيد وضع الأحمر الخفيف فوق شفتيها .. ثم خرجت وهى ممسكة بقبعة البحر الجلدية تلوح بها فى يدها ..

وقالت مشيرة وهى تنظر إليها ولا تستطيع أن تخفى حقدها :

– أنا شايفة المسائل ماشية بسرعة قوى ..

وقالت ناهد وهى تحاول أن تضحك :

– أبدا والله ، لا مسائل ولا حاجة .. ده أنا نازلة البحر لوحدى ..

وقالت مشيرة ساخرة :

– طيب أوعى تغرقى .. خليكى على الشط أحسن لك ..

وقالت ناهد وهى تبتسم ابتسامة تحد :

– ما تخافيش على ..

وتركتها واتجهت إلى البحر وهى تضع يديها أمام ساقيها كأنها تخفيهما حياء .. ثم أخذت تعدو كأنها تهرب من عيون الناس .. أو تهرب من عقدتها .. من الاعوجاج الخفيف فى ساقيها . واختفت ابتسامتها .. وعادت إليها حيرتها .. ماذا تفعل .. ولماذا تنزل البحر مع هشام .. ولكنها لا تستطيع أن

تفـعل شيـئـا آخر .. إنهـا لا تستطـيع أن تعيش بلا أحـلام .. ولا تستطيع أن تعيش دون أن تجرب أحلامها ..

ووضعت القبعة الجلدية فوق رأسـها وخاضت بقدميها فى الماء .. وأحست أن الماء لزج يلتصق بجلدها .. وأحست أن البلل أصاب قلبهـا .. واستمرت تخـوض فى الماء .. وكانت واثقة أن هشام يتبعهـا .. إنه وراءها ، أو على يمينها ، أو على يسارها .. لا تدرى .. ولا تريد أن تلتفت باحثة عنه .. وأصبح جسدها كله فى الماء ، وبدأت تحرك ذراعـيهـا وساقيـها ، سـابحة .. وهـى ساهمـة .. عقلها شارد .. لا تسـتطيع أن تركزه فى شـىء .. ثم أحست به قـريبا منها ، يضـرب الماء بذراعيه فى قـوة ، ويقبل عليها كأنه « لنش » يكاد يدهمها ..

والتفتت إليه بسرعة ، وقالت فى ذعر :

– أبعد دلوقت يا هشام .. استنى لما نخش جوه شوية !

ولم تكن تخاف أن يراها أحد ، ولكـنها كانت تريد أن تؤجل مـوعـدها معـه ولو بضع دقـائق أخـرى ، ريثـمـا تستـجـمع شـجاعتها ، وصفاء عقلها .

ولم يبتعد عنها هشام .. ظلت تـسبح ويسبح بجانبها ، إلى أن وصلت إلى « البرمـيل » الأحمر .. فـتعلقت به كأنهـا تتعلق بالخطر .. وتعلق به هو الآخـر .. وقال وهو يقـذف برأسـه إلى الوراء فى عنف ، لينفض عنها الماء :

– ما تكملى لغاية الصخرة ..

قالت وهى تختبىء بوجهها خلف البرميل :

– لأ .. هنا كويس ..

قال :

– على كل حال كويس إننا وصلنـا لغاية هنا النهارده .. أنا

كنت خايف إننا مـا نوصلش لحتة أبدا .. ده انتى بقالك جـمعة مخليانى زى المجنون .

قالت وقد استعادت صفاء ذهنها :

– وطبـعـا بكره حانـوصل لغاية الـصخـرة .. وبعـد بكره حاركب معاك فى العربية .. مش كده .

ونظر إليها فى إمـعان كأنه يحاول أن يرى مـا فى رأسـها ، وقال مبتسما :

– كده تمام ..

قالت :

– وبعدين ..

قال كأنه يتحداها فى جرأتها :

– وبعدين حابوسك ..

قالت دون أن تبدو عليها المفاجأة :

– وبعدين ..

قال :

– أول ما نوصل للبوسة ، حاقول لك بعد كده فيه إيه ..

وسكتت .. أحـست أنه سيـغلبهـا فى هذا الموضوع ، وإنـها لو استمـرت فيه فستـشجعه على مزيـد من الوقاحة .. وظلت ساكنة ، بينما هو يحاول أن يدور حول البرميل ليلتصق بها .. ثم قالت فجأة :

– وإزاى صافيناز ؟

وخفتت وقاحته ، وقال فى صوت مرتبك :

– صافيناز مين ؟

قالت وهى تبتسم :

– قوام نسيتها .. صافيناز خيرت ..

قال وهو لا ينظر إليها كأنه يخشى أن ترى عينيه :
– آه .. ما خلاص .. كل سنة وانتى طيبة !
قالت :
– هوه انت كل سنة لك واحدة !
قال :
– فيه واحدة تستحمل شهر .. وواحدة تستحمل سنتين .. على حسب ..
ثم نظر إليها وقال وفى عينيه نظرة جادة :
– أنا متهيأ لى إننا نقدر نستحمل بعض طول العمر ..
ونظرت إليه كأنها تحاول أن تصدقه .. ماذا يعنى .. هل يعنى الزواج .. أو أنه مجرد كلام يغريها به .. ورغم هذا فقد أثار هذا الكلام أحلامها من جديد .. بدد خوفها .. وبدد حيرتها .. وأقبلت على تنفيذ خطتها كما وضعتها ..
وسدت أنفها وغطست فى الماء كأنها تغطس فى أحلامها .. ثم ظهرت مرة ثانية فوق سطح الماء ، وعلى شفتيها ابتسامة كبيرة وقالت :
– الكلام ده قلته لكام واحدة قبل كده ؟!
قال وهو يقترب منها :
– قلته لكتير .. إنما ما قدرتش أحققه .. ونفسى موت إنى أحققه .. تعرفى إن ماما شافتك أول إمبارح وقالت عليك أجمل واحدة على البلاج ..
قالت :
– صحيح .. مرسى .. دول بيقولوا عليها إنها ست لطيفة قوى ..
واتسعت أحلامها .. لم تكن تعتقد أن الاحلام يمكن إن

تقترب مـن الحقيقة بهـذه السرعة .. أم أنه يكذب عليـها .. إنها لا تدرى .. ولكن أحلامها أصبحت أقوى من حيرتها ..

واستمـر الحديث بينهما .. حديث طـويل .. لا يرتبط بعضه ببعض .. ولا ينتهى ..

وأحست به يقترب منهـا أكثر .. إن كتفه ملتـصق بكتفها .. وسـرت قشـعريره خـفـيفـة فى بدنهـا .. ولكنها لم تجـفل .. تماسكت .. وافتـعلت حركة طبـيعية ابتـعدت بها عنه .. كـأنها لم تتعـمد الابتعاد عنه .. ثم بعـد قليل .. أحست بقدمـه يخبط بقدمـها تحت الماء .. ثم ساقه تقـترب من ساقهـا .. إنها تحس كأن ساقه تتنفس تحت الماء وهى تقترب منها ..

وفجأة ابتعدت عن البرميل الأحمر ، وهى تقول :

– لازم أرجع بأه ..

ثم أخذت تخبط الماء بذراعيهـا سابحة نحو الشاطىء ، وهو يلحق بها صائحا :

– طيب حاشوفك تانى إمتى ؟

والتفتت إليه قائلة :

– بكره أقـول لك .. أبعـد دلوقت أحـسن أخـويا يكون على البلاج ..

وسبحت بكل قوتها ، حتى وصلت إلى الشاطىء .. وتنهدت كأنهـا وصلت إلى بر الأمـان .. وابتسمـت فى صدرها كـأنها تهنىء نفسها على قـوة إرادتها ، وجرت نحو الكابين ، ودخلت وهى تصيح فى وجه مشيرة :

– هاى ..

ثم بدأت ترتدى ثيـابها .. وقلبهـا يختلج بالفـرحة .. فـرحة لا تدرى سرها .. كأنهـا اتت عملا عظيما .. كأنهـا انتصرت ..

كأنهـا حققت كل أحـلامها .. وخـرجت بعد أن ارتدت ثيـابها ، وقالت لها مشيرة :

– مش تيجي تحكي لي ..

وقالت ناهد وهي تقفز من سلم الكابين :

– ابدا .. ما فيش حاجة ..

قالت مشيرة :

– يا كدابه .. ده أنا شايفاكي بعنية ..

والتـفتت إليـها ناهد برهة ، كـأنها لا تصـدقهـا .. هل رآها الناس وهي تحادث هشام في البحر .. لا .. لم يرها أحد .. إنها تجزم بأن احدا لم يرها .. أم أنها هـامت مع أحلامها فلم تحس بالناس ولم تحس بعـيونهـم ترقبـها .. إنهـا لا تدري .. ورغم ذلك ، فـلا يهم .. فليرها كل الـناس .. إنها لم تفـعل أكثـر مما تفعله كل البنات ..

وقالت لمشيرة وهي تبتعد :

– بعدين حا أحكيلك .. باي !

وسارت إلى شـمسـية صديقـتهـا فايزة .. وانحنت عليـها تسألها :

– حد سأل علي !

وقالت فايزة وهي تبتسم لها :

– ولا حد عبرك !

وضحكت ناهد ثم قبلت صديقتهـا فوق وجنتيها .. وسارت عـائدة إلـى البـيت .. وهي لا تحس بـالناس حـولهـا .. إنهـا سعيدة .. سعيدة جدا ..

ودخلت البيت .. ووقفت مبهوتة .. إن محمد جالس مع أبيها وأمهـا في الشرفة .. ورفـعت يدها ووضعتـها فوق ذراعـها ..

فوق المكان الذى التصق به كتف هشام .. كأنها تدارى سرا .. تدارى ندبة لا تريد محمد أن يراها ..

وقالت أمها :

– تعالى يا نانا .. ده محمد هنا !

وأقبلت على محمد وصافحته وهى لا تريد أن تنظر فى عينيه .

وعادت أمها تقول :

– أقعدى يا حبيبتى ؟

وقالت ناهد وهى تقطب ما بين حاجبيها :

– مش قادرة يا ماما .. أصلى طلعت من البحر عندى صداع ..

واستدارت متجهة إلى غرفتها .. وقال محمد وهو يتبعها بعينين مهذبتين :

– خدى اسبرينة .. وفنجال شاى ..

ولم ترد عليه ..

●●●

ونامت وهشام بين عينيها .. تستعيد كل كلمة سمعتها منه .. وكل لفتة .. وكل لمسة .. وتفسرها تفسيرا يحملها إلى دنيا أحلامها .. لقد قال أنه يريد أن يكون لها العمر كله .. وقال لها أن أمه أعجبت بها .. ونظر إليها كأنه يضمها إلى قلبه .. وأمسك بيدها كأنه لن يتركها ابدا .. و .. و .. وكانت صورة محمد تقفز إلى خيالها من خلال أحلامها ، فتطردها بسرعة ، وتعود تتشبث بهشام كأنها تتوسل إليه أن يفر بها بعيدا .. بعيدا عن بيتها .. بعيدا عن محمد ..

وقامت فى اليوم التالى ، والفرحة يقظى فوق وجنتيها ..

إنها سعيدة .. إنها تغنى .. إنها تقفز بين غرف البيت كأنها ترقص .. إنها تحب كل الناس .. تحب حتى أخيها سامى ..

وذهبت إلى الشاطىء فى ثوب واسع ، وحول خصرها حزام من المعدن المذهب .. يضم خصرها ويضغط عليه فى قسوة .. كأنه خاتم الخطوبة .. وكانت تحس أنها أجمل البنات ، وأرشق البنات .. كانت تحس كأن العيون كلها تتبعها ، والشفاه كلها تتهامس حولها .. إنها واثقة بنفسها ، كأن الزمن كله بين يديها .

وجلست تحت شمسية صديقتها مشيرة ، بين شلة كبيرة من البنات .. إنها لم تعد تخاف من منافسة مشيرة لها .. إن هشام قد أصبح لها ، وأمه معجبة بها .. وليس لمشيرة ولا لأى بنت أخرى أمل فيه ..

وقالت مشيرة وهى تنظر إليها فى حقد تحاول أن تداريه بابتسامتها :

– مالك فرحانة كده .. تكونيش بتحبى !!

وبوغتت بالسؤال ..

إنه سؤال جديد عليها ..

إنها لم تسأل نفسها أبدا ، إذا كانت تحب هشام أو لا تحبه .. إنها فرحة به .. إنه يمثل أمامها حلما عاشت فيه طويلا .. ولكن هل تحبه ؟

إنها لا تدرى ..

ربما كانت تحبه ..

نعم .. إنها تحبه ..

وخيل إليها أن قلبها يخفق ..

وقالت لمشيرة دون أن تنظر إليها :

- ولا باحب ولا حاجة .. إنما فرحانة بيكى !

وأطلقت عينيها نحو صف الكبائن تبحث عن هشام ورأته واقفا مستندا على سور الكابين ينظر إليها من بعيد .. وابتسمت له بشفتيها ، وعينيها ، ووجنتيها .. ثم خيل إليها أنه لا يرى ابتسامتها .. ففتحت شفتيها أكثر ..

وصاحت نينى :

- حاسبوا يا بنات الجدع بتاع مجلة الدنيا جاى ناحيتنا ..

وقالت ميمى :

- يا باى .. دمه ثقيل .. أنا حاقوم من هنا ..

واقترب رجل يرتدى ثيابا كاملة ، ويحمل فوق كتفه آلة تصوير .. وبحركات لا إرادية اعتدلت ناهد فى جلستها .. وفردت ثوبها حولها .. ثم أشاحت بوجهها عن القادم كأنها لا تراه ..

ووقف الرجل قبالة الشمسية ، وقال فى أدب سمج :

- صباح الخير .. تسمحى يا مدموازيل مشيرة ناخدلكم صورة ، وانتم قاعدين كده ..

وقامت ميمى من تحت الشمسية ، وذهبت بعيدا ..

وقالت نينى :

- لأ .. بلاش .. أعمل معروف .. كفاية اللى بيحصل لنا من تحت راسكم ..

وقال الأستاذ فريد :

- يا افندم دى صورة حاتطلع على الغلاف ..

وقالت مشيرة :

- الصورة اللى نشرتها لى النوبة اللى فاتت كانت وحشة خالص .. بأه أنا وحشة كده !

ولم تتكلم ناهد ، ظلت مشيحة بوجهها كأنها لاتسمع ما يدور حولها ..

وكان الأستاذ فريد قد أخرج آلة التصوير ، وصوبها نحو البنات .. ورفعت مشيرة يدها صارخة :

– استنى شوية ..

ثم اعتدلت فى جلستها ، وساوت شعرها بيديها ، ووضعت بين شفتيها ابتسامة كبيرة ..

وأدارت ميمى رأسها ، حتى تبدو فى الصورة كأنها لم تكن منتبهة .. وظلت ناهد مشيحة بوجهها .. وفى اللحظة التى هم الأستاذ فريد بالتقاط الصورة .. التفتت إليه فجأة ، وفوق شفتيها ابتسامة حلوة تكشف عن أسنانها ..

والتقطت الصورة ..

والتقطت صورة أخرى ..

وصاحت ناهد :

– انت خدت صورة ؟

وقال الأستاذ فريد في خبث وكأنه يعرف هذا النوع من البنات :

– أيوه يا أفندم ..

وصاحت ناهد :

– أعمل معروف ما تنشرهاش .. ده بابا يموتنى ..

ثم التفتت إلى مشيرة قائلة :

– موشى .. أعملى معروف قولى له ما ينشرش الصورة ..

وقالت مشيرة فى برود :

– بلاش تنشرها يا أستاذ فريد ..

وقال فريد :

- أورفوار يا أفندم .. مرسى .. متشكرين .
وابتعد عن الشمسية .. وقالت ناهد لمشيرة :
- تفتكرى حاينشر الصورة ؟
وقالت مشيرة :
- أنا عارفة يا نانا ..
وقالت نانا :
- يا خبر .. حقه لو نشرها .. ده بابا ما يسكتش .. يمكن يمنعنى انزل البلاج ..
وقالت مشيرة وهى تنظر إليها فى خبث :
- ابقى قولى إنك ما خدتيش بالك ، وهم بياخدوا صورتك..
وقالت ناهد :
- إنما تفتكرى إنه عارف اسمى ؟
وقالت مشيرة :
- ده تلاقيه عارف اسمك ، وكل حاجة عنك .. هو انتى شوية ..
وقالت ناهد فى همس مفتعل :
- يا خبر ..
وسكتت ، والفرحة تزغرد فى صدرها .. إن صورتها ستنشر فى المجلة .. لن تكون أقل من البنات الارستقراطيات ..
وقامت من تحت الشمسية ، وسارت إلى شمسية صديقتها فايزة ، واخذتها معها ، ثم سارتا على الرصيف المقابل لصف الكبائن ..
وتبعها هشام ..
وعندما وصلت إلى آخر الشاطىء ، التفتت إليه ، وقالت هامسة فى عجلة :

- أنا حانزل البحر الساعة خامسة ..

وقال هشام وهو يضع يديه فى خاصرتيه وينظر إليها بكل عينيه :

- ما بلاش البحر النهارده .. نتقابل فى حتة تانيه ..

وقالت بسرعة وهى تبتعد عنه :

- لا .. ما أقدرش !

وأسرع وراءها قائلا :

- أصل عندى برد ..

والتفتت إليه فى لهفة كأنها كادت تصدقه ، ثم قالت بعد أن لمحت ظل ابتسامة بين شفتيه :

- طيب خليك فى بيتكم .. وأنا حانزل البحر .. أنا ما عنديش برد ..

ثم أسرعت بعيدا عنه ..

●●●

وفى الساعة الخامسة نزلت إلى البحر .. ولم تلتفت حولها باحثة عن هشام .. إنها متأكدة أنه سيلحق بها .. لا ، ليست متأكدة .. إنه قد لا يأتى .. قد يحاول أن يعاندها حتى يعودها على أن تخضع لأمره .. وبدأت تفقد ثقتها بنفسها .. بدأت تحس أنها ليست أجمل البنات ، ولا أرشق البنات .. إن الجميلات والرشيقات كثيرات على الشاطىء ، وربما كان هشام الآن وراء واحدة منهن ..

وخاضت بقدميها فى الماء .. ثم ارتفع الماء حتى أعلى ساقيها .. ثم ألقت بجسدها كله فى الماء وبدأت تسبح .. وسبحت طويلا .. إن هشام لم يظهر بجانبها .. وهى لا تريد أن تتلفت حولها باحثة عنه .. شىء كالكرامة يمنعها .. إنها

لا تريده أن يلمحها وهي تبحث عنه ..

ووصلت إلى البرميل .. وتعلقت به .. وهشام لم يظهر ..

وأحست كأنها على وشك البكاء .. كأنها تسبح فى بحر من دموعها .. دموع لزجة ثقيلة تضغط على صدرها .. وتركت البرميل فى يأس ، كأنها تترك ذكريات الأمس .. تتركها بلا عودة .. وسبحت نحو شاطئ ميامى .. وذراعاها تضربان بالماء فى ضعف واسترخاء كأنها تتنهد بذراعيها .. ثم بعد أن سبحت عدة أمتار .. سمعت من خلفها صوت ذراعين يضربان الماء فى قوة .. كأنه صوت « لنش » يقترب منها ..

إنه هو ..

إنها تعرف وقع ذراعيه فى الماء ، كما تعرف وقع أقدام أبيها عندما يفد إلى البيت ..

وابتسمت .. ولكنها ابتلعت ابتسامتها سريعا .. ولم تلتفت إليه .. وسمعت صوته :

– هاى نانا ..

والتفتت إليه غاضبة وقالت :

– انت مش بتقول عندك برد .. إيه اللى جابك !

قال وهو يبتسم :

– رحت للدكتور ، ووصف لى بنت حلوة .. عنيدة .. اسمها نانا ..

وأشاحت عنه برأسها ، وبدأت تسبح نحو الجزيرة .. فى بطء وهدوء .. وهدأ صوت « اللنش » بجانبها ، كأنه أوقف الموتور .. وبدأ يسبح معها .. كأنهما يسبحان فى الهواء ..

وقال :

– إنتى زعلتى ..

قالت :

- ابدا .. أنا ما كنتش فاكرة إنك جاى ..

وعاد هشام يبتسم ، كأنه يعرف أنها كانت تبحث عنه ..

وعادا يسبحان .. ووصلا إلى الجزيرة .. وخرجا من الماء .. وصعدا إلى الصخر .. وأمسك بيدها يساعدها على أن تسير بقدميها العاريتين فوق البروز الصخرية .. وكأنهما يسيران على شوك .. كل منهما يسير وهو يكاد يسقط على الآخر ..

وقالت وهو يسحبها من يدها فوق الصخر :

- حاتودينى فين يا هشام .. أنا خايفة حد يشوفنا !

قال وهو يبتسم :

- حاوديكى فى حتة ما حدش حايشوفنا فيها .

ثم التفت إليها ، وأستطرد :

- حاسبى تتزحلقى ..

قالت وهى تتمايل فوق بروز الصخر :

- إمسك أيدى كويس ..

وضغط على يدها ، وقد صفت ابتسامته حتى أصبحت حنانا .. حنانا فيه إشفاق .. ثم قادها بين منحنيات الصخر .. كأنه يقودها فى دنيا مسحورة .. ثم أجلسها فى ظل صخرة كبيرة تداريهما عن العيون .. وجلس بجانبها .. والتصق ذراعه بذراعها .. ولم تجفل .. كان كل شىء هادئا حولها وفى داخلها .. وأمامها بركة من الماء الضحل الرائق ، كأنها فص كبير من الزمرد .. وصوت الموج المرتطم بأطراف الجزيرة الصخرية يأتيها من بعيد جدا .. كأنهما ابتعدا عن الأرض .. كأنهما فى السماء ، جالسين فوق قطعة على السحاب ، ولا يصلهما من الناس إلا هذا الضجيج الخافت الذى يأتى من

بعيد .. لقد سبق أن جاءت إلى هذه الصخرة ، مع أخيها ومع صديقتها .. ولكنها لم تحس فيها ابدا بهذا الهدوء ، وهذا الجمال ، وهذا السحر ..

وتنبهت إلى أن ذراعها ملتصق بذراعه .. وسخونته تسرى فى أعصابها .. ولكنها لم تبتعد أيضا .. أحست كأن هذا هو مكانه الطبيعى بجانبها .. وأن ليس هناك ما يدعو إلى الخوف ، أو إلى المقاومة .. لقد كانت تحس بالراحة .. الراحة حتى من أحلامها .. ولم ينظر أحدهما إلى الآخر .. كان كلاهما ينظر إلى بعيد .. إلى البحر الواسع .. وقال كأنه يتكلم فى نومه :

– تعرفى أنا نفسى فى إيه .. نفسى يبقى عندى مركب صغير ، أعيش فيه أنا وانتى ولا نطلعش أبدا منه . نفضل طول عمرنا فى البحر .. ولما نتعب من البحر ، ندور على صخرة زى دى .. نقعد فيها يومين .. وننام فى كهف .. وبعدين نرجع البحر تانى ..

واستمعت إليه بخيالها .. ورأت نفسها كبطلة قصة من قصص المغامرات .. رأت نفسها معه فى المركب الصغير .. والبحر .. وشعرها طائر فى الهواء .. وهى ترتدى ثوبا ممزقا كثوب بطلة أفلام طرزان .. ثم كأنها خافت من خيالها .. فقالت مبتسمة كأنها تفيق نفسها :

– طيب ، لو المركب غرق .. نعمل إيه ؟

قال وهو لا ينظر إليها :

– ولا حاجة .. آخدك فى حضنى ، ونغمض عينينا إحنا الاثنين .. ونموت .. وتبقى أحلى موتة ..

قالت :

– لا.. أنا مش عايزة أموت دلوقت .. مش قبل عشر سنين !

قال وهو يتنهد كأنه ضاق بالحياة :

– حاتعملي إيه فى العشر سنين دول .. اللى ممكن تعمليه فى العشر سنين تقدرى تعمليه فى يوم واحد .. الدنيا ما بتتغيرش .. والحياة كلها عبارة عن سبت وحد واثنين وثلاث .. وبعد ما تخلص الجمعة .. يرجع تانى السبت والحد والأثنين والثلاث ..

ونظرت إليه فى دهشة .. إنها لم تكن تعتقد أن هذه آراؤه .. لم تكن تعتقد أنه قد مل الحياة إلى هذا الحد .. لماذا يملها وهو يملك كل ما يجعله يتشبث بها ، ويقبل عليها .. يملك الشباب ، والغنى ، وسيارة ، وصورته تنشر فى المجلات المصورة ..

وقالت ضاحكة كأنها تخفف عنه يأسه :

– طيب وحاجيب فساتين منين واحنا فى المركب ..

قال كأنه شاعر :

– الناس بتلبس الهدوم علشان تقلعها .. ولو كانوا الناس عاقلين كانوا وفروا القلع واللبس ، وعاشوا زى ما خلقهم ربنا ..

قالت :

– يعنى نفتح نادى للعراة ..

قال :

– فيه ناس عريانين وهم لابسين .. وفيه ناس لابسين وهم عريانين ..

قالت :

– أنا ما كنتش فاكراك فيلسوف كده .. قول لى .. وحناكل منين ؟

قال مبتسما كأنه أفاق من حلمه هو الآخر :

– مش حناكل .. كل ما نجوع نبص لبعض ، نقوم نشبع .. نشبع من عنين بعض ..

والتقت نظراتهما .. وجفلت .. رأت عينيه كأنهما تأكلانها وتشبعان جوعه .. رأتهما تطوفان فوق شفتيها .. وتمسحان فوق عنقها .. وتتسللان فى فتحة « المايوه » لتكشفا صدرها ..

ومالت بعيدا عنه .. وشىء فى داخلها يرتجف حياء ، كأنها تعرت أمامه ، وأبعدت ذراعها عن ذراعه ، وصمتت ..

ولم يحاول أن يلتصق بها .. بل ابتعد عنها هو الآخر .. وأحس بندم على نظرته لها .. النظرة التى كشفت عن رغبته .. أحس أنه تعجل بهذه النظرة ، وأنها أفلتت منه رغم إرادته ..

وعاد يحدثها .. حدثها عن نفسه .. وعن أبيه .. وعن أمه .. وعن ملله من الحياة .. حديثا يختلف عن حديث محمد .. وعن الحديث الذى تسمعه فى بيتها .. حديث ليس فيه مشاكل الخدم ، ولا مشاكل تدبير الحياة .. إنه حديث إنسان شبعان من الدنيا .. شبعان من الأحلام .. حديث شاب مدلل لا يدرى ماذا يريد .. ويختلق المشاكل فى حياته اختلاقا لأن الحياة لا تطاق بلا مشاكل .

وهامت فى حديثه .. واستزادته منه .. كانت تريد أن تعرفه أكثر .. تعرف كل شىء عنه .. كل التفاصيل .. ثم فجأة رفعت رأسها فوجدت الشمس بدأت تغيب .. لقد تعدت الساعة السادسة .. وقالت فى ذعر :

– ياه .. ده إحنا اتأخرنا قوى .. لازم أرجع ..

قال كأنه لا يريد أن تفلت منه :

– نانا ..

والتفتت إليه ، والتقت بعينه .. وخيل إليه إن شفتيها .. قريبتان جدا من شفتيه .. إنه لم يتحرك .. ولكن كانت شفتاه تطلان من عينيه وتقتربان من شفتيها ..

وقالت فى صوت مبهور :

– نعم ..

ولم يرد .. رفع ذراعه ووضعها فوق كتفيها ، وبدأ يقترب من وجهها .. وتمنت أن تستسلم .. أن تغمض عينيها وتنتظر قبلته .. وتستريح وتهدأ بين شفتيه .. تستريح من هذا « المشوار » الطويل الذى رسمته فى خيالها ، والذى يجب أن تسير فيه حتى تنتهى إلى النهاية التى تريدها .

ولكنها قاومت .. بكل إرادتها .. وانتفضت واقفة ، وقالت فى إصرار :

– لازم أرجع ..

وابتسم كأنه يعزى نفسه بابتسامته ، وقال دون أن يلح عليها ..

– وحاشوفك بكره ..

قالت وقد استراحت لأنه لم يلح عليها ، كأنه أعفاها من معركة :

– بإذن الله ..

قال :

– بس مش فى البحر .. ولا على البلاج ..

قالت :

– أمال فين ؟

قال :

– نطلع بالعربية ونروح أى حتة ..

قالت كأنها تحقق معه :

- اشمعنى عايزنى أركب معاك فى العربية ..

قال :

- علشـان أحس إنك بقيتى بتاعتى .. إننا بقينا لبعض .. علشان أحس إنك خايفة منى ..

قالت :

- أما أشوف .. سيبنى أفكر ..

قال :

- أنا حاستناكى بكره الساعة ستة عند أول باب من بلاج نمرة ثلاثة ..

قالت :

- الساعة ستة .. يا خبر .. ما أقدرش ..

قال :

- الساعة أربعة ..

وفكرت قليلا ، ثم قالت وهو يسحبها من يدها فوق بروز الصخرة :

- الساعة اتناشر ..

قال :

- فى عز الضهر ؟!

قالت وهى تتمايل فى سيرها فوق الصخر ، وكتفها يخبط فى كتفه :

- أيوه فى عز الضهر ..

ونظر إليها كأنه يستلهم الصبر ، وقال :

- أمرك .. ما أنا عارف .. انتى ناوية تورينى نجوم الضهر.

وضحكا ..

وسبحا فى الماء .. وافترقا قبل أن يصلا إلى الشاطىء ..
وعندما خرجت من الماء ، رأته أمامها ..
محمد ..
ونظر محمد إليها كأنه يسألها سؤالا ملهوفا .. ثم حول عينيه عنها ، وأطلق نظرته وراء هشام الذى خرج من الماء فى مكان يبعد عنها ..
ولم يقف لتجيب على تساؤله .. جرت نحو الكابين ، فى خطوات مرتبكة .. كانت خائفة .. ليست خائفة فحسب ، إن فى خوفها كثيرا من الحياء .. إنها تخجل من أن يراها محمد وهى فى المايوه .. لماذا تخجل من محمد ، ولا تخجل من هشام ..
إنها لا تدرى ..
وجرت ملتاعة حتى دخلت الكابين لتبدل ثيابها ..

٣

وقضت ناهد يومها حائرة ، وقضت ليلها لا تنام ..

كانت تقف تائهة أمام الدنيا الواسعة المثيرة التى يفتحها أمامها هشام .. وكانت تنظر خلفها إلى الدنيا التى عاشت فيها وعاش فيها محمد .. دنيا ضيقة متزمتة يعيش فيها الناس خلف قضبان من التقاليد .. قضيب يمثل الحلال ، وقضيب يمثل الحرام .. والحلال والحرام كلاهما بارد كالحديد ، قاتم كالحديد ، قاس كالحديد ..

هل تركت دنياها فعلا ؟!

وهل دخلت الدنيا الجديدة المثيرة فعلا ؟

لا .. إنها لا تزال معلقة فى الهواء بين الاثنتين ..حائرة ، متأرجحة ، وزوبعة من حولها تكاد تعصف بها ..

وكانت تفكر فى كليهما فى وقت واحد .. فى محمد وفى هشام ..

هل رآها محمد وهى تسبح مع هشام .. وماذا قرر بينه وبين نفسه .. وما رأيه فيها الان .. هل عدل عن خطبتها .. إنه لم يزرهم .. ولم تكن من عادته أن يزورهم كل يوم .. ولكنها فى هذا اليوم تحس أنه يتعمد عدم زيارتهم .. وتمنت أن يزورهم .. ثم عادت وتمنت ألا يزورهم .. تمنت أن يكون قد

رآها تسبح مع هشام ، وأن يكون قد رأى ذراعها ملتصقة بذراعه ، ورآه وهو يهم بتقبيلها .. وتمنت أن يكون قد سمع حديثهما .. حتى ييأس منها ، ويتخلى عنها .. ويتركها .. يتركها لهشام ..

ولكن .. هل هشام جاد فيما يقوله .. هل هو يحبها .. هل يتزوجها ؟!

وتعجبت من نفسها .. إنها لم تفكر من قبل فى الزواج .. كانت تتمنى أن تلتقى بشاب تحبه .. شاب يملأ حياتها بالمغامرات .. ولم تكن تفكر في الزواج .. كان الزواج امرا مفروغا منه بالنسبة لها لا يأخذ شيئا من تفكيرها .. ولكنها منذ التقت بهشام أصبح الزواج مشكلة .. أصبحت تشك كثيرا فى أنها تستطيع أن تتزوج .. تتزوج هشام .. وأصبح الشك يثير تفكيرها وتساؤلها .

ورغم ذلك .. فحتى لو لم يتزوجها هشام ، فهى فى حاجة إليه ليملأ حياتها بالمغامرة ..بالحب .. بالضحكات .. فى حاجة إليه ليضع فى حياتها سرا ، يثير حولها الشائعات .. ويثير حولها حسد صديقاتها ..

وذهبت إلى الشاطىء فى اليوم التالى ، وهى لا تزال فى حيرتها .. إنها لا ترى شيئا خلال الطريق الذى تسير فيه ، ولكنها مندفعة إليه .. إلى المجهول .. إلى حظها .. إلى قدرها ..

وجلست تحت الشمسية مع صديقتها فوزية ، وهشام جالس قبالتها فى كابينة ..

وأصبحت الساعة الحادية عشرة والنصف ..

وجاء أخوها سامى ، وقال كأنه يأمرها :

– مش نازلة البحر ..

قالت فى برود :

– لا ..

قال وهو لا يزال يأمرها :

– ما تقومى تنزلى معايا ..

قالت وهى تنظر ناحية هشام كأنها تستغيث به :

– من أمتى حضرتك بتنزل معايا البحر .. ما تروح تنزل مع أصحابك ..

قال :

– مش لاقى ولا واحـــد منهم .. قـلت أنزل مع أخـــتى .. ولو إنك ما تستاهليش ..

وقالت فوزية كأنها تساعدها :

– أحنا ما بننزلش البحر الصبح أبدا .. يعنى مش عارف !

قال :

– طيب أما أقعد معاكم شوية ..

وجلس على الرمل تحت الشـمـسـيـة .. واتسعت عـينا ناهد غضبـا ، ونظرت إليه فى حقـد .. ولم تعد مشكلتهـا هى : ماذا تفـعل مع هشام عندمـا تركب سيـارته .. بل أصبـحت المشكلة هى كيف تتخلص من أخيها ..

ودفعتها هذه المشكلة إلى التـعلق أكثر بموعدها مع هشام .. أصبح ذهابها مع هشـام بمثابة تـحد لأخيها ، واغاظة له ..

وقالت وهى تدير وجهها عن أخيها :

– بلاوى ..

ثم نظرت فى ساعتها .. إنها الثانية عشرة إلا عشر دقائق .. ولمحت هشام وهو يتـرك الكابين ، ويسيـر على الشـاطىء ، ثم التفت إليها قـبل أن يغيب عن عينيها ، وأشار إلى ســاعته كأنه

يذكرها بالموعد .. ثم صعد السلم المؤدى إلى شارع الكورنيش.
والتفتت إلى صديقتها كأنها تستغيث بها .. وأشارت لها بعينيها إلى أخيها ، ترجوها أن تساعدها على التخلص منه ..
وقالت لها فوزية وهى تبتسم فى خبث :
– قومى معايا نوصل لغاية البوفيه ..
وقالت ناهد كأنها تقرأ سطرا فى مسرحية :
– لا .. قومى انتى لوحدك ..
قالت فوزية فى تمثيل :
– يعنى أهون عليكى تسيبينى أمشى لوحدى ..
ثم التفتت إلى الآخ الساذج ، واستطردت وهى تقوم من جلستها :
– قوم انت معايا يا سامى .. اختك دى انانية قوى ..
وقام سامى فى شهامة قائلا :
– بتقولى لى أنا .. ما أنا عارف ..
وسار مع فوزية متجهين ناحية البوفيه .. وانتظرت ناهد قليلا حتى غابا عن عينيها ثم قامت ملهوفة .. واتجهت إلى الناحية الأخرى .. ناحية شاطىء سيدى بشر نمرة « ٣ » .. وسارت فى خطوات واسعة سريعة كأنها تقفز .. ومرت فى طريقها بصديقتها مشيرة ، فاستوقفتها قائلة :
– على فين .. مالك مستعجلة قوى كده !
قالت وهى لا تستطيع أن تقف :
– أبدا .. باتمشى !
قالت مشيرة فى خبث :
– آجى أتمشى معاكى ؟
قالت ناهد وهى تتركها :

– لا .. أصلي حاوصل لواحدة صاحبتي في نمرة « ٣ » .

وقالت مشيرة ضاحكة :

– طيب سلمي لي عليها .. وبوسيها من هنا ومن هنا ..

ولم ترد عليها ناهد .. وعادت تسير في خطواتها الواسعة السريعة حتى وصلت إلى شاطىء نمرة « ٣ » .. وفجأة .. هدأت خطواتها .. وفكرت .. إنها يجب ألا تبدو ملهوفة .. يجب أن تذهب إليه متأخرة عشر دقائق على الأقل .. ونظرت في ساعتها .. إنها الثانية عشرة تماما .

باقي على الزمن عشر دقائق ..

وسارت في خطوات بطيئة كأنها تتنهد بقدميها .. ثم دخلت إلى الحمامات المخصصة للسيدات .. ووقفت أمام المرآة .. ومشطت شعرها .. وساوت حاجبيها بأصبعها .. وأعادت شد الحزام حول وسطها .. وساوت ثوبها فوق « الجيبون » .. ثم خرجت ، وعادت تسير على الشاطىء في خطوات بطيئة ، ثم صعدت السلم المؤدي إلى شارع الكورنيش .. وبدأت تحس بالارتباك .. خطواتها مرتبكة وعيناها مرتبكتان ، وقلبها مرتبك ..

ورأته ..

كان جالسا في مقعد القيادة مستندا بذراعه العارية فوق باب السيارة ، وقد فتح قميصه ليكشف عن لحم صدره .. وكان ملتفتا برأسه إلى ناحيتها ، والهواء يطير خصلة شعره المدلاة فوق جبينه .. ونظرته الساخرة تطل من بين عينيه الواسعتين ..

وابتسم ابتسامة واسعة عندما رآها ..

وازداد ارتباكها .. أحست كأنها تعثرت في ابتسامته .. إنها

ابتسامــة خطرة .. ابتسامة فـيها غرور ، وفيـها طيش ، وليس فيها احترام .. إنه ليس مرتبكا مثلها ، وقلبه ليس واجفا كقلبها.

ووقفت كـأنها عدلت عن الذهاب إلـيه .. ثم تلفتت حـولها ، دون أن ترى مما حـولهـا شـيئـا .. ثم خطت نـاحيتـه ، وهى لا تنظر إليه .. واقتربت ..

اقتربت أكثر ..

وفـتح لها باب السـيارة ، وعـادت تتلفت حولهـا ، دون أن ترى مما حـولها شـيـئا ، ثم ألـقت نفسـهـا داخل السيـارة .. وانكفأت على وجهها فوق المقعد ، وقالت فى صوت مبهور وقد انتشر شعرها فوق ساقى هشام :

- أطلع من هنا قوام يا هشام .. قوام ، قبل ما حد يشوفنى!

وأطلق هشام سـيارته ، وزحفت عجـلاتها على الأرض فى صوت حاد ، كصوت زغرودة مجنونة اطلقت فى ليلة زفاف ..

واعتدلـت ناهد فى جلستها بعـد قليل ، وقالت وهى لا تزال مبهورة الأنفاس :

- ده أنا دمى هرب .. شوف إيدى ساقعة إزاى ؟!

ومدت له يدها ، فأمسك بهـا .. وارتفع حاجباه فى دهشة .. إن يدها باردة فـعـلا .. قطعة من الـثلج .. ولم يكن يعـتقـد أن هناك بنتا تتثلج يدها إلى هذا الحد لمجرد أنها ركبت بجانبه فى سيارة ..

وقال فى إشفاق :

- دلوقت أدفيها لك ..

وقاد السـيارة نحـو الطريق الخالى المـظلل بفروع الشـجر والذى يقع خلف سراى المنتـزه .. ثم أوقفها تحت ظل شـجرة كبيرة .. وأستدار ليلتفت إليها بكل جسمه ..

●●●

ومرت الأيام ..

وأصبح هشـام يعيش فى كل دقـيقـة من عمر نـاهد .. إنها تنام وهى تفكر فى خطة تهـرب بها من رقـابة أهلها لتـقابله .. وتصحو لتستعد للقـائه .. وتنتظر إلى أن تلقاه .. لم تعد تهمها صديقاتهـا ، ولم تعد تتساءل أين تقـضـى المساء ، ولم تعد تمل البـقاء فى البـيت .. وحـدها فى غرفـتـها .. إنهـا مـشـغـولة .. مشغولة فى نومها ، ومشغولة فى يقظتها .. لم يعد فى حياتها سنتيمتر واحد من الفراغ ..

هل هذا هو الحب ؟

نعم .. إنها تحبه .. تحب هشام .. وقـد أعطته كل ما يتطلبه الحب .. أعطتـه أيامـهـا ..وأعطتـه عقلـها .. وأعطتـه قلبـهـا .. وأعطتهه شـفتيهـا .. نعم ، شفتاها .. وهى لا تزال تذكـر قبلته الأولى .. عندما اقتـرب بوجهه من وجههـا ، ثم أرقد خده على خدها .. وأحـست بالراحة كـأنها سـارت على قدمـيها طـريقا طويلا ثم ألقت نفسهـا على فراش من حرير .. ولكنه لم يكتف بخده على خـدها ، فأخذ يتـسلل بشفتيـه حتى نام بهمـا فوق شـفـتـيـهـا .. وكانـت خائفـة ، وكـان خـوفهـا نوعـا من حب الاستطلاع ، كأنهـا مقدمة على تذوق طعـام لم تذقه من قبل .. وقد ذاقتـه .. ذاقت قبلته .. ولم يعجـبها مذاقهـا .. إنها تفضل دائمـا أن يقبـلها فـوق وجنتـيهـا ، أو فـوق عنقهـا .. ولكنهـا لا تستـريح لقبلتـه فوق شـفتيـها .. ورغم ذلك فـهى تسلم له شفتيها ارضاء له .. لتحتفظ به .. حتى لا تحرمه متعة من متع الحب ، قد يبحث عنها عند فتاة أخرى ..

وهو لا يفعل شيئا إلا أن يقبلها .. إنه لا يحب الحديث .. إنه لا يناقشهـا .. فقط يقبلها .. ويقبلهـا .. ويقبلها .. اف ، إن هذه

القبلات تخنقها ، وأحيانا تحنقها .. ولكنه لا يريد إلا أن يقبلها .. وهى تضطر أن تستسلم له ، لتحتفظ به .. ومن يدرى ، ربما كان هذا هو الحب ..

ومحمد ، هل نسيت محمد ؟

لا .. إنها لم تنسه .. ولكنها تحاول أن تتناساه .. ولكنه يطل عليها بوجهه الجاد الصارم ، وعينيه الضيقتين ، كلما خلت إلى نفسها .. بل أحيانا يقفز إلى خيالها وهى مع هشام .. وهى تقبل هشام .. يطل عليها كأنه يوقظها من أحلامها .. كأنه يذكرها بأنها ليست من هذه الطبقة التى يعيش فيها هشام .. ليست من هذه الدنيا .. ولكنها تنتمى إليه ، إلى طبقته ، وإلى دنياه ..

ورغم ذلك فهى تصر على أن تنساه ، أو تتناساه .. تصر على أن تطرده من حياتها .. ستترك له دنياه وتهرب منها ..

وكان محمد يزورهم هو وأخته .. أحيانا يزورهم فى الصباح على الشاطىء ، ويجلس مع عائلتها تحت الشمسية .. وأحيانا يزورهم فى البيت .. وقد أصبحت زياراته متباعدة .. أصبح يزورهم كأنه القدر ، يطرق عليهم الباب ليذكرهم بوجوده .. وقد بدا فى الأيام الأخيرة أكثر صمتا ، وأكثر صرامة ، وبدت عيناه كأنهما ازدادتا ضيقا .. وكان يتعمد ألا تلتقى عيناه بعينى ناهد .. وعندما كانت عيونهما تلتقى كانت تخاف .. كانت ترى فى عينيه سرها .. كانت تحس كأنه يستطيع أن يرى بصمات هشام فوق شفتيها ، وفوق وجنتيها، وفوق عنقها وذراعيها .. فكانت لا تقوى على أن تركز عينيها فى عينيه ، فتسدل فوقهما جفنيها ، وتدير عنه رأسها .. وفى جسدها رعدة .. كأنها تقف عارية فى مهب ريح عاتية ..

●●●

واستيقظت ذات صباح ، وأرسلت خادمتها لتشترى لها مجلة « الدنيا » .. وظلت فى انتظار عودتها وهى راقدة فى فراشها .. لقد تعودت أن تشترى هذه المجلة كل أسبوع ، ومنذ التقط مندوبها صورتها على الشاطىء ..

وقلبت صفحات المجلة فى لهفة ..

واتسعت عيناها ، وقلبها يدق ..

لقد وجدت صورتها على صفحات المجلة ..

إنها المرة الأولى التى تنشر صورتها فى المجلات ..

وازاحت المجلة من أمام عينيها ، حتى تسكت دقات قلبها .. دقات الفرح .. ثم عادت ورفعت المجلة أمام وجهها وأخذت تدقق النظر فى صورتها .. إنها جميلة .. إن ابتسامتها تلمع فوق الصفحة .. ونقلت عينيها بين صور بقية البنات .. إنها أجملهن . وهى تبدو طبيعية ، كأن الصورة التقطت وهى لا تدرى .. وأشتدت فرحتها ، وأغمضت عينيها كأنها تشكر ربها على نعمته الكبرى .. لقد تحققت كل أحلامها .. نشرت صورتها فى المجلات ، وأصبحت واحدة من بنات الطبقة الارستقراطية .. طبقة هشام .. أصبحت كأخته وأمه وابنة عمه .

وحملت المجلة وقامت من فراشها ، وأخذت تقفز فى غرفتها ، كأن فرحتها أكبر من أن يحتملها جسدها ، فاخذت تنفض عنه بعضا منها .. ثم ذهبت إلى والدتها وهى لا تزال تقفز فى خطواتها ، وقالت وهى تزغرد :

– شوفى يا ماما ..

ونظرت أمها إلى الصورة وصاحت فى فرحة :

– الله .. دى انتى أحلى واحدة فيهم ..

ثم ناولت المجلة إلى الأب ، واستطردت :

- شوف يا خليل صورة بنتك ..

ونظر الأب إلى الصورة ، ثم صاح غاضبا :

- واالله عال يا ست ناهد .. بقت صورتك بتتنشر فى المجلات .. ما أنا عارف ، انتى مش ناوية تجيبيها البر ، و ..

وقاطعته الأم :

- وفيها إيه يعنى يا أخويا ..

وقالت ناهد فى دلال :

- طيب وأنا ذنبى إيه .. يعنى أنا كنت شفتهم وهم بياخدوا الصورة ، ولا وقفت على إيديهم وهم بينشروها ..

وصرخ الأب :

- الجرائد ما بتتنشرش إلا صور البنات المرقعين البايظين .. أودى وشى فين منك .. دلوقت أخش مكتبى يقولوا أبو نانا جه .. وأبو نانا راح .. وآدى اللى كنت عامل حسابه .. عامل حساب البهدلة والمرمطة .. وآدى آخرة الدلع .. عاجبك كده يا ست هانم ..

وقالت الأم وهى ترفع صوتها على صوته :

- يوه يا خليل .. ما كل البنات بتتنشر صورتهم .. اشمعنى بنتنا يعنى .. على الأقل بنتنا أجمل من كل البنات ..

وقال الأب وهو لا يزال غاضبا :

- وأنا يشرفنى إيه إنها جميلة .. بادلل على جمالها ؟! باعرضها للبيع ؟! عامل مزاد علشان أجوزها ؟! أيوه كانوا ينشروا صورة أخوها اللى نجح فى التوجيهية وجاب مجموع سبعين فى المية .. أهى دى الحاجة اللى تشرف صحيح ..

وقالت نانا وهى تضحك :

– لو كانوا نشروا صورة أخويا ، كان زمان المجلة فلست ..

ثم خرجت من الغرفة قبل أن تسمع لعنات أبيها ، وعادت إلى غرفتها ، وبدأت تستعد للذهاب إلى الشاطئ ..

وتعمدت ألا تأخذ المجلة معها فى ذهابها إلى الشاطئ .. وسارت بجوار صف الكبائن وهى تعد عدد النسخ التى يمسك بها الناس .. كانت تتمنى أن يشترى كل الناس المجلة ليروا صورتها فيها .. ليعلموا أنها فتاة ارستقراطية .. فتاة مهمة .. وكانت تسير مزهوة .. وكانت تجمع إرادتها كلها لتكتم فرحتها ..

وصاحت فيها صديقتها مشيرة :

– شوفتى صورتك ..

وقالت نانا فى دهشة هادئة :

– فين ؟

قالت مشيرة :

– فى المجلة ..

وقالت نانا ، وهى لا تزال كاتمة فرحتها :

– يا خبر .. ورينى كده ..

وفتحت مشيرة المجلة ، وأطلت ناهد فيها ، ثم قالت :

– ده بابا حايموتنى .. وكمان الصورة مش حلوة ..

وقالت مشيرة فى غيظ :

– إحمدى ربنا .. ده انتى أحلى واحدة فينا .. شوفى أنا شعرى نازل على وشى إزاى ..

وقالت نانا :

– بأه أنا عنية ضيقة كده ..

وقالت مشيرة فى غيظ أكثر :

- لا .. عنيكى واسعة .. هاتى !

ثم جذبت المجلة من يدها ، وسارت مبتعدة عنها ..

ومرت ناهد من أمام كابين هشام ، ورأته جالسا ووجهه مختف خلف المجلة . فابتسمت ابتسامة واسعة .. ثم انضمت إلى صديقاتها تحت الشمسية ، والحديث كله عن الصورة .. وهى تتلفت بين الحين والحين لتبحث بين الناس عن الأستاذ فريد مندوب المجلة .. لعله يأتى ليلتقط لها صورة أخرى ..

وفى الساعة الواحدة والنصف قامت لتتمشى على الشاطىء .. ثم انحرفت واختبأت بين « كبينتين » ولحق بها هشام ، وقال كأنه يهنئها :

- صورتك النهارده جنان ..

قالت وهي فرحة كأنها سمعته يعلن انضمامها إلى عائلته :

- عجبتك ؟

قال :

- موت ..

قالت :

- دول خادوها غصب عنى .. أنا ما كنتش عايزة .. ومش عارفة أعمل إيه علشان أبعد المصورين عنى ..

قال :

- ما فيش فايده .. طول ما انتى حلوه ، حايفضلوا ينشروا صورتك .. يوم ما تبقى وحشة ما حدش حا يعبرك ..

قالت فى دلال :

- ولا أنت ..

قال وهو يضع فوق شفتيه ابتسامة أوسع :

- أنا باصورك بقلبى .. والقلب ما يهموش الجمال .. حاشوفك إمتى ؟

ونظرت فى عـينيـه كـأنهـا تريد أن تصل إلى قلبـه لتـرى ما فيه .. وحددت له موعدا فى السـاعة السادسة ، مساء اليوم التالى .. فى سيارته .. وذهبت إلى بيتـها وحديث الصورة يملأ رأسـها .. ويملأ بيتها ..

وفى المساء زارهم محمد وأخته خديجة ..

وقالت خديجة وهى تقبل ناهد :

– أما أنا كنت حـاتجنن على صورتك النهارده ، واشـتريت من المجلة خمسة اعـداد بعتّهم لصاحباتى فى مـصـر .. وكتبت على الصورة .. صورة أعز صديقاتى ..

وعـاد حـديث الصـورة مـن جـديد .. الأب سـاخط ، والأم تدافع ، وخـديجة فـرحـة ، وناهد تعلق على مـا تسـمعـه فى دلال .. ومـحـمـد صامت .. صـامت كأنه لن يتكلم ابدا .. كـأن ليس له لسـان .. وناهد تنظر إليـه فى لمحـات سـريعة كـأنهـا تنتظر حكمـه .. وكأنهـا تخاف هـذا الحكم .. ولكنه لم يحكم .. ولم يتكلم ..

وقالت له ناهد فى صـوت خفيض وقد خف زحـام الحديث من حولهما :

– يظهر الصورة مش عاجباك ..

ونظر إليها كأنه يلومها ، ثم أدار عينيه عنها وقال :

– عاجبانى .. بس ليه ؟

قالت فى دهشة :

– ليه إيه ؟

قال :

– ليه نشروا صورتك ؟

قالت فى حدة خافتة كأنها تستعد لمعركة :

– أنا عارفة ..

قال كأنه يلقى درسا :

– أنا أفهم أن فيه فى أوربا بنات محترفات للجمال .. يعنى بنات بيدوا صورهم للمجلات تنشرها وياخذوا عليها فلوس .. شغلتهم كده .. أو بنت واحد عظيم معروف بينشروا صورتها ، لأن البنت بتكمل شخصية أبوها ، والناس تحب تعرف كل حاجة عن الراجل العظيم ده .. أو ينشروا صورة بنت عملت حاجة .. حاجة كويسة أو حاجة وحشة .. اخترعت اختراع ، أو ارتكبت جريمة .. إنما انتى .. بينشروا صورتك ليه .. لا أبوكى راجل من العظماء ، ولا انتى عملت حاجة كويسة ولا وحشة ، ولا انتى « موديل » بتبيعى صورك للجرائد .. ولا ممثلة .. و ..

وقاطعته محتدة :

– قصدك تقول إنى ، ولا حاجة ..

قال :

– مش قصدى .. اللى بدى أقوله إن مجلاتنا تافهة ، مالهاش هدف من اللى بتنشره ..

قالت وقد احتقن وجهها غيظا :

– طبعا لو كانوا نشروا صورة حضرتك ، ماكنتش بقت مجلات تافهة ..

قال :

– كانت بقت تافهة أكتر وأكتر .. إنما ..

قالت :

– على كل حال أنا كنت عارفة رأيك من الأول ..

وقامت من جانبه ..

ونامت وهى تلعنه ..

كانت تلعنه لأن منطقه كان يتسلل إلى رأسها .. وكانت لا تريد أن تقتنع بهذا المنطق ..

●●●

وذهبت فى الساعة السادسة من مساء اليوم التالى للقاء هشام ..

وعادت فى الساعة الثامنة ..

وأوقف هشام السيارة عند شاطىء نمرة ٣ .. وسحبت يدها من يده .. وفتحت باب السيارة .. وما كادت تضع قدمها على الأرض ، حتى وجدته أمامها .. ينظر إليها .. محمد ..

وأنطلقت نظرة ذعر من عينيها ..

وانطلق هشام بسيارته كأنه تخلى عنها للموت .. وتماسكت بصعوبة ، ثم أدارت ظهرها لمحمد .. وسارت فى خطوات متعثرة ، وهى تكاد تنكفىء على الأرض فى كل خطوة ..

وسمعت وقع أقدامه وراءها ..

وحاولت أن تكذب نفسها .. إنه ليس هو .. ولكنها سمعت صوته يناديها فى حدة :

– نانا ..

ولم ترد عليه .. حاولت أن تستمر فى خطواتها المتعثرة .. ولكنه لا يزال يلاحقها .. إنه بجانبها .. ثم فجأة أحست بيده تقبض على يدها .. فى قوة .. فى قسوة .. وسمعت صوته مرة أخرى فى حدة خافتة :

– نانا ..

وجمعت كل أنفاسها ، واستدارت له وفى عينيها نظرة غاضبة ، وجذبت يدها من يده فى عنف ، وقالت :

– عايز منى إيه .. انت مالك ومالى ..

ونظرت فى وجهه .. إن وجهه غامق .. داكن .. لونه أزرق .. إنها لم تره هكذا أبدا .. كأنه يحبس دماءه كلها فى وجهه .. كأنه سيموت ..

وقال وهو يحاول أن يحتفظ بصوته خافتا :

– عايز أعرف انتى بتعملى كده ليه ؟

قالت فى حدة :

– مالكش دعوة ..

وسكت كأنه يخاطب نفسه ليهدئها .. وقالت ناهد وهى لا تزال تنظر فى وجهه :

– طبعا حضرتك حاتروح تقول لبابا .. مش كده .. أحب أقول لك إنى ما يهمنيش لا بابا ولا ماما ..

ونظر إليها .. وأحست أن فى نظرته إشفاقا .. وقال :

– أنا لو كنت عايز أقول لبابا كنت قلت له من زمان .. أنا عارف إن ما ليش دعوة بيكى .. بس ما تنسيش إننا جيران .. إننا معارف .. يمكن أكثر من كده شوية .. ومن حقى قبل أن آخد أى قرار ، إنى أعرف ..

قالت وهى لا تزال فى حدتها :

– عايز تعرف إيه ؟

قال :

– عايز أعرف إنت ليه بتعرفى واحد زى الولد ده ..

قالت وهى تتعمد أن تزداد حدة ، حتى تساعدها حدتها على استجماع قوتها :

– ما هوش ولد .. ده شاب زيك .. واتخرج السنة دى .. وأحب أقول لك إنى باحبه ..

وسكت محمد كأنه تلقى سكينا فى صدره ، وقال وصوته أقرب إلى الأنين :

– انتى بتضحكى على نفسك يا نانا .. انتى ما بتحبهش .. انتى بتحبى المظاهر اللى حواليه .. بتحبى العربية بتاعته ، وبتحبى الكابين اللى بيقعد فيها ، وبتحبى أبوه المشهور الغنى .. وبتحبى الحفلات والجو اللى عايش فيه .. ولو كنتى قابلتى أى واحد زيه كان اتهيأ لك إنك بتحبيه .. إنما انتى ما بتحبيش .. انتى بتحبى إنك تتجوزى واحد زيه .. بتحبى أحلامك وأطماعك والقصص اللى انتى عايشة فيها ..

قالت دون أن تفقد حدتها :

– هو انت دخلت فى قلبى يا أخى .. باحبه .. باحبه .. واحتجوزه !

قال فى يأس :.

– إنما هو ما بيحبكيش ، ومش حاتيجوزك .. بيلعب بيكى ..

قالت:

– لا .. حايتجوزنى .. حايتجوزنى ..

قال وهو يتنهد :

– ربنا يسمع منك .. على كل حال ، انتى مش حاتشوفينى بعد كده .. مع السلامة .. وخدى بالك من نفسك .. مش علشان خاطرى ، إنما علشان خاطرك ..

وخفتت حدتها .. وخيل إليها أنه يبتعد عنها وسط ضباب كثيف .. وأنها لم تعد تراه .. وقالت فى صوت خفيض :

– ولما بابا يسأل ما بتجيش تزورنا ليه ، حاتقول له إيه ..

قال وهو ينظر إليها وحاجباه معقدان كأنه يعصر بينهما قلبه :

– حايعرف إنى خطبت واحدة تانية ..

واتسعت عيناها كأنه صفعها ..

واستدار ، وأخذ يبتعد عنها .. ووقفت تتبعه بعينين مذهولتين ، والدموع تتجمع تحت جفنيها .. ثم عادت تسير بخطواتها المتعثرة وهى تكاد تنكفى على وجهها فى كل خطوة..

ووصلت إلى البيت .. ودخلت إلى غرفتها دون أن تحيى والديها ..وأغلقت الباب وراءها بالمفتاح .. ثم ألقت نفسها فوق الفراش ، وبكت .. بكت كثيرا ..

●●●

وقامت فى الصباح وعيناها .. وشفتاها مزمومتان فى تصميم .. لقد صممت على أن تتزوج .. تتزوج هشام .. بسرعة .. قبل أن ينتهى موسم الصيف .. إن الزواج به لم يعد مجرد حلم يتحقق ، إنه دواء لكرامتها التى جرحها محمد .. إنه انتصار على محمد .. إنه الدليل الوحيد الذى تستطيع أن تقدمه له ليقتنع أن هشام لم يكن يخدعها ، وأنها لم تكن تلعب .. ولم تكن تحب المظاهر ..

وأقبلت على هشام بروح جديدة .. وخطة جديدة .. أصبحت طيعة له .. وأصبحت تجازف فى سبيل لقائه بكل شىء .. لم يعد يهمها أبوها أو أمها أو أخوها .. لم يعد يهمها أن تلقاه فى سيارته ، أو فى شقة أحد أصدقائه ، أو يدعوها إلى حفلة من الحفلات التى تقام على الشاطىء ..

وأعطته .. أعطته أكثر مما كانت تعتقد أنها تستطيع أن تعطى .. كانت تريد أن تملأ حياته كلها حتى لا يستطيع أن يستغنى عنها بعد ذلك .. وكانت تريد أن تشعره بتضحيتها من أجله ، حتى يحمل مسئولياتها .. ثم يتزوجها ..

وأخذ هشام كل ما أعطته ، ولا يزال يطالب بالمزيد .. وازداد صلفا وغرورا .. إنه لم يعد يسعى ويلح فى لقائها ، بل

أصبحت هى التى تطلب لقاءه .. ولم يعد يلحق بها كلما سارت تتمشى على الرصيف ، بل أصبح يطالبها بأن تقف لتحادثه وهو جالس فى الكابين أمام الناس .. وأصبح يأمرها .. إن كل كلامه أوامر .. لا تنتقلى من تحت الشمسية .. لا تلبسى البنطلون .. لا تخرجى من البيت .. وكانت تفرح بهذه الأوامر .. إنها أوامر رجل صاحب حق عليها .. إنها أوامر زوج ..

ولكن الأيام تمر وهى تزداد حيرة .. إنها تزداد إحساسا بأنه يخدعها .. بأنه يسخر منها .. بأنه يلعب بها .. وكانت تكذب إحساسها .. إنها لا تستطيع أن تنقاد لهذا الإحساس لأنها لا تستطيع أن تتراجع .. إنها قطعت طريقا طويلا مع هشام ومن المستحيل أن تعود .. إنها لا تستطيع إلا أن تستمر .. أن تعطى أكثر وأكثر .. لعلها تصل إلى نهاية الطريق ..

وبدأت تلمح فى حديثها للزواج .. كانت تحادثه كثيرا عن أمه ، وعن أخته ، وعن بيته ، وعن نفسها .. وهو يستمع كأنه لا يفهم ما تريده .. إنه يتعمد ألا يفهم .. ثم لا يجيب عليها إلا بالقبلات .. ومزيد من القبلات .. وقبلات ..

وأبعدته عن شفتيها ، وبدأت تروى له قصة محمد .. وقالت له أنه كان خطيبها ثم ضحت به فى سبيله ..

وقال وهو يعود إلى شفتيها :

– ولا يهمك .. بكره تلاقى أحسن منه ..

قالت وهى تبتسم له فى إغراء :

– ما فيش إلا واحد بس أحسن منه ..

قال :

– فيه خطيب تانى كمان ..

قالت :

– أيوه ..

قال :

– مين ؟

قالت ضاحكة :

– انت ..

وابتعد عنها ، وقال وهو يضحك :

– أنا أنفع خطيب بس .. إنما ما أنفعش جوز .

قالت كأنها تثير غروره :

– بالعكس .. ده انت تنفع جوز كويس جدا ..

قال :

– بلاش تخريف .. أنا مش بتاع جـواز ، ولا عمرى حابقى بتاع جواز ..

قالت :

– حتى لو لقيت اللى تقنعك بالجواز ..

قال وهو يضحك ضحكة خاوية :

– اظن أسهل ألاقى واحدة تقنعنى بالانتحار ..

وسكتت .. ونكست رأسها كأنها تهم بالبكاء ..

وأدار هشام موتور السيارة ، وقال كأنه يضع خطة الهرب:

– مش نرجع بأه ..

ورفعت رأسها إليه ، وقالت كأنها تقامر بكل عمرها :

– هشام .. أنا عايزة أعرف أنا أبقى إيه بالنسبة لك ..

قال وهو يدير عجلة القيادة :

– تبقى البت بتاعتى ..

قالت :

– يعنى إيه البنت بتاعتك ؟!

قال وهو يلتفت إليها وينظر إليها نظرة حادة :

– بلاش الموضوع ده دلوقت يا نانا .. خليه بعدين شوية ..

وسكتت .. ولم تعد تدرى ما تقول .

وعادت إلى بيتها لتبكى .. بكت طول الليل ..

واستيقظت فى الصباح دون أن تيأس .. إنها لن تتراجع .. إنها لا تستطيع أن تتراجع ولكنه هشام الذى يتراجع .. إنه يرفض أن يقابلها ويعتذر لها كل يوم بحجة جديدة .. وهو لم يعد يأمرها .. لقد جاءت إلى الشاطىء مرتدية البنطلون ، فلم يغضب ، ولم يعلق بشىء .. وتعمدت أن تحادث شابا .. ورآها تحادثه فلم يأبه .. وقبل أن يلقاها مرة .. ولكنه كان لقاء سريعا .. قبلة .. وقبلة أخرى .. وجسدها فى أحضانه .. ثم أعتذر بأنه على موعد هام ..

وسارت يوما أمام الكابين ، فإذا بها تسمع أحد أصدقاء هشام يصيح وراءها فى صوت ساخر : « اتمخترى يا حلوة يا زينة يا وردة من جوه جنينه » .. ثم ضحكات صاخبة تنبعث من أفواه الشلة الجالسة داخل الكابين .. ثم إذا بواحد منهم يقلد صوت البنات ويقول : « إخص عليك يا هشام .. مش حاتتجوزنى بأه » .. وإذا بواحد آخر يرد عليه فى صوت أجش : « مش تستنى يا حبيبتى لغاية ما ندخل الأول » .. ثم ارتفعت أصوات الجميع يغنون مرة ثانية : « اتمخترى يا حلوة يا زينة .. » ثم ضحكات .. ضحكات كثيرة .. مخيفة .. كهدير البحر المرتطم بالصخر ..

وتجمدت فى وقفتها .. أحست بصدرها يضيق حتى يخنق قلبها .. أحست بنفسها تغرق فى وسط بحر من الضحكات ..

الضحكات المخيفة .. أفواه مفتوحة على آخرها تهم بأن تنهش في لحمها ..

ماذا تفعل .. هل تجرى .. هل تقع على الأرض مغشيا عليها .. هل تصرخ وتشد شعرها .. لا .. واستدارت دفعة واحدة واندفعت نحو الكابين ، ووقفت أمام الشلة كلها وعيناها تصفعان أفرادها واحدا واحدا .. وسكتت الضحكات من حولها .. وساد الوجوم أفراد الشلة .. وارتسمت على وجه كل منهم خطوط غبية مرتبكة ..

وقالت وصدرها يعلو ويهبط ، يكاد ينفجر :

– هشام .. تعال ، أنا عايزاك ..

وقام إليها هشام في صمت ، وغمز لأفراد الشلة قبل أن يخرج من الكابين .. وسار بجانبها ، بينما واحد من أفرادها يقول للآخرين :

– والنبى أنتم ولاد كلب كلكم .. مش حرام عليكم ..

وسارت ناهد بجانب هشام ، وهى لا ترى شيئا أمامها أو حولها .. لا ترى عيون الناس ترقبها .. ولا ترى صديقاتها يتهامسن عليها .. ثم وقفت بجانب « كابين » خالية ، ورفعت رأسها إلى هشام ، وقالت وهى تحبس دموعها تحت جفنيها :

– انت قلت إيه لصاحبك ؟

قال فى استهتار وهو يضع يديه فى خاصرتيه :

– ولا حاجة ..

وصرخت كأنها لم تعد تطيق :

– على كل حال إذا كنت فهمت إنى عايزة اتجوزك فده شرف لك .. أنا ما اتنازلش واتجوز واحد زيك .. و ..

وقاطعها وهو ينظر إليها نظرة يهددها بها :

– مـا فـيش لازمـة للكلام ده .. أنا مش حـاتجـوز واحـدة خرجت معاها ..

وفتحت عينيها كأنها أفاقت ، ثم صرخت :

– وأختك مـا هى كل يوم بتـخرج مع واحد .. يا تـرى مين حايتجوزها ..

ونظر إليها ساخرا ، وقال فى هدوء :

– تأكدى إنى مش حاتجوز أختى .

قالت وقد بدأت الدموع المتجمعـة تحت جفنيها تشك عينيها كالأبر :

– انت سافل .. سافل .. انت مجرم ..

وعاد ينظر إليها نظرته السـاخرة .. ثم أدار لها ظهره ، وبدأ يبـتـعـد .. مـاذا تفـعل فى هـذا المجـرم .. هل تجـرى وراءه وتصفعـه .. وتخرمش وجهه .. وتضربه بحـذائها .. وتقتله .. تقـتلـه .. وترى دمـه على الأرض .. لا .. إنهـا لا تسـتطيع .. لا تستطيع .

ووقـفت فى مكانهـا ترقـبـه وهى ترتـعش .. ورأته يلتـقى بمشيـرة .. ويحادثهـا .. ويضـحكـان .. و .. ولم تعد تحـتمل .. أحست بدوار .. كل شـىء يدور حولها .. البحر .. والشاطىء .. والناس .. وكل شـىء يدور فى داخلـها .. رأسـهـا .. وقلبهـا .. وقطع تتسـاقط من جسدها .. كـل قطعة لمسهـا هشام ، تحس أنها تتورم .. وتنتفخ .. ثم تسقط عنها ..

وسارت تتـرنح كأنها مـخمورة ، وهى تسـتند على جدران الكبـائن .. وصعـدت إلى الكورنيش .. ووضـعت نفـسهـا فى سيارة أجرة .. وعادت إلى البيت ..

وفى البيت سقطت مغشيا عليها .

●●●

وانتهى الصيف ..

وعادت العائلة إلى القاهرة .. وناهد هزيلة ، ممتقعة ، يائسة مسكينة .. ولم يكن أحد يعرف سر هزالها إلا محمد .. ولكن محمد لا يزورهم ، ولا أخته ، ولا أمه .. لقد تباعدت العائلتان ..

ووقفت ناهد تطل من نافذتها في الصباح لترى محمد وهو ذاهب إلى عمله .. وتطل من نافذتها في الظهر لتراه وهو عائد من عمله ..

ولكنه لا يرفع عينيه إليها .. وليس من حقها أن تزوره لتجبره على أن يرفع عينيه إليها .. إن أخته لم تعد صديقتها .. لقد منعها محمد عن صداقتها .. خاف على أخته أن تلتقط منها العدوى .. عدوى الأحلام ..

وتعمدت أن تخرج من بيتها في موعد عودته .. وتعمدت أن تسير على نفس الرصيف الذى يسير عليه .. وهمّ أن يتجاهلها ، ولكنها وقفت وواجهته ، ومدت له يدها .. فالتقطها فى أدب ، وقال :

– أزيك يا مدموازيل نانا .. وازاى السيد الوالد والست الوالدة ..

قالت :

– كويسين .. ازيك انت ..

ونظرت في وجهه .. إن وجهه جامد لا يبدو عليه شيء كأنه لم يكن يحبها .. كأنه لم يتقدم لخطبتها .. كأنه لم يتعذب عندما تركته .. وسمعته يقول فى صوته المهذب :

– دى فرصة سعيدة قوى .. مع السلامة ..

وتركها ..

ماذا تريد منه .. إنها لا تدرى .. تجرى وراء شيء ضاع

منها .. شىء كريم عزيز مهذب .. شىء تتمنى أن يعود ..

وعادت إلى بيتها لتنتظر ..

تنتظر ماذا ؟

خاطب جديد .. رجل فى الخامسة والأربعين .. سمين .. عيناه منتفختان .. قدموها إليه كأنهم يسوقونها إلى المذبح .. وجلست قبالته وعيناه تأكلانها .. ولم تحتمل عينيه طويلا .. فقامت إلى غرفتها .. وأخذت تفتح أدراج دولابها تحاول أن تجد فيها شيئا يشغلها عن أفكارها ..

ووجدت المجلة التى نشرت صورتها ، فالتقطتها .. ولم تفتحها .. إنماأخذت تمزق فيها بهدوء .. مزقتها قطعا صغيرة ، كأنها تمزق أحلاما خبيثة ، وماضيا تريد أن تهرب منه .. ثم نادت خادمتها وقالت لها فى هدوء :

– خدى ارمى الورق ده فى صفيحة الزبالة ..

ثم التقطت قطعة من القماش وبدأت تطرز فيها .. وتنهدت .. وهمست لنفسها : « الصبر يا رب .. الصبر يا رب » !!

(تمت)



رقم الإيداع ٩٩/١٨٠١٦
الترقيم الدولى
I. S. B. N.
977 - 08 - 0893 - 8


٨ جنيهات